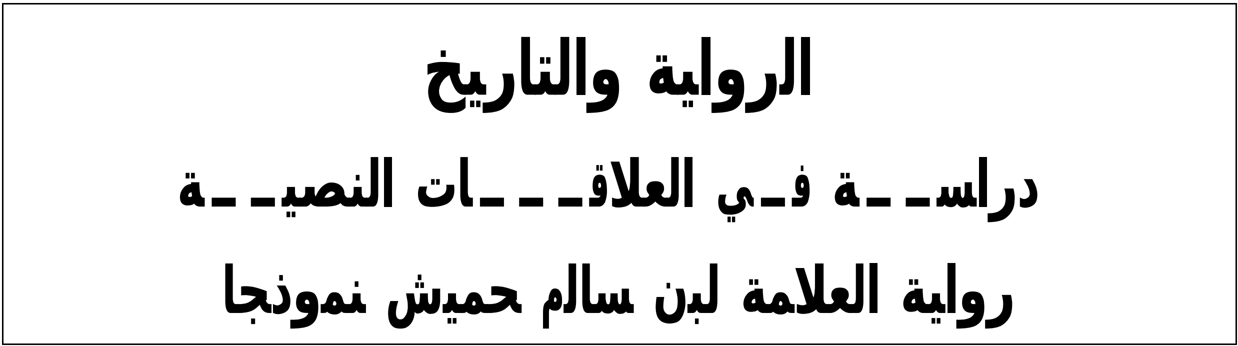
الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بن يوسف بن خدة-الجزائر-

قسم اللغة العربية وآدابها



الرواية والتاريخ

دراســة فــي العلاقـــات النصيــة

رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجا

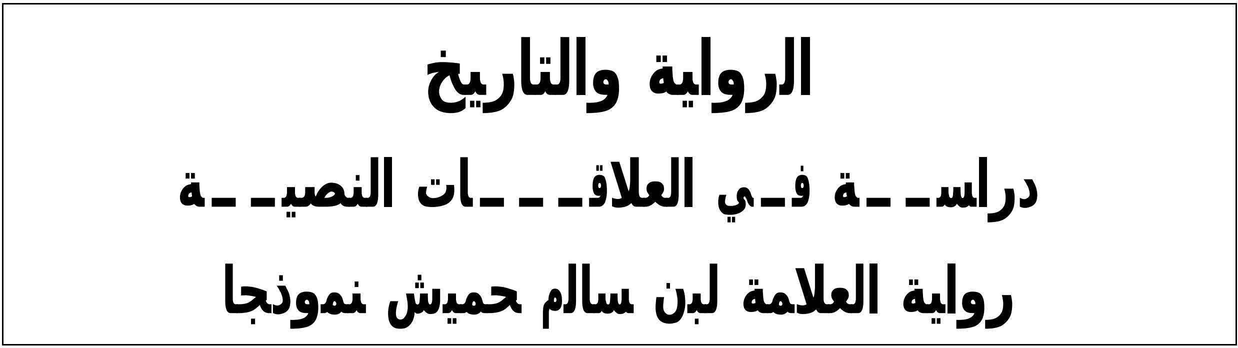
مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

<u>إعداد الطالبة:</u>

سليمة عذاوري

السنة الجامعية:2006/2005

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بن يوسف بن خدة-الجزائر-
قسم اللغة العربية وآدابها



الرواية والتاريخ

دراســـة فــي العلاقـــــات النصيــــة

رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجا

مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالبة:
سليمة عذاوري

إشراف الأستاذ:
واسيني الأعرج

لجنة المناقشة:

الأستاذ......................مقررا.
الأستاذ......................رئيسا.
الأستاذ......................عضوا.

السنة الجامعية:2006/2005

بسم ا   الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى جدي ..

الغائب الكبير عن هذه الفرحة .

مقدمـــــة:

تُعرف الرواية أساسا بهيمنة عنصر التخييل، في الوقت الذي يطغى فيه الجانب الموضوعي –كما هو معروف أيضا – على التاريخ. وبما أن نص العلامة لـبن سـالم حميش نص روائي، فإن ذلك يفترض أن يكون نصا تخييليا بالدرجة الأولـى. غيـر أن تشبعه بعنصر التاريخ يجعل العلاقة بين هذين الجانبين (الروايـة والتـاريخ/التخييلـي والموضوعي) علاقة معقدة، وجديرة بالدراسة والبحث مـن حيـث الحـدود الفاصـلة والجامعة بينهما .

لقد كان الفضول الذي نتج عن قراءة نص العلامة، أول الدوافع التي قادت إلى تبني هذا الموضوع ومحاولة الإقتراب منه بأدوات تحليلية منهجية. وقد كان من الممكـن أن تمر قراءة الرواية بشكل عادي، غير أن قراءتها بالموازاة مع النصوص المرجعيـة بالنسبة إليها، التي هي نصوص ابن خلدون، واكتشاف التقاطعات الكثيرة والمهمة أيضـا التي ربطتها بهذه الاخيرة، تدعو إلى استغراب انتاج نص آخـر قـائم علـى معطيـات موجودة سلفا تنتمي إلى ميدان مغاير أومناقض، وكذا استغراب القدرة على المزج بينهما في لحمة واحدة كانت الرواية.

وإذا كان هذا الدافع ذاتيا، فإن الدافع الموضوعي نحو هذا العمـل، يكمـن فـي محاولة تقديم دراسة ثلاثية الأبعاد تنطلق أساسا من مصدر روائي يمثل البعـد الأدبـي ويعتبر المصدر المهيمن على القراءة و كذا الكتابة الأدبية المعاصرة، لتغوص من خلاله في التراث العربي ممثلا في الأعمال الخلدونية التي تملأ فضاء النص مشكلة ثاني أبعـاد الدراسة، و ذلك عن طريق منهج عمل يستقي آلياته الإجرائية من نظرية غربية حديثـة تتمثل في نظرية التناص .

يطرح هذا البحث إشكالا أساسيا حـول الكتابـة الروائيـة للتـاريخ، و سـؤاله الجوهري: كيف تعيد الرواية كتابة التاريخ ولماذا ؟

في رواية العلامة، يحضر تاريخ ابن خلدون السياقي والخاص في الوقت نفسـه، الأمـر الذي يقود الى التساؤل عن كيفية استفادة هذا النص من التاريخ كمعطى موضوعي ليقيم به عالما روائيا يعتمد أساسا على التخييل، وإن كانت كلمة الموضوعية في حد ذاتها مثار جدل كبير في هذا السياق. و يدفع السؤال السابق إلى سؤال أهم حول سبب هذه العـودة وهذا الإرتحال إلى الماضي (التاريخ)، وعما يضيفه عمل روائي يستقي مادته الأولى من التاريخ، بل وأكثر من ذلك،عن السبب الذي يجعل من الرواية الجـنس المناسـب لهـذه العملية.

وبإمكاننا أن ندرج سؤالنا الإشكالي، ضمن سؤال أرحب هو لماذا التاريخ ولماذا الرواية؟ ومن ثمة، هل تحاول الرواية أن تعيد كتابة التاريخ لتصبح رواية التاريخ بمثابة قراءة له تنتج تاريخا موازيا ؟

قد ينبغي التنبيه إلى أن معنى العلاقة التي تقيمها الرواية مع التاريخ يبتعـد عمـا عرف عند رواد هذا النوع في العالمين الغربي والعربي. كونها طريقـة جديـدة تعتمـد أساسا على المساءلة الفنية للتاريخ لا على روايته فحسب. وإن لم تكن الأعمال الروائيـة التي تتناول هذا الطرح كثيرة، فهي على الأقل أعمال مهمة من حيث قدرتها على إعـادة كتابة التاريخ وفق هذا المنظور الجديد. ولا نقصد هنا تلك النصوص التي تتخذ التـاريخ كهامش أو كإطار عام، بل تلك التي تهيمن عليها ما يرتبط بالتاريخ (كسيرورة أحداث) ، وما يرتبط به (كسيرورة أفكار).

للإجابة عن مثل هذه التساؤلات التي هي في مجملها تساؤلات تنطلق من علاقـة الرواية بالتاريخ، آثرنا الاعتماد على ما تقدمه نظرية التناص من مقولات تمكن من فهـم تفاصيل مثل هذه العلاقة، وقمنا بالتركيزعلى مقولات كل من ميخائيل باختين Mikhail Bakhtineوجيرار جنيت Gerard Genette لما وجدناه عند كل منهما مـن مفـاهيم وأفكار تلائم موضوع العمل الذي بين أيدينا .

لقد أخرج جنيت نظرية التناص إلى مجال الممارسة التطبيقية، وقدم تحديدات تبحث فـي التفصيلات الدقيقة لجسد النص، ساعدت في الإجابة على الشـق الأول مـن الإشـكالية

الخاصة بالبحث عن كيفيات انبناء العلاقة بـين الـنص الروائـي والـنص التـاريخي (comment) .

ولأن ميل جنيت إلى الإهتمام بالبنية الداخلية للنص لا يسد حاجتنا إلا فيما يخـص هـذا الجزء، كانت الحاجة إلى دعامة نظرية أخرى تسند الشطر الثاني المتعلق بالبحث عـن " لماذا" pourquoi)، و كانت مقولات باختين هي المانح لهذه الدعامة، وهـي المقـولات التي تفتح الباب واسعا على علاقات النص بعوالم شتى تتدخل في تشكيله، كمـا يسـمح بحرية تأويلية لاتسمح بها ممارسات جيرار جنيت. وهذا المزج بين الرؤيتين لا يلغي أيا منهما، بل يستجيب لشرط آخر لا يمكن تغييبه هو النص في حد ذاته الذي يفرض طريقة معينة للتعامل معه، فلا نلغي بذلك المقولات الأساسية للنظرية، ولا نختزل الـنص فـي مجرد تطبيق آلي يلغي خصوصية العمل الأدبية ويجعله خاضعا له.

يتقدم هذا البحث نحو قارئه بخطوات أولها هذه المقدمة التـي تحـاول الإلمـام بخيوطه العامة وبسط أفكاره وإشكالاته، يليها تمهيد يتناول قطبي العلاقة، التـاريخ مـن جهة، والرواية من جهة اخرى، وما تفرزه العلاقة بينهما كنوع أدبي روائي هو الروايـة التاريخية. ثم ننتقل إلى أول فصول البحث الذي خصصناه للمقولات النظرية للتناص في عناصر ثلاثة تتطرق على التوالي لمقولات باختين الأساسية الخاصة بالحوارية والـتلفظ والتعدد الصوتي في الرواية ، ومقولات جنيت فيما يخص العلاقات عبر النصية مكتفـين منها بما يخدم البحث وعلى رأسها التعالق النصي الذي مكننا من استيعاب جزء مهم من علاقة نصوص ابن خلدون بنص العلامة وساعد –لخصوصيته- على التوجه إلى بـاقي العلاقات عبر النصية وعلى رأسها المحيط النصي والتناص للاستفادة منها فـي إضـاءة بعض مواضع هذه العلاقة. وثالث هذين العنصرين عبارة عن توليف بينهما عرضنا فيه مسوغات الاختيار فيما يخص المنطلق النظري لكل من جنيت وباختين رغـم اشـتمال ساحة التنظير على أسماء واجتهادات أخرى. بالإضافة إلى أسـباب التقـديم والتـأخير والانتقاء الممارسة على مقولاتهما، وكيفية الاستفادة من كل ذلك في التطبيق .

وفي الفصل الثاني الذي يمثل أول فصول التطبيق، حاولنا فك شبكة العلاقات التي ربطت بين نص العلامة ونص ابن خلدون بدءاً بأول تمظهر لهذه العلاقة على مستوى العنـوان

وانتهاء بآخر صفحاتها، مستخدمين كل ما يمكن أن يوفر إجابة دقيقـة بمـا فـي ذلـك الإحصاء .
أما الفصل الثالث الذي يقابل ثاني أجزاء التطبيق، فيدفع بنتائج الجزء الأول نحو وجهـة جديدة تتناول غايات و مقاصد الحوار الذي يقيمه النص الخلدوني مع الروايـة وتحـاول تأويل هذه العلاقات المتداخلة بين النصين انطلاقا مما تعرضه هذه العلاقات في حد ذاتها. لتكون آخر الخطوات خاتمة اقتصرت على أهم النتائج المتوصل إليها بشكل عام، نظـرا لوجود حوصلة خاصة بالنتائج في كل فصل على حدة ، والتي فتحت مجـالا لتسـاؤلات أخرى لم يتسن لهذا البحث الإجابة عنها.

وبين أول خطوة وآخر خطوة، واجه البحث مثل جل البحوث بعض الصـعوبات التي عرقلت مساره الطبيعي كانت في مجملها صعوبات منهجية وبحثية يأتي على رأسها الجمع بين جنيت وباختين، و الذي قد لا يكون له مسوغ عدى الرغبة في إخضاع المنهج لضرورات البحث ولخصوصية النص بدل القيام بالعكس. حيث أن الإشكال الذي تطرحه الرواية بقسميه، إشكال ولدته الرواية ولا يمكن إلغاؤه بل البحث عن سبل التحقيـق فيـه بكل الوسائط النظرية الممكنة، و في السياق نفسه ندرج صعوبة أخرى تتمثل في صعوبة التعامل مع مقولات باختين والتي لم تتأت من صعوبته على مستوى القراءة فقط، بل على مستوى التلقي العربي الذي كثيرا ما يصل حد التناقض على مستوى عملية الفهم، إذ لـم نجد من النقاد العرب- في حدود ما قرأناه- من يتناول هـذا الباحـث بدراسـة عميقـة أوتطبيق عميق على مستوى النصوص يوازي مثلا قراءة تـودوروف، وإن كـان هـذا الأخير يقر بصعوبة قراءة وفهم ما جاء به باختين لأسباب متعددة. ولذلك حاولنـا قـدر الإمكان الإقتراب من نصوص باختين الخاصة مستعينين في ذلك بقراءة تودوروف لها لا غير.
نضيف إلى هذه الصعوبة الأساسية، المشكل الخاص بالمصطلحات والذي أضحى تقليـدا يصاحب كل البحوث، حاولنا قدر الامكان تفاديه باختيار تركيبة مصـطلحية ممـا هـو موجود على الساحة النقدية.

كما كان الإحصاء الذي اتبعه البحث لإثبات بعض الأحكام صعبا لما تقتضيه هذه العملية من دقة صعب التعامل بها مع النص. حيث اعتمدنا مثلا على إحصاء الكلمات بمعناها الخطي نظرا لإشكالية مفهوم الكلمة في حد ذاته، لذلك تبقى النتائج المتحصل عليها نسبية وتقريبية. كذلك الأمر بالنسبة لعملية التدقيق التي اتبعناها فيما يخص علاقة النص الروائي بنصوص ابن خلدون وعلى رأسها "المقدمة"، حيث لم نعثر على بعض المقاطع في الطبعات العربية ومع ذلك استخدمها الكاتب لندرك عن طريق البحث أن تلك النصوص مأخوذة من الطبعة الباريسية التي لم نطلع عليها.

في سياق الحديث عن الكتب، نذكر أهم المصادر والمراجع التي مكنت هذا البحث من الظهور، يتصدرها النص الروائي "العلامة" لبن سالم حميش من جهة ونصوص ابن خلدون، المقدمة، العبر و التعريف من جهة ثانية. بالإضافة إلى أعمال ميخائيل باختين "L a poetique de Dostoievski " ، Esthetique et theorie du roman ، وكذا كتاب تودوروف Le principe dialogique ، وكتابي جيرار جينات Palimpsestes و Seuils . كما اعتمدنا على نص "الخادونية في ضوء فلسفة التاريخ" لحميش الذي ساعد على إيجاد الكثير من الحلول والأجوبة. إلى جانب بعض الترجمات و المراجع التي تشتغل في نفس الحقل .

ولا أملك في النهاية إلا الرجاء في أن يكون هذا البحث قد وفق في الوصول إلى ما كان يصبو إليه منذ البداية، وأن يجد فيه قارئه بعضا مما يبحث عنه. كما لا أملك إلا الشكر الذي أقدمه خالصا وجزيلا للأستاذ المشرف، واسيني الأعرج، الذي أحيي فيه حرصه الكبيرعلى إتمام هذا العمل ورعايته و تشجيعه المستمر لي ولكل الطلبة، و الذي تعجز أمامه كل عبارات الشكر والتقدير.

كما أقدم شكري للأساتذة الذين أطروا السنة التحضيرية للماجستير 2004/2003 و فتحوا أمامنا أبواب البحث والتساؤل و على رأسهم المشرف على التخصص الذي أنتمي إليه : قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة. مع امتناني الكبير أيضا لكل من قدم لي يد العون و ساعدني على إتمام هذا البحث ماديا ومعنويا .

الجزائر العاصمة:

2006/04/15

التمـهيـــد

إن أول ما يتبادر إلى الذهن عندما نتحدث عن العلاقة التـي تقيمهـا الروايـة مـع التاريخ، هو الإشتراك بين هذين العنصرين، الذي يجعل إمكانية التلاقـي بينهمـا أمـرا واردا. و البحث عن عناصر الإشتراك يتطلب بدوره معرفة وافية بماهية الشيء ، الـذي هو في حالتنا هذه التاريخ من جهة ، والرواية من جهة أخرى .

1. التـــاريخ

عن التاريخ لا نعدم الوسيلة في إيجاد تعريفات تؤكد في مجملها استقلالية هذا الميدان كجنس من أجناس العلوم الإنسانية ولكنها قد تختلف من حيث التعريـف النهـائي الـذي تمنحه إياه.

منذ أن استخدم هيرودوت كلمة التاريخ في القرن الخامس قبل الميلاد، أسقط إلى حد ما الاهتمام بمجموع الأساطير الإلهية، واهتم في المقابل باستقصاء الوقائع التي تخـص الإنسان معتمدا في ذلك على مبدأ العلة والمعلول[1]. فالتاريخ إذا يـرتبط بشـكل مباشـر بالإنسان، والواقعة هنا تعني الأحداث التي من شأنها أن تثبت أمام الزمنيـة الكاسـحة. فيكون التاريخ هو هذه الأحداث المترسبة والآتية من أزمنة ماضية .

يرتبط التاريخ بالإنسان ارتباطا وثيقا إلا أن هذا الارتباط يختلف من حيث تعبيـر هذا الأخير عن الشيء وعن العلم بالشيء. إذ يمكن أن نقصد بالتاريخ، التاريخ العـام أو الحاصل بمعنى الاحداث والوقائع في حدوثها الطبيعي والتاريخ المعلوم كما ينعته عبد ا العروي الذي يمثل إدراك الإنسان لهذه المجريات واستقصاءها، ما يعطينا علم التاريخ .

يختص علم التاريخ بدراسة وتتبع مجموع الأحداث التي تميز حركية الإنسـان فـي الزمن ورصد مجرياتها، وكلمة التمييز ترد هنا بشكل مقصود، ذلك أن التاريخ لا يهـتم

---

[1] - انظر فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي،ط:1، 2004،ص81.

إلا بالأحداث التي تترك حضورا قويا قادرا على البقاء لما له من تـأثير علـى مسـار الإنسان. ويكون عمل المؤرخ هو " تحقيق وسرد ما جرى فعلا في الماضي "[21] .

وقد تفرعت كلمة التاريخ من حيث المفهوم والممارسة، إلى كلمات عدة ومن ثمة مفاهيم وممارسات عدة، أهمها التاريخانية التي تتمثل " في فلسفة المـؤرخ إذ يـؤرخ، كمـا أن الوضعانية هي فلسفة العالم إذ يعمل في مخبره"[3]. بمعنى أنها تتناول دراسـة الأحـداث والوقائع انطلاقا من نظرة خاصة للمؤرخ ومبدأ يتبناه ويرى الحوادث والوقائع انطلاقـا منه، فهو إذ يؤرخ يعبر ضمنيا عن فلسفة في الحياة لا يتعداها أبدا.

و يتحمل المؤرخ كقطب مهم في عملية التأريخ من حيث أنه القائم بهذه العمليـة، العبء الأكبر في التعامل مع المادة التي بين يديه، وكل ما قيل عن ممارسة التاريخ، هو قول يتوجه نحوه بالذات. وإن كان العروي يرى بأن "المؤرخ لا يفسر بل يتفهم ويفهم "[4]، فإن هذا لا يمكن أن يصبح قاعدة عامة، لأن تعامل المؤرخ مع مادته يختلف من مـؤرخ إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى رغم ما يشترك فيه المنتمون إلى هذا الحقل مـن تمسـك بالموضوعية في التعامل مع المعطيات، فهو يربط مرات ويفكك مرات و يحلـل مـرات أخرى، ومرات يصبح دليلا داخل متاهة اسمها التاريخ: "لكل عهد نظرة إلـى الماضـي تتحكم فيها أغراض الحاكمين الجدد، فيكمن أن ندرس ما يقوله كل مؤرخ عن الحقبة التي يدرسها لا بالنظر إلى وقائع تلك الحقبة وحسب بل أيضا إلى وقائع العهد الدي يعيش فيه المؤرخ داته. وهكدا يمكن ربط تعليلات المؤرخين بأغراضهم."[5]

ولعل السؤال الجوهري في هذا السياق هوعن مدى موضوعية المؤرخ والمسـافة التـي تفصله عن مادة اشتغاله، والرؤية التي يواجه بها ما بين يديـه، وكيـف يمكـن تفسـير الفجوات التاريخية التي نجد أن المؤرخ لايفهمها ولا يتفهمها ولا يفسرها بل يقوم ببساطة

1- عبد ا العروي ، ثقافتنا في ضوء التاريخ ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /بيروت، ط:2، 1988 ،ص.09.

2- المرجع نفسه، ص16

3- المرجع نفسه ، ص20.

5 -العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ ، ص27.

بمحوها وتفاديها ما دام التاريخ في حد ذاته كبنية يمكّن من التجـاوز ويقبـل الفراغـات والمحو.
نعاني في تاريخنا العربي، إشكالات عدة فيما يخص التعامل مع هذا المعطـى الموجـود سلفا، و خاصة على مستوى كتابة التاريخ والتعامل معه باعتباره مادة موضوعية، حيث لا يزال هذا التعامل رهين اعتبارات أخرى، دخيلة على الأسس التي ينبني عليهـا هـذا العلم. حيث صار المؤرخ إما أن يأخذ هذه المادة بقصد الإعتبار مما حصل ومن مـآلات الأمور وإما أن يركز على الوقائع التي تشكل الحروب وقيام الدول وانتصـاراتها علـى بعضها البعض ليترك ما عدى ذلك. وقد يكون ما هو أسوء حيث يتصل التاريخ بمادة لا تنتمي إلى التاريخ كعلم بل إلى مجال الخرافة التي ما تزال تشكل جزءاً مهما من وعينـا العام، يقول العروي "نعتقد بداهة أن أخبار الماضي تفرغ إما في شكل خرافة وإمـا فـي شكل قول مثبت بوثيقة. الواقع أن قسما ضئيلا جدا من معلوماتنا حول الماضي خاضـع إلى التوثيق، أما القسم الأكبر فهو دائما وباستمرار مفرغ في تصور عام وعـامي يمثـل جانبا من ثقافتنا الوطنية."[1]
طُرح الإشكال نفسه الذي يطرحه العروي وغيره من المشتغلين على هذا الحقـل، قبـل زمن ليس بقريب، انتُقد فيه التاريخ الذي يحوي من الخوارق والخرافات أكثر مما يحوي من التاريخ بالمعنى العلمي للكلمة وإن كان قد أرخ بذلك إلى تاريخ فكرنا وتطور نظـام التفكيرعند العربي في تعامله مع الوقائع. ولم يستطع التاريخ نتيجة لهذه العقلية المتطرفة في الرؤية، أن يتقدم إلى مجالات أخرى غير مجاله الخاص أوأن يطرق أبوابا لم تطرق بعد وظلت مغلقة على دفاترها وحقائقها التي قد تغير منظورنا للاشـياء، حيـث يصـير التاريخ والحالة هذه، صدى تصفيقات لمجريات قد لا تكون فـي مجملهـا بمثـل تلـك الروعة. و المقصود هنا ليس تشوه تاريخنا بل سلبيته في التعامل مع الوقائع ذاتها لأنـه ينظر إلى الوراء فحسب ويهيل التراب على ما مضى بشيء من القداسة دون إعادة النظر أو إعمال الفكر في الوقائع التي من شأن نتائجها أن تتحكم في الحاضـر ليصـبح هـذا التاريخ أشبه بالميت الذي لا تذكر إلا محاسنه وتدفن مساوئه في القبر لأنه وحده المعني

---

[1] عبد ا العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 2/ 1992، ص23.

بها والمسؤول عنها. إن هذا التفكير الذي يلغي مساحات إشتغال العقل وقدرته على التفكيك والبناء هي ما تجعل واقعنا مريضا وغير قادر على اللحاق بالركب الذي يسير بسرعة الصاروخ مستفيدا لا من تجاربه الخاصة فحسب بل من تجارب الآخرين بانيا نجاحه على فشلها، نمثلها نحن كعرب بشكل خاص.

2. الرواية العربية ومرجعية التاريخ

سنتجاوز سؤال البدايات في الرواية وهو السؤال الذي يملك أكثر من إجابة تبقى في مجملها قابلة لإعادة النظر لانطلاقها أصلا من وجهات نظر خاصة بنشوء هذا الجنس، وكذا باعتبار أن معظم منظري الرواية هم روائيون " يفكرون في ممارستهم ويبررون موقفهم الإيديولوجي أو تقنيتهم الأدبية"[1]، وسيكون الامر أعقد فيما يخص الرواية العربية. غير أن هذا ليس السبب في تجاوزنا لقضية النشأة بل لأن ما يهمنا هو العلاقة التي ربطت الرواية بالتاريخ لتنشئ نوعا خاصا عرف بالرواية التاريخية.

إن الموضوع الأساسي للتاريخ هو الواقع بينما واقع الرواية متخيلها كمبنى أساسي. وقبل أن تمنحنا الرواية التاريخية اندماجا للواقع بالمتخيل، نتساءل مع جيرار جينات عن إمكانية إلغاء أحد العنصرين(الواقع/المتخيل) من بنية كل من التاريخ والرواية خاصة وأن لكل منهما علاقة بالتعبير، الحدث والإنسان ، يقول جنيت: " هل وجد يوما ما متخيل محض ؟ ولا-متخيل محض؟ " وبإمكان جملة طارق علي التالية أن تلخص الإجابة:" الخيال عند الروائي مقدس والحقيقة مجال للانتهاك ، ولا بد أن العكس صحيح عند المؤرخ "[2]. إلا أن السبيل الوحيد للتفريق يبقى طغيان أحد العنصرين على الآخر، والذي يحدد المسافة والمجال، فالتاريخ يحتمي بماهو حقيقي، ويحاول تلمس الوقائع والمجريات التي حدثت فعلا، بينما الرواية تشتغل على مساحات الخيال، ذلك أن ما يحددها

---

[1] - برنار فاليط، النص الروائي ،تر: رشيد بن حدو،المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1992 ،ص27.

[2] - طارق علي :"تأملات في الرواية والتاريخ" ،ندوة الرواية والتاريخ دار الكتب القطرية 2005،ص30.

ليس"سماتها الشكلية بقدر ما تتحدد بمدلولها ، المرتبط عادة بفكرة المتخيـل "[1]، محاولـة الإيهام بالواقع إلا أنها تتفاداه حتى تُبقي على كينونتها ونسقها الخاص، رغم أنها لا تخلو من حقيقة هي الأخرى.

إن علاقة التاريخ بالرواية علاقة وطيدة، حيث "تزامن صعود الرواية الأوروبية، في القرن التاسع عشر,مع صعود"علم التاريخ"اتكأ الطرفان على مقولة الإنسان الباحث عـن أصوله"[2]. لكن العلاقة الحقة هي التي استوعبت فيها الرواية بنية التاريخ وضـمتها إلـى نسيجها الخاص الداخلي، وقد حدد لوكاتش Lukacs هذا التضام بانهيار نابليون"تقريبـا" في مطلع القرن التاسع عشر، مع ظهور رواية وولترسكوت "ويفرلي" عـام 1814[3] ، وإن كان ذلك لا ينفي وجود أسلاف لها قبل هذا التاريخ.

لقد أنتج الزمن الأوروبي- خاصة- التاريخ، وأنتج رواية تستدعي هذا التاريخ لتبقيه حيا ولتجعل سيطرتها عليه متكررة و متجددة . فماذا عن الزمن العربي بالمقابل ومن ثمة الرواية العربية.

لقد أصبح الاهتمام بالنصوص السردية في الوطن العربي اليوم كبيـرا وواسـعا، وبالرواية على وجه الخصوص سواء من حيث الكتابة أو الإهتمام النقدي وحـين نقـول النقد فإننا نقول بشكل أو بآخر القراءة بكل مستوياتهاإلى حد جعل بعض النقاد يعتبرونها" ديوان العرب في القرن العشرين"[4]

وفي الصفحات الأولى لهذا الديوان ، كتب سليم البستاني نوعا قريبا مـن الروايـة التاريخية أو قريبا من الرواية رغم أن المعالم كانت لا تزال غير قادرة على الظهور [5]،

---

[1] برنار فاليط، النص الروائي،ص06.

[2] فيصل دراج الرواية وتأويل التاريخ، ص 5.

[3] -جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم ،دار الطليعة، بيروت، 1978. ص11.

[4] عبد ا إبراهيم السردية، العربية الحديثةالمركز الثقافي العربي ،ط: 1/ 2003، ص297.

[5] -انظر المرجع نفسه،ص224.

وبعده أخرج جورجي زيدان مجموعة من الروايات التاريخية التي أعادت كتابة تـاريخ الإسلام بأسلوب قصصي ، لم يحاول جورجي زيدان فيه تخطي معطيات التاريخ إلا بما أضافه من متخيل يحكي قصص الحب التي تجمع بين أبطال الروايات. يمكن القـول إن جورجي زيدان- من حيث استعادة التاريخ كما يرد في التاريخ- خطى على نهج وولتـر سكوتWalter Scotteالذي سار "نحو الابطال الكبار[التاريخيين طبعا] بنفس الطريقـة التي قام بها التاريخ عندما استلزم ظهورهم " [1] ، مواصلا بذلك ما بدأ به سليم البسـتاني قبله بطريقة أكثر تميزا وفنية: "كان سليم البستاني وجورجي زيدان يذهبان إلى التـاريخ ليأخذا من على سطحه أحداثه التي كانت تطفو، ويشكلان منها عملا روائيا يخدم التاريخ في أحداثه كما رواها التاريخ، لكنها مشكلة في عمل مترابط مشوق فيه خيط غرامي يشد الذاكرة ويصحيها من نومها إذا جنحت للنوم."[2] واستعادة التاريخ كما ورد في الكتـب أو الذاكرة الجمعية لا يعتبر عملية آلية بل يخضع لإعادة تركيب وربـط وتعـديل بحيـث تتماشى كل الأحداث وتتعالق فيما بينها، ونقصد بالأحداث الأحداث التاريخية مـن جهـة والأحداث المختلقة (قصص الحب) من جهة أخرى. ولم يكن هـدف زيـدان مـن وراء رواياته يختلف عن هدف المؤرخ الذي يريد وضع الحدث بين يدي القارئ، وهو يؤكـد ذلك عام1902في مقدمة رواية "الحجاج بن يوسف الثقفي" التـي يقـول فيهـا :"رأينـا بالإختبار أن نشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته، والاستزادة منه، وخصوصا لأننا نتوخى جهدنا في أن يكون التاريخ حاكما على الروايـة لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج. وفيهم من جعل غرضه الأول تأليف الروايـة، وإنما جاء بالحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة، فجره ذلك إلى التسـاهل فـي سرد الحوادث التاريخية بما يضل القراء. وأما نحن فالعمدة في روايتنا علـى التـاريخ، وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين.فتبقى الحوادث التاريخية على حالها، ندمج فيها قصة غرامية، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما يجـيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ مـن

---

[1] - جورج لوكاتش، الرواية التاريخية ، ص41.

[2] عبد الرحمن ياغي، البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربية،دار الفرابي، بيروت، ط:1999/1 ،ص226.

حيث الزمان والمكان والأشخاص، غلا ما تقتضيه القصة من التوسع في الوصـف ممـا لاتأثير له على الحقيقة"[1].

لقد مثل زيدان بداية الرواية التاريخية و نظّر لهذه البداية ، لكن قانون النوع والـذوق الأدبي لا يرتكن إلى تنظير مهما كان، بل يستجيب إلى مقاييس أخرى يفرضـها قـانون التطور الذي جعل كتابة التاريخ أو الرواية التاريخية تتخلى عن الفكرة التي جـاء بهـا جورجي زيدان وتتبنى في كل مرة قانونا خاصا بحسب معطيات الحاجة الأدبية ولـم لا التاريخية أيضا .

[1] د.عبد ا إبراهيم السردية العربية الحديثة ،ص240

3. الرواية التاريخية في المغرب

تأخّر ظهور الرواية بشكل عام في المغرب العربي. وعرف عنها بعد أن ظهـرت، اهتمامها بالكاتب كبطل يميزها فنيا وفكريا. غير أن الإستجابة للشرط الرافض للإحتلالين الفرنسي والاسباني، أعاد الكتاب المغاربة إلى تاريخهم وتراثهم في محاولة لحماية الهوية المغربية من عناصر التغريب التي جاء بها الاستعمار. فكان البحث في هذا التاريخ عـن المناطق المنيرة والمراحل الزاهية سواء تلك المتعلقة بالتاريخ القديم للمغرب أو الخاصة بالتاريخ العربي الإسلامي أو الحديث، وترجمتها إلى أعمال أدبية مختلفة تثيـر اهتمـام الناس والتفافهم حول قضاياهم الوطنية بإيقاظ وعيهم كمسرحية(طارق بن زياد)للهاشـمي الفيلالي، ومسرحية(ليالي إشبيلية) لعبد الكبير العلمي، ومسرحية(أمير المسلمين)لعبـد ا بن شقرون.[1]

وفي السياق نفسه ، قام الباحث عبد العزيز بن عبد ا .[2] بنفض الغبـار عـن بعـض الحوادث التاريخية الخاصة بـبلاد المغـرب ناسـجا حولهـا قصصـا مختلفـة مـن أشهرها:(الجاسوسة المقنعة)التي تدور حوادثها في عهد المعتمد بـن عبـاد، و(الروميـة الشقراء) التي تدور أحداثها أثناء فتح عقبة بن نافع للمغرب، و(غادة أصيلا) التي تـدور حوادثها في عهد الأمراء السعديين. وقد كان هم الأدباء في هذه الكتابات الهـروب إلـى التاريخ الذي أضحى مثلا يحتذى به أمام ما يواجه المغرب من احتلال وضرورة التحرك ضده. واستمرت هذه الرؤية إلى أن جاء الإستقلال، حيث تجوزت الروايـة التاريخيـة بانتهاء ظروف وجودها، يقول محمد عزام في معرض حديثه عن الرواية التاريخية فـي المغرب:" وبعد الاستقلال أهمل شأن الرواية التاريخية، لانقضاء ظروفهـا ومناسـباتها، وتجاوزت فكريا وفنيا لأن التاريخ مادة جاهزة تسهل على الكاتب كثيرا من مهمته فيؤثر

---

[1] انظر محمد عزام، وعي العالم الروائي،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق/1990، ص42.

[2] المرجع نفسه، ص43.

اللجوء إليها، بالإضافة إلى أن المرحلة كانت تتطلبها. ولكن تغير الوضع، بعد الاستقلال، لم يبق ثمة مسوغ للاستمرار في إنتاج مثل هذه الرؤية."[1].

يفيد هذا القول من الناحية التاريخية، لكنه يحوي في الوقت ذاته وهما كبيرا فيه الكثيـر من التساهل في الحكم على الرواية التاريخية، من حيث أن اعتمادها على التاريخ يجعـل مهمتها سهلة وبسيطة ولا تتطلب جهدا وحيلة. قد تكون الفكرة صحيحة إذا كان ما تقـوم به الرواية لا يتعدى كونه استنساخا لمجريات التاريخ، إلا أن الأمر أعقد من ذلك حتـى في الحالات البسيطة التي تستقدم فيها الرواية التاريخ، خاصة وأنها في ذلك تعتمد مـادة خارجة عن سيطرتها، عليها أولا أن تبني عليها مشروعا روائياو أن تخضعها لنظامهـا الخاص دون أن تبطل مفعولها التاريخي تماما.

ومن ذلك العهد الذي كان يرسم التاريخ، إلى اليوم، مرت الرواية التاريخية العربية بتطورات ومراحل لا شك وأنها غيرت من طريقة انتظامها وبنائها شأنها في ذلك شـأن الرواية العربية بكاملها. إذ يبرز اليوم جيل آخر من الكتاب يملك وجهات نظر و كـذلك طرقا مختلفة في التعامل مع التاريخ وإن لم يخرجوا عن إطار كتابته متابعين فـي ذلـك صفة الرواية التاريخية ببصمة جديدة في كل مرة تجعلنا نقف وقفة تأملية أمام هذا النوع الروائي حتى على مستوى التسمية. فعن أي تاريخ نتحدث؟ ألا تعتبر الروايات الفلسطينية التي ترصد مراحل القضية روايات تاريخية، ألا تعتبر كتابات الثورة الجزائريـة كتابـة تاريخية؟.

لا نملك القدرة على الإجابة، إلا أننا نملك الحق في التحديد، فالمقصود بالرواية التاريخية بالنسبة لهذا البحث هو تلك التي استعاد فيها أمين معلوف على سبيل المثال، في نصـه" ليون الإفريقي" رحلة الحسن الوزان في" وصف إفريقيا"، وما كتبه جمال الغيطاني فـي الزيني بركات معتمدا على نص آخر تاريخي هو الخاص بابن إياس. حيث أن مثل هـذه النصوص نصوص تاريخية لأنها تؤرخ لمراحل مهمة وتسرد وقائع من جهـة و لأنهـا

---

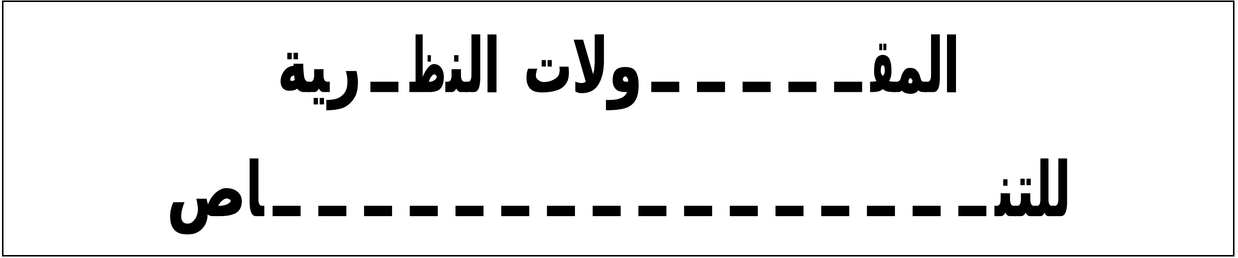
[1] المرجع السابق، ص44.

ترسمت في التاريخ وأضحت بمكانتها تلك جزءا منه يمكن استعادته والإشـتغال عليـه روائيا من جهة أخرى.

و في المجال نفسه تقريبا، يدور عمل بنسالم حميش في روايته "العلامة"، التي استعاد فيها تاريخ ابن خلدون العام الذي يتموقع فيه ويعتبر أحد عناصره، والخاص الذي دونه وتركه وأسس به لعام بأكمله "إن ابن خلدون يمثل هذا المنعطف بالذات، من حيث إنه أصل فـي ذلك الاهتمام الجاد بظواهر التغيرات و"ريح الحضارة"و"خبر الواقعات"، ففـتح طريـق اكتساب العقل التحليلي، القادر على فهم انبناء التاريخ وتشكل عقده ومحطاتـه. وبكلمـة جامعة، إنه من استطاع الدفع بالوعي العربي-الإسلامي إلى تمثل جدلية تاريخيـة فـوق مقاصده الذاتية,العفوية المباشرة، أي في حقل النظر وإعمال الفكر النقدي."[1]. وبذلك يكون حميش من بين الكتاب المغاربة الذين اهتموا بالرواية التاريخية في جل أعماله الأدبيـة، والتي يمنح من خلالها فكرة أخرى عن الكتابة المغاربية، الروائية عموما، والروائيـة- التاريخية على وجه الخصوص .

[1] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ ، دارالطليعة،ط1 :1998 ص 17.

الفصـــل الأول



المقـــــولات النظـرية للتنـــــــــــــــاص

I. أوليات المقولة التناصية :مقولات ميخائيل باختين Mikhail Bakhtine

II. شبكة العلاقات عبر النصية :مقولات جيرار جنيت Gerard Genette

III. العلاقات النصية : حصيلة تركيبية (توليفية)

أوليات المقولة التناصية: ميخائيل باختين

1. من الحوارية إلى التناص Dialogisme
2. دور السياق في عملية التلفظ Enonciation
3. التعدد الصوتي في الرواية Polyphonie

1. من الحوارية إلى التناص

يرتبط اسم الباحث الروسي ميخائيـل بـاختين Mikail Bakhtine*، بفكـرة الحوارية Dialogisme التي أسست نظرة جديدة للغة ، والتي لا يمكن فهمها أو شرح تداخلاتها إلا من خلال البحث ومحاولة فهم "الكلمة" Mot باعتبارها عنصرا ذا أهمية كبيرة من حيث الدور المنوط بها في هذه العملية.

وقد تكون أولى المشكلات التي تصادف متلقي مقولات باختين في هذا الصـدد ، هي استخدام مصطلح "كلمة" في حد ذاته. ذلك أن هذا المصطلح يقابـل فـي الأصـل الروسي لفظة Slovo ، والتي قد تعني في هذا الأصل كلمة Mot، كما قد تعني خطاب Discours . وتفاديا لأي تحوير في الفكرة الأصلية، نجد أن من الدارسين من فضـل استخدام المعنيين معا (كلمة /خطاب) وعلى رأسهم جوليا كريسـتيفا Julia kristeva التي استخدمت المصطلحين معا طوال تقديمها لكتاب باختين "شعرية دوستويفسكي" La Poétique de Dostoievski.[1]

وبالنظر إلى صعوبة التفريق بين ما يمكن أن نترجم به قصد باختين من خلال استخدامه لمصطلح Slovo، يوفرمصطلح كلمة في معناها المتداول والمعروف على الباحث الكثير من المشاكل المصطلحية بل و المفهومية أيضا التي يمكن أن يثيرها اسـتخدام مصـطلح الخطاب.

---

*-ميخائيل باختين باحث روسي ،ولد في أورال 1895 وتوفي في موسكو 1975. يعـد مـن أكبـر المنظرين للأدب في القرن العشرين (انظر msn.encarta.com).

[1] - Voir , Mikhail Bakhtine, La poétique de Dostoievski . La préface de julia kristeva «une poétique ruinée”. Traduit par Isabelle Collitcheff, Seuil,Paris,p13.

وقد تمخض التصور الجديد للكلمة من فكر الفريق الباختينيLe groupe Bakhtine * الذي انطلق أساسا من نقده للتصورات السابقة لها. وهي التصورات التي قامت بدراسة الكلمة انطلاقا من جانبين، أحدهما موضوعي والآخر ذاتي :

- **النزعة الموضوعية المجردة Objectivisme abstrait[1]:**

وهو التوجه الذي قاده دو سوسيرDe Saussure و الذي جعل من النظام اللغـوي نظاما مستقلا وقائما بذاته بعيدا كل البعد عن أي إبداع فردي . وقد انتقد باختين أصحاب هذه النزعة التي شكلت بدورها " الأساس النظري للمفاهيم الشكلانية الروسية "[2]من حيث أنها تتحدث عن اللغة كنظام -"لغوي" -بحت، متناسية أن ما يهم المتحدثين بلغة ما لـيس هذا النظام فحسب، بل استخدامه لإيصال واستقبال أفكار بعينها . بالإضافة إلى أنه ليس بالإمكان عزل اللغة عن المحتوى الإيديولوجي، ذلك أن عملية العزل هذه حين مورسـت على اللغات القديمة (الميتة) لم يكن البحث فيها يصبو إلى أكثر من التعرف على قـوانين اشتغالها، في حين أن المرجو من دراسة اللغات الحية هو فهمها.

- **النزعة الفردانية الذاتية subjectivisme individualité [3]:**

وكما ينتقد التوجه الجديد النزعة الموضوعية المجردة فإنه ينتقد نوعا آخر من الدرس اللغوي يمثله فوسلرFossler وهمبولدت.و الذي يقدس سيكولوجيا الفرد من حيث أنها المولد لفعل الكلامParole ، الذي يعتبر ظاهرة فردية أساسية في اللغة .ومن هذا الباب يوجه باختين نقده الأساسي لهذه النزعة ،حيث أن أهمية الفرد في عملية الكلام لا

---

*Le groupe Bakhtine : هو الفريق الذي يشمل ميخائيـل بـاختين ، بافـل ميدفيـداف Pavel Medvedevوفولوتشينوف Volochinov ، وهما الاسمان اللذان تصدرا كتابـات بـاختين قبـل أن يعرف كاتبها الحقيقي .

[1] -انظر عبد القادر بوزيدة:" فلسفة اللغة والمبدأ الحواري عند ميخائيل باختين"، مجلة اللغـة والأدب، جامعة الجزائر ،ع15 / أفريل 2001،ص61.

[2] -أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،إفريقيا الشرق ،1987،ص48.

[3] -ع بوزيدة ، م ن ، ص ن.

تلغي القدرة على دراسته بشكل موضوعي بالنظر إلى أن كل مجتمع ومحيط إيديولوجي معين يشتمل على جزء يشترك فيه المتحدثون، وهو ما يسمح بعملية التواصل كما يسمح بعملية الدراسة.

انطلاقا من هذه الانتقادات لكل من التيارين الموضوعي والفرداني يحدد بـاختين نظرته الجديدة التي يتبنى فيها التفاعل الحي للكلمة ، حيث تكتسب هذه الأخيـرة معنـى جديدا يضاف إلى معناها الأول كلما غـادرت مجالهـا اللغـوي البحـت -المشـترك الموضوعي-، واتجهت كخطاب نحو الآخر-الكلام كممارسة فردية-.وهذه العمليـة لا تتم فقط في اللحظة الأولى لخروج الكلمة إلى سياق استعمالي بل نجدها تحصـل علـى معان إضافية كلما دخلت حلقة جديدة من حلقات التواصل . بمعنى أن هذه النظرة الجديدة تزاوج بين النظرتين السابقتين وتتعداهما إلى تبني التفاعل الحي الذي يمنح الكلمة حياتها المستمرة.

ومن ثمة فإن اهتمام باختين في دراسته لهذه الكلمة ينصب،في المقام الأول ،على العلاقات القائمة بينها انطلاقا من مبدأ جوهري يقضي بأنه" لا وجود لتعبير لا تربطـه علاقة بتعبيرات أخرى "[1].و يعرف هذه العلاقات على أنها علاقات حوارية يشترط فيها دخول الكلمة في شبكة جديدة من العلاقات تمكنها من الحفاظ على حيويتهـا ،بمعنـى أن تنتقل الكلمة من سياق استخدام معين إلى سياق استخدام جديد دون أن تفقـد محمولاتهـا السياقية السابقة ودون أن تنغلق على لحظة واحدة أو سياق واحد. وتعتبر لحظة الـدخول هذه أي لحظة التبادل الحواري اللحظة التي تستقي منها الكلمة حياتها . فتظل قادرة على التفاعل مع مختلف الخطابات الجديدة والقديمة بدل انحصارها في لحظة جمودها المتمثلة في انعزاليتها اللسانية. و تحول هذه اللحظة الحية الكلمة إلى ملفوظ يمتلك "متلفظا" يعبـر من خلالها عن حالة ما وتقوم العلاقة -الحوارية- هنا بين الكلمـة ووضـعيتها الحاليـة وكالوضعيات استخدامها السابقة، حين كانت و ستكون أيضا ملفوظا لمستخدمين آخرين.
إذ نجدها تقوم بالدور الجديد المنوط بها في عملية التخاطب داخل السياق الحالي محافظة في الوقت ذاته على سياقاتها السابقة ومفتوحة على إمكانات استخدام مستقبلية ،الأمـــر

---

[1] - Tzvetan Todorov , Mikhail Bakhtine : Le principe dialogique , Seuil , 2Ed:1996, p95.

الذي يمنحها حيوية وديمومة وسط هذا التفاعل المستمر. ويمكن أن تقوم علاقة الحـوار هذه بين ملفوظات تامة حيث لا تمثل حوارية الكلمة إلا أصغر مستوى من مسـتويات هذه العلاقة Microdialogue .

فالحوارية إذا، هي هذا التفاعل الذي يمنح الكلمة القدرة علـى التعـدد أي علـى امتلاك "أنا" خاصة تحمل في داخلها [أي وضعها وقصدها الإستعمالي الحالي] أنا أخرى خارجة عن الوضع الحالي ولكنها لصيقة بالكلمة من حيث أنها تمثل مرحلة من مراحـل استخدامها [بمعنى أن أنا الآخر لا تزال موجودة بصدى استعمالها وقصـدها الخاصـين حين استُخدمت الكلمة مرات ومرات] وهو ما يجعلها تحمل صوتين في آن معا Deux Voix.فيصبح لهذه الكلمة توجها مضاعفا نحو خطابها ونحو خطاب الآخر. وبين هـذين الجانبين [موضوع الخطاب الحالي / موضـوع خطـاب الآخـر أو الآخـرين] يقـوم الحوار.ويقيم باختين تصنيفا لأنماط الكلمات المستخدمة ومختلف توجهاتهـا وأهـدافها ، معترفا أن هذا التصنيف لا يستوفي كل التغيرات التي تطرأ على الكلمة ، نظرا لحيويتها وحركيتها الدائبة .[1]

وقد عبرت جوليا كريستيفا في قراءتها لمبدأ الحوارية، عن هذا الامتلاك المضاعف للكلمة بالامتلاء إذ رأت في الكلمة كما يرصدها باختين كلمـة مليئـة un mot plein ، ينجم امتلاؤها عن كونها "كلمة على الكلمة موجهة إلى الكلمة". تعـيش ضـمن تعدديـة سياقية تجدد في كل مرة محمولاتها .

تجدر الإشارة إلى أن كريستيفا، و خاصة في التصدير الذي وضـعته للترجمـة الفرنسية لكتاب ميخائيل باختين "شعرية دوستوفيسكي"، تجعل من الحوارية مقابلا للتناص Intertexte فتقول: "ترى الحوارية في كل كلمة ،كلمة على الكلمة موجهة إلى الكلمة وبسبب هذا الانتماء المتعدد الصوت، هذا الفضاء التناصي أصبحت الكلمة كلمة مليئة"[2]:

---

[1] M Bakhtine,la poetique de Dostoievski, p274/275 .

[2] Ibid, p14

*-لقد وجدنا تعددية في قراءة المشروع الحواري سواء لدى الغرب و على رأسهم جوليا كريستيفا التي جعلت من المصطلح مقابلا للتناص وإلى حد ما تودوروف كذلك.أو الدارسين العرب الذين

وإن كان ما تقوله كرستيفا صحيحا من وجهة نظر استيعابها للمفهوم –الـذي يمـنح على ما يبدو حرية في استيعابه * – إلا أنه لا يستقيم حين يحضر تعريفها للتناص علـى أنه فسيفساء نصوص أو أنه" موقع التقاء داخل النص للملفوظات المأخوذة من نصـوص أخرى ، إنه تحويل لملفوظات سابقة ومتزامنة معه "[1] . ذلك أن اهتمام الحوارية –كمـا سيوضح لاحقا- أكبر من النصوص . و المشكل هنا، يتعدى الجانب المصـطلحي إلـى الاستعمال. ولذلك ينبغي ،كخطوة ممهدة ،الحديث عن الحوارية في مستواها المصطلحي كمقولة يمكن تحديدها في تمظهراتها المختلفة ومحاولة استغلال جانب منها يكون بمثابة منطلق قد يخدم الفكرة الموالية حول أهمية السياق .

الحوارية: المصطلح والمفهوم :

يعود دومينيك مانغينو Dominique Maingueneau ، في حديثه عن مصـطلح الحوارية، إلى المعنى البلاغي الذي تعني فيه "الطريقة التي يتم من خلالها إدخال حوار تخيلي إلى ملفوظ ما"[2]. لكن هذا المصطلح سرعان ما تحول بعد باختين ليستعمل للدلالـة على :"البعد التفاعلي العميق للغة (الكلام) الشفهي أو المكتوب "[3]، ويخص هذا التحديـد مقولات باختين حول التفاعل داخل الكلمة بكل ما تحمله كلمة "تفاعل" من معنى . وبغية تحديد أدق يمكن أن نفرق داخل الحوارية نفسها بين حواريتين ، تتعلـق الأولـى بكـل التفاعلات اللفظية الممكنة وتحيل إلى مختلف تمظهرات التبادل الشفهي ويسميها مـانغينو الحوارية التفاعلية Dialogisme interactionnel أما الثانية فتعكس مـا هـو نصـي

يشيرون إلى الفكرة بكثير من الاضطراب وعدم الوضوح أو يرون فيه -استنادا للقراءات الغربية - مقابلا للتناص ومنهم سعيد يقطين وبشير قمري وكذلك فيصل دراج.

1 - نقلا عن أنور المرتجي، ص 55.

2 - Dominique Maingueneau , Les Termes clés de l'analyse de discours, Memo, Fevrier1996,p27.

3. Ibid, p27

*-لم يكن مانغينو واضع هذا التقسيم في الأصل ، وإنما أخذه عن موارون Moirand ، انظر المرجع السابق ، ص 27.

ويمكن تسميتها بالحوارية التناصيةDialogisme intertextuel التي هـي : " علامـة التباين التلفظي للاستشهاد بالمعنى الأوسع "[1]

غير أن مثل هذا التقسيم* لا يعدو كونه تقسيما منهجيا يسهل عملية تحديد التفاعـل النصي والوصول بها إلى الغاية ، لأن كلا من الجانب الشفهي والنصي وجهـان لعملـة واحدة (الحوارية).

إن مجاراة مثل هذا التقسيم ، وتتبع الجانب المكتوب -النصي- في الحوارية، يقـود بشكل أو بآخر إلى التناص كما تطرحه كريستيفا أي" لقاء وتعارض ملفوظات مأخوذة من نصوص أخرى ، داخل النص الجديد "[2].وهو التعريف الذي يـرتبط أساسـا بقراءتهـا لميخائيل باختين، إذ أنها أقامت من خلاله وضعية للنصوص توازي تلك التـي أقامهـا للكلمة [3]، حيث يصبح النص تفاعل نصوص فيما بينها مكونة نصا جديدا لا يلغي فـي جديته النصوص التي يتفاعل معها، مما يجعل من التناص جزءا لا يتجزأ مـن العـالم الحواري .

وهذه الجزئية الخاصة بالتناص تنقلنا من أفق حواري واسع و فضاء يتفاعـل بشـكل لا منتهي، إلى تفاعل أكثر قابلية للتحديد وهو التفاعل النصي أو التناص الذي احتفـى بـه باختين كثيرا وإن لم يستخدم للدلالة عليه المصطلح المعروف معتبرا تفاديه أمـرا غيـر وارد [4].

---

[1] Ibid p 27

[2] - Julia kristeva ,Le texte du roman ,Mouton,1970,p12.

[3] - Voir,Nathalie Piégay Gros Introduction à l'Intertextualité ,Dunod 1996/2002,p28.

[4] Voir Todorov, Le princip dialogique, p98.

*- يمكن بهذا الصدد أن نشير إلى أن عمل باختين عن رابلي Rabelaisتحت عنوان:' l œuvre de François Rabelais et la culture populaire du Moyen Age et de la renaissance لـم يحظ بالاستحسان من قبل لجنة التحكيم سنة 1940ولم تعترف به كعمل جاد ، هذا من جهـة . ومـن

إن المبدأ الحواري الذي يؤسس عليه باختين رؤيته للغة والكلام مبدأ واسع ومتشعب نظرا لما يمثله من تبادل للوعي الإنساني [1].ولعل ذلك ما أثار بعض الانتقـادات حولـه وجعله صعب المتابعة والفهم *،وقد أراده باختين كذلك مانحا نظرته بعدا واسعا ، آخـذا بعين الاعتبار قصر الإحصاء النظري عن توخي الحقائق في تجلياتها الكثيـرة ، فنجـده يتوجه دائما نحو أفق واسع و مفتوح لم يعد يمثل بالنسبة إليه مبـدأ للـدرس والتحليـل فحسب، بل مبدأ للوجود :"أن تكون يعني أن تتواصل حواريا".

1. دور السياق في عملية التلفظ

أ- الكلمة والسياق :

لا تؤخذ أهمية الكلمة- كما ينظر إليها ميخائيل باختين - بمعزل عن المكـان الذي يحدث فيه التبادل الحواري.و"**المكان** "هنا يعني المحيط الذي تتم فيه عملية التبـادل ،والذي لا يقل أهمية عن الكلمة في حد ذاتها إن لم نقل أنه ما يمنحها أهميتها الخاصـة ، لأن حياة هذه الأخيرة تقترن بانتقالها من متلق إلى آخر ومن سـياق إلـى آخـر ومـن مجموعة اجتماعية إلى أخرى ،محتفظة عبر كل مراحل هذا الانتقال بمحمولاتها السياقية التي اكتسبتها من خلال المحطات المختلفة .

جهة أخرى الصمت الذي قابل معظم أعماله مدة طويلة قبل أن يتم الاهتمام بها فيما بعد ، بالإضـافة إلى بعض الانتقادات التي صادفت البحث والتي لم يتم الاعتماد عليها لما تحتويه من نقد غير مؤسس على فهم دقيق للطرح بالأساس ، ومنها ما يراه فيصل دراج الذي يأخذ علـى بـاختين مـثلا قولـه بحوارية اللغة والكلمة ، باعتبار أن الحوارية ليست في اللغة بل في " تشكيلتها الخطابية التي ترد إلى المجتمع والتاريخ" متناسيا في نقده هذا أن باختين لا يقول بانعزالية اللغة ، بل بحضورها في سـياقات استخداماتها المتنوعة .راجع فيصل دراج "نظرية الرواية والرواية العربية " المركز الثقافي العربـي ،ط1999،1 ،ص85.

[1] - voir Vladimir Siline le dialogisme dans le raoman algerien de langue française.Doctorat,paris3,1999…(image.refer.org)

إن رحلة الكلمة بمحطاتها وسياقاتها المختلفة ، وبتعبير آخـر ،مصـطلح "**سـياق**" Contexte ، يخرج الطرح الباختيني عن مضمار اللسانيات ويتوجه به نحو درس يخطو خطـوة كبيـرة خـارج الحقـل اللسـاني وهـو مـا أسـماه بـاختين "**بالميتالسـانية**" Métalinguistique . و قد طرحت جوليا كريستيفا مصطلح "**عبر اللسـانية**" Trans-linguistique كبديل عن المصطلح الباختيني للدلالة على هذا التجاوز اللساني باعتبار أنه الأنسب ، إلا أنها لم تهمل هذا المصطلح[الميتالسانية] بل استخدمته "لتفريق الوضع الأعلى طبقيا للغة على اللغة"[1] .

يقدم باختين ما يسوغ تجاوزه للحقل اللساني، إلى حقل الدراسات عبر- اللسـانية، بالإعتماد على تعريفه لكل من الدراستين . حيث تشتركان في اهتمامهما بالظاهرة نفسها- أي الكلمة-،غير أن وجه الاختلاف هو اختيارهما لزوايا نظر مختلفة .فمن الزاوية اللسانية ليس هناك وسيلة لدراسة العلاقات الحوارية ، ذلك أنه في اللغة كموضوع للسـانيات "لا توجد ولا يمكن أن توجد أي علاقة حوارية"[2]. خاصة و أنّها لا تأخذ بعين الإعتبار كل ما قد يدخل كمادة أو ميدان قابل لفعل التبادل الحواري كاللغات الطبقية و اللهجات المختلفة و حتى الصور المأخوذة من فنون أخرى.و على العكس من ذلك تهتم الدراسة عبر اللسـانية بكل هذه المستويات باعتبارها المحدد لسياقات حضور الكلمة .

و في هذا الإطار الخارج عن الحد اللساني يسوق بـاختين نظريتـه حـول الملفـوظ Enoncé ، و هو بحديثه هذا يفتح المجال واسعا أمام الدراسات الأدبية لتضع قدما أخرى في طريق البحث فيما وراء النصوص و أشكالها رابطا إياها بسياقاتها المختلفة .

وإذا كان علم عبر اللسان قد وجه جوليا كريستيفا نحو السيميولوجياSemiologie التي تهتم "بالوحدات الكبرى للخطاب "[3].وهو المجال الذي لا ينكر فضله على الدراسـات الأدبية الحديثة أحد. فهو لا يقف عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى مجال علم آخر وجد بدوره

---

1 -راجع" une poétique ruinée"ص 14 .وكذا ما ورد في كتابها" Le texte du roman"حول مصطلح عبر- اللسانية.

2 - Mikhail Bakhtine, La poetique de Dostoievski, p25.

3 - julia Kristeva , Le texte du roman ,p10

الصدى الكبير في السنوات الأخيرة ، وهو ما يعرف بالتداولية Pragmatique التي تهـتم بدراسة اللغة في سياقات استخدامها المتعددة[1] .

لقد احتفى باختين بفكرة السياق قبل زمن من احتفاء التداوليين بها ، فرأى أن كل كلمة تملك " وجهان بالنظر إلى علاقتها بمتحدث ومتلقي"[2]وهذان الوجهان معـا يمـثلان السياق الذي تحدث فيه عملية التلفظ ، والذي يشترط معرفة المتلقين به حتى تتم عمليـة التواصل . وهو سياق ذو خصوصية يتشارك فيها مستخدموه لاغير. بحيث تصبح عملية فهم الكلمة مرتبطة بالانتماء إلى السياق نفسه مما يجعلها أشبه بالشيفرة التي تفـك مـن طرف مستخدميها فقط وتصعب على الآخرين ، أو أشبه بكلمة السر التي لا يعرفهـا إلا أولئك الذين ينتمون إلى الأفق الاجتماعي نفسه.كما يصفها تودوروف .

وإذا كان بنفنست Benveniste يعرف التلفظ على أنه عمل اللغة عن طريق فعل استخدام فردي فإن هذا التعريف ليس التعريف الوحيد، إذ أنه لا يمكن أن نعطي الملفوظ Enoncé تعريفا واحدا من حيث أن هذا الأخير يخضع بالأساس لاستخداماته وانتماءاتـه.غيـر أن باختين يعرفه بانتمائه للسياق لا أكثر بحيث يكون هذا السياق الخاص شرطا لحدوث عملية التلفظ وهو بذلك يفرقه عن الجملة أو الوحدة اللغوية التي لا تحتـاج بالضـرورة سـياقا محددا لتحدث .

إن هذا التفريق بين الوحدة اللغوية والملفوظ يوضح بشكل أكبر، الاهتمام المتزايد لباختين بالسياق ودوره في عملية التلفظ ، حتى أضحى من قبيل القاعدة العامـة أن "كـل ملفـوظ متعلق بسياق اجتماعي وموجه نحو أفق اجتماعي أيضا " سواء في ذلك أكان الملفوظ أدبيا أم لا .

ونتيجة لما سبق، يمكن القول إن الملفوظ لا يتألف من الجانب اللغوي فحسب . بل إن هذه المادة اللغوية لا تشكل إلا جزءا منه فقط في حين ينتمي جزؤه الآخر إلى "سـياق النطق" وبذلك لم يعد هذا الأخير –السياق- مجرد هيكل فارغ أو معـزول، بـل أصـبح عنصرا مهما في تشكيل البنية الدلالية للتلفظ.

---

1 - Voir DMaingueneau,Pragmatique pour le discours litteraire,Dunod,Paris,1997,p3

2 - عبد القادر بوزيدة ،فلسفة اللغة والمبدأ الحواري ... ،ص65.

ويؤكد باختين في حديثه عن الدور المهم الذي يلعبه السياق في تأسيس الملفـوظ ، علـى تلاقيه [الملفوظ] في لحظة وجوده داخل زمن وبيئة اجتماعيـة معينـة ب"آلاف الأسـلاك الحوارية الحية المنسوجة من لدن الوعي الاجتماعي والإيديولوجي القائم حول موضـوع ذلك الملفوظ " [1]،أي أن العديد من الأفكار تدور حول الملفوظ نفسه داخل بيئـة اجتماعيـة وإيديولوجية واحدة مما يدخلها في حوار مع الملفوظ الجديد الذي سـيلتقيها فـي طريقـه للتعبير عن موضوعه ويساهم هو بدوره في هذا الحوار الاجتماعي بحضوره كطرف فـي عملية التلفظ .

هذا ويركز باختين على الوضعية الخاصة بعملية الـتلفظ Situation .وإذا كـان هناك من يستخدم هذه الكلمة –وضعية- بلا مبالاة في أحيان كثيـرة ، و مـن يسـتخدمها مفرقا إياها عن السياق [الوضعية والسياق Situation et Contexte]، إلا أنه قـد تـم استخدامها كذلك –مثلما هو الحال هنا- على أساس أنها الجامع بين النص والسياق .بحيث استخدم باختين هذا المصطلح [وضعية أو وضع كما ترجمها محمد برادة] للدلالـة علـى مكان التلفظ وزمانه وموضوعه أيضا مفصلا في ذلك على النحو التالي :" دعنا نوافق على استخدام الكلمة المألوفة لنا وضع للدلالة على المظاهر المتضـمنة فـي الجـزء اللفظـي الخارجي من التلفظ ، وكذلك على فضاء النطق وزمانه ("أين " ، "متى") وموضوع التلفظ ("عم " ، "يتكلم") وعلاقة المتحاورين بما يحدث"[2] وقد ربطت هذه الوضعية ،والتي تمثـل محيط الملفوظ، بعملية الفهم ربطا وثيقا بحيث أصبحت من ضمن الشروط الأساسـية لهـا يقـول:" لن يفهم التواصل اللفظي أو يفسر دون هذه الرابطة التـي تربطـه بالوضـع الملموس"[3].

وفي عملية التواصل هذه، نحتاج إلى متكلم ومستمع ، إلى مـتلفظ ومتلقـي. وهمـا الطرفان اللذان ينبه تودوروف من أنهما لا يتعلقان بطرفين حقيقيين (واقع خارجي) وإنما يستدل عليهما من داخل عملية التلفظ ذاتها. غير أن ذلك لا يلغي إمكانية الحـديث عـن لافظ حقيقي، ومستقبل أيضا في إطار البحث عن الجانب السـياقي للعمليـة التلفظيـة.

---

[1] -ميخائيل باختين،الخطاب الروائي ، تر:محمد برادة ،دار الامان ، الرباط ،ص

[2] -تودوروف، المبدأ الحواري ،ص91.

[3] -م.ن ،ص99.

فالسياق الداخلي قد يكون في بعض الأحيان أو في نوع من الملفوظات مرتبطـا بسـياقه الخارجي، ولا يمكن الوصول إلى إدراك الفهم إذا ما قمنا بإقصائه [سيتجلى ذلـك فـي التطبيق حين نواجه ملفوظا أدبيا]. و ليس هذا من قبيل النقد للنظرية وإنما محاولة إيجاد متنفس نظري ، يمكن من خلاله ولوج عالم النص الروائي دون إرباك أو إخـلال بمـا جاءت به النظرية. إذ أن محاولة البحث عن إجراءات نظرية تساعد فـي فهـم طريقـة اشتغال النصوص لا يعني التقيد الصارم بالمقولات التي من شأنها أن تقتل النص ،خاصة وأن هذا الأخير قادر على الذهاب بعيدا في إمكانات تحليله ،وذلك عـن طريـق تتبـع الإجراء نفسه. ومنه فإنهامحاولة مد أصول هذه النظرية ، إلى مداها الأوسع الذي لا يغير من شيء في جذورها .خاصة وأن هذه العملية لا تخرج عن الإطار التداولي الذي يعتبر باختين أحد أهم جذورها.

وحتى نتمكن من فهم التلفظ واستيعابه و التفاعل معه ينبغي أن يكتمل هذا الملفوظ . ويـتم ذلك من خلال وعلى مستوى ثلاثة عوامل يذكرها تودوروف على النحو التالي[1] :

- مستوى هدف الموضوع الذي تكلم من أجله
- مستوى القصد الخطابي الخاص بالمتكلم الذي نستطيع أن نستدل عليه من التلفظ والذي يسمح لنا في الوقت نفسه ، بقياس اكتماله .
- مستوى الأشكال المولدة للتلفظ

كما صاغ نموذجا للاتصال بحسب العلاقات التي يقيمها التلفظ والتي يبينهـا المخطـط التالي :

الموضوع
(Objet)

المتكلم (Locuteu — الملفـ ـ و ظ Enoncé — المستمع (Auditeur)

التنـ ـ ـاص
(Intertexte)

---

[1] -تودوروف، المبدأ الحواري ،ص109.

اللغـــة

(Langue)

والملاحظ على هذا المخطط هو الشبه الكبير بينه ، وبين مخطط ياكبسـون Jakobson للاتصال ، إلا أن الفرق الجوهري بين النموذجين هو دخول السـياق كعامـل أساسـي ومحدد للعلاقات بين مختلف عناصر العملية الاتصالية بالنسبة للأول [نموذج بـاختين] بينما يحصر الثاني [ياكبسون] نموذجه في اللغة في انعزاليتها عن سياقها الاجتماعي أو الكلامي عموما .وتمكن عمومية هذا النموذج الذي يقترحه باختين من تطبيقه على كـل أنوع الملفوظات ، رغم اعتبار بعض النقاد[1]لهذه العمومية عيبا مـن عيـوب مقـولات باختين، وإن كان من الممكن اعتبارها من باب آخر أحد أسباب بقاء هذه المقولات قابلـة للقراءة والتطبيق إلى اليوم .

وإذا ما قمنا بسحب المقولات السابقة على نوع واحد من انواع الملفوظ وحصـرها في معنى واحد من معانيه قصد الوصول إلى نتيجة أكثر تخصصا، فإننا سنحصل علـى الطريقة التي يمكن من خلالها البحث في علاقة النص الأدبي بسياقه. و المعنى المقصود هنا هو "النص" وتحديدا "النص الأدبي" ،أي اعتبار الملفوظ الذي يتحدث عنه باختين نصا Texteأو "متتالية لسانية مستقلة "[2]،

ب- النص كفعـل تلـــفظي

يستلزم الملفوظ جزءا غير لفظي (سياقي) ،يحدد ويكمل معناه .وكـذلك الحـال بالنسبة للنص الذي يحتاج بدوره إلى جانب غير لساني ليتم .في حالة كهـذه يـتم فيهـا الحديث عن النص وسياقه ، سيعلن مفهوم أو مصطلح آخر عن حضوره وهو: الخطـاب Discours.

---

[1] -انظر فيصل دراج، نظرية الرواية ،ص84.

[2] - Maingueneau, Les termes clés…,p81.

يمتلك مصطلح الخطاب تعريفات متشعبة منها ما يبحث عن ماهيته الخاصة ومنها ما يحاول الفصل بينه وبين مصطلح النص.فهو حينا يؤخذ كمطلق، وأحيانـا أخـرى لا يعرف إلا بوضعه مقابل مصطلحات أخرى قصد تضييق المسـاحة التعريفيـة كاللغـة (Discours/langue)، الجملة (Discours/phrase)،أوالحكاية ((Discours/récit . أما عن المعنى المراد في هذا السياق فهو ذاك الذي يقابل النص (Discours/texte) بحيث يصبح في هذه الحالة الشكل الذي يجمع النص بسياقه . ومن ثمـة يمكـن إيجـاد التقابلات على النحو التالي:

الخطـــــــاب=النـــــص+سيـــــــــــاق النـص .

وتبعا للمبدأ الحواري، يتداخل النص الواحد مع مجموعـة خطابـات [نصـوص أخرى تابعة لسياقات أخرى] وحوار هذا المجموع الخطابي المتفاعل داخليا مع ما هـو خارجي يشكل خطابا جديدا يتحاور فيه واضعه ومتلقيه ، وإذا كان استخدام الكلمة الأولى أي حوار الخطابات داخليا يقصد به "التناص"، فالصفة الثانية أي حواره مع متلقيه تحيـل إلى نتائج الإرسال والتلقي أو بعبارة أخرى عملية الفهم وإدراك المقاصد والغايات وهـو ما لا يتم دون تحديد ومعرفة السياق .

يتعلق الأمر لمعرفة الجانب السياقي بدراسته من خلال التطرق إلى الكثير مـن العوامل منها المشاركون ،المكان ،اللحظة ،الهدف الموضوع، جنس الخطاب ، القنـاة ، اللهجة المستخدمة بالإضافة إلى معارف المشاركين حول العـالم ، المعـارف الخاصـة بالخلفية الثقافية للمجتمع الذي يحدث فيه الخطاب ...إلخ ، وهي كلها أشياء مهمـة فـي تحليل الخطاب الأدبي وتدخل في إطار محاولة فهمه في سعته الخطابية لا فـي شـكلية النص . إلا انه يمكن تلخيص مكونات السياق في ثلاث نقاط:

-المشاركون Les participantsوهم المشاركون في الفعل التلفظي الذين يلعبـون دورا في الخطاب

-الإطار الزمكانيCadre spatio-temporel الذي تتم فيه عملية التلفظ .

- الهدفLe but الذي يرمي إليه المشاركون ، ويتعلق أساسا بنوع الخطاب .

وتنبغي الإشارة إلى أن هذا السياق ليس معطى بشكل معلن بحيث يتم الحصول عليه بسهولة من خارج النص ، بل يجب استخراجه من خلال التمثيلات Représentationالتي يقوم بها المشاركون وذلك بالبحث خلف المحطات الإشارية المختلفة التي تملأ فضاء النص .وهي ما يعرف بالإشارات السياقية Les indices contextuels التي تمكن من تحديد السياق ، منها ما له حضور ملموس [الهيئة، الديكور،الجنس...] ومنها ما يتعلق بصفات كلامية [لغوية ،تداولية...] ويتم إدراجها في فهم السياق النصي عن طريق التأويل [1].

يمكن القول إن اهتمام باختين بالسياق متأت من نظرته المدققة في عملية الاتصال الإنساني وحين نقول الإنساني فذلك يخرج اللغة من آليتها اللسانية ، إلى حركية وجودها الحقيقي اللصيق بوجود الإنسان الذي يحيا بها و تحيا من خلاله لتصير حياتهما معا شبكة معقدة من العلاقات اللامنتهية.

---

[1] - Voir , Maingueneau, LES termes clés …,p48.

2. التعدد الصوتي في الرواية

تهم دراسة الكلمة وخاصة **كلمة الغير** Mot d'autrui التي تحمل صوت الآخـر داخل كلمة "الأنا "، بشكل خاص في دراسة وفهم النثر الفني ، ونقول النثر بهذا التحديـد لأن باختين فرق بين النثر والشعر مخرجا هذا الأخير من الممارسة الحوارية لما له من خصوصية تجعل الشاعر يتحمل ملفوظاته بشكل مباشر، ورغم ما قد يطرحه تقسيم كهذا من إشكالات [1]إلا أنه يتبناه مركزا الاهتمام على الجانب النثري باعتبـاره مجـال عمـل الحوارية .حيث أن **الناثر** le prosateur ، بخلاف الشاعر" يتطور فـي عـالم ملـيء بكلمات الآخرين التي يبحث بينها عن طريقه ، ومهمته أن يدخلها ضمن كلمته الخاصـة مراعيا بأذن حساسة مختلف تمايزاتها "[2]

و ينصب باختين الرواية ،على رأس الأنواع التي تتداخل فيها كلمة الأنا مع كلمة الآخر ، ويجعلها تواجه باقي الأنواع من حيث قيامها على عكس الخطابات النابعة من السلطة ، في "تيار القوى المضادة للمركز ،قريبا من أدب الأشـكال الـدنيا (حكايـات، كرنفال ، مهرج)* التي ليس لها مركز لساني ، ولها تعددية تنـاقض الآداب الرسـمية وتواجهها بشكل جدالي هجائي ساخر"[3].حيث ارتبطت الرواية -بالنسبة له- بانتشار الكلام الحي والتفكير اللارسمي. حين كان التصوير الواقعي للحياة صفة الأجناس الدنيا وعلينا أن نبحث بذلك عن أصل الرواية في الفلكلور أو الهزل الشعبي الذي أسس لعلاقة جديدة مع اللغة و ظهر كسلف لها .

وينقسم هذا العالم الروائي بدوره ، إلى عالمين أو نـوعين أساسـين للروايـة، بحسـب الأصوات les voix التي يحتويها :

---

[1] Piégay Gros, introduction àl'intertextualité,p26-

-* يشرح بيير زيما رؤية باختين حول الكرنفال بشكل مبسط مفرقا إياها من حيث الطرح الاجتماعي عن كل من لوكاتش وغولدمان Voir Piere Zima,Manuel de sociocritique,l'harmattan,2000.

[3] -ع.بوزيدة :فلسفة اللغة والمبدأ الحواري ....،ص 67.

1. -الرواية الأحادية الصوت **Roman homophonique:**

والتي يمسك فيها المؤلف بخيوط السيطرة المطلقة على العمل بحيث لا يسمع إلا صوته الذي يغطي على كل ما قد يحتويه من تركيبات وكلمات ، ويمثل هـذا النـوع الكاتـب الروسي تولستوي Léon Tolstoi صاحب الرواية الملحمية "الحرب والسلام".

2. الرواية المتعددة الصوت **Roman polyphonique:**

التي رفع لواءها دوستويفسكي ،وأعدها باختين قفزة نوعية في مجال الأنـواع الأدبيـة والتفكير الجمالي ، و التعدد الصوتي كما يستخدمه باختين يعنـي إلغـاء سـيادة الـذات المتحدثة ،حيث تتباين أصوات عديدة تنسجم فيما بينها وتعبر دون أن تكون أي منها هي المسيطرة[1] .

في الرواية المتعددة الصوت، يسمح الكاتب للصوتين بالظهور داخـل الكلمـة الواحـدة ونعني بذلك صوت الأنا المتحدثة داخل الرواية وصوت الآخر باعتباره جزءا من الكلمة ، ويصير من الصعب حينئذ تحديد وضعيتها الخاصة.مما يمنح حرية أكبر للشخصـيات لتقول ما تريد ، بمعنى أن هذا النوع من الرواية يقوم باستبعاد الكاتب-إلى حين - بحيث يكون دوره الظاهر تنظيم كلماتها لا أكثر [2].

وبمثل احتفائه بالحوارية كفكرة ،احتفى باختين بالرواية كجنس وجعل منها أكثر الأنواع الأدبية أهمية ، ولأنها كذلك فهي أفضل مكان لتجلي الحوارية نظرا للقوة التـي يمنحها التقاء كلمة "الأنا" و"الآخر" داخل العمل الروائي الذي يتميـز بالتعـدد الصـوتي واللساني والأسلوبي، ومن ثمة فإن عمله على الرواية المتعددة الصوت ينطلق من فكرة

---

[1] - voir D Maingueneau , termes clés de l'analyse de discours, p 64.

[2] - M.Bakhtine , La poétique de Dostoievski, p281.

أساسية هي أنه في هذا النوع من الروايات ،"كل خطاب يمكـن أن يصـبح موضـوعا لخطاب الآخر "[1].وهي فكرة حوارية بالأساس .

و يتجلى هذا الحضور للخطاب الغيري في الخطاب الروائي بطرق مختلفة وأشكال عـدة ،أهمها الأجناس المدرجة ((intercalé/incorporé)، حيث تتخلل الرواية أجناس أخرى تدخل إلى عالمها كخطاب لا يفقد خصوصيته "الغيرية" ولكنه فـي الآن نفسـه ينـدمج والخطاب العام للرواية .

و يمكن أن تنتمي هذه الأجناس المدرجة إلى الحقل الأدبي كأن تكون قصة أو قصيدة ، كما يمكن أن تكون بعيدة عن هذا الحقل تماما .وقد يشكل وجود مثل هذه الأجناس التـي تملك كيانات خاصة ومستقلة ، قوة داخل العمل الروائي تجعله ينحرف نحوهـا ليصـبح وجودها بمثابة تنويعة للرواية variantes.يقول باختين في هذا الصـدد " إن الروايـة تسمح بأن ندخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبيـة (قصـص، أشعار . قصائد. مقاطع كوميدية .) أو خارج أدبية (دراسات عن السـلوكات ,نصـوص بلاغية و علمية , ودينية)[...]إن دور تلك الأجناس المتخللة جد كبير لدرجة أن الرواية يمكن أن تبدو كأنها مجردة من إمكانياتها الأولى في المقاربة اللفظية للواقـع ,ومتطلبـة لتشييد أولي لذلك الواقع بواسطة أجناس تعبيرية أخرى"[2]

يمكن اعتبار كلمات هذه الأجناس كلمات " متسلطة"، بحيث يصعب تحويرها نحـو معنى جديد يفرضه الخطاب الروائي ،كما يصعب تفجيرها وإدخال صوت آخـر إليهـا باعتبارها بنية منتهية وأحادية الدلالة وباعتبار أن معناها يستند إلـى المعنـى الحرفـي ويتجمد [3]. وتجدر الإشارة إلى أن باختين يرى في كل الأجنـاس والأشـكال الخطابيـة

---

[1] - T.Todorov , Le principe dialogique ,p102.

[2] -م باختين، الخطاب الروائي ، ص.79

-* بالنسبة لباختين ، الرواية هي الجنس الوحيد الذي لا يزال في طور التشكل ، بينما اكتملت باقي الأجناس الأدبية رغم الفروق بينها، راجع : Esthétique et théorie du roman ,p243

1 باختين ، الخطاب الروائي، ص97.

أجناسا وأشكالا منتهية و أن هذا التكون الخاص والسابق للرواية [علما أن الرواية بالنسبة لباختين جنس غير منته *Inachevé] هو ما يعطي لكلماتها تلك الحصانة المتمثلة في السلطة التي تملكها الكلمات. ويدخل ضمن الأجناس المدرجة كل ما هو ديني أو تاريخي أو خاص بكاتب ما أو بكتاب ما ,وعليه فإن هذه السلطة المتأتية من الانغلاق على الذات تقف دون –ولكنها لا تمنع– إدخال تعديلات على مثل هذه البنى ،ضمن بنية لامنتهية هي الرواية فتتعايش معها وتطورها بحيث لا تظهر أي معالم فاصلة بينها ممثّلة كلا روائيا .

ثمة نوع من إعادة التأويل ، يخضع له دخول الأجناس الأخرى إلى الرواية ،ويكون هذا التأويل نابعا بالضرورة من الخطاب الإيديولوجي و الاجتماعي الذي ينتمي إليه خطاب الرواية .

والحديث عن هذين البعدين (الإيديولوجيا / المجتمع)يحيل إلى قصدية كل من الخطاب الأول –الجنس المدرج -وطريقة توظيفه وتضمينه في الخطاب الثاني –الرواية –حيث يقوم بين هذين الخطابين حوار داخلي يجعل من الخطاب الروائي خطابا ثنائي الصوت ، يحمل نيتين :نية مباشرة ، ونية خفية هي نية الكاتب التي تحدد التوجه الجديد لكل الأجناس المدرجة في تكوين عمله الروائي دون أن تفرغ هذه الأخيرة من نيتها الخاصة ،وهي أيضا التي تعيد توجيه هذه النصوص ضمن التشكل الجديد الذي يؤسس عالما روائيا ،قد نراه بأشكال مختلفة ، ولكنه يشترك في أنه رواية قائمة على تعددية خطابية .

مع باختين عاد الحديث عن الإيديولوجيا بعدما تضاءل مع الشكلانيين ،ولكن تناوله لها يقوم على هيكل جديد يحاول من خلاله أن يلغي القطيعة القائمة بين الشكلاني و الإيديولوجي[1] ، بل وجعله هدفا ،فصارت الإيديولوجيا التي تنشئها الرواية بتداخلها مع الخطابات الأخرى تولد من ممارسة الكلام ،كما أنها ليست نتاجا للحياة الاجتماعية فقط ، بل تقوم هي بدورها بإنتاج علاقات اجتماعية .

ويمكن اعتبار التأكيد على الجانب الإيديولوجي ،تأكيدا على أن العلاقات النصية ليست مجرد تداخل كلمات وألفاظ ونصوص فحسب، بل تداخل أفكار أيضا، والفكرة هنا تعني

---
[1] - Ibid, p85

"الانعكاسات والانكسارات داخل المخ البشري للواقع الاجتماعي و الطبيعي الـذي يعبـر عنه بواسطة الكلمة ،الرسم ،والخط أو بشكل سيميائي آخر"[1].

إن المسؤول الأول عن تحديد طريقة تداخل النصوص و استخدامها بحيث تصبح حاملة لمعنى مغاير لمعناها الأول دون أن تخسر هذا الأخير،هو الكاتب حيث لا يستأصل نوايا الآخرين من أعماله بل يدخلها كخطابات تسكنها هذه النوايا ويخضعها لخدمة نواياه الخاصة التي تواكب السياقات المختلفة، وهي سياقات قد تمس المضمون كما قـد تمـس الشكل أيضا ، يقول باختين :" ...التعدد الصوتي والتعـدد اللسـاني يـدخلان الروايـة وينتظمان فيها ضمن نسق أدبي منسجم وهنا لا يمكن أن تكون إلا أسلوبية سوسيولوجية ، فالحوار الداخلي الاجتماعي للخطاب الروائي يستدعي الكشف عـن سـياقه الاجتمـاعي الملموس الذي يعادل مجموع بنيته الأسلوبية وشكله ومحتواه، فضلا عن انه لا يعدله من الخارج وإنما من الداخل ،ذلك أن الحوار الاجتماعي يرن داخل الخطاب نفسه ، وداخـل كل عناصره سواء تلك التي تخص المحتوى أو تخص الشكل "[2]
فصوت الكاتب إذا موجود داخل الرواية المتعددة الصوت وكذا إيديولوجيتـه، ولكنـه لا يتعدى كونه صوتا ضمن بقية الأصوات التي يستخدمها الأصوات في الرواية المتعـذر مما يصعب معرفة " الموقف الذي يتبناه الكاتب ما دام يدير الصراع الإيديولوجي في شبه حياد تام "[3]
وتجدر الإشارة في سياق الحديث عن الإيديولوجيا، انه بالإمكان استنطاق النص "للوصول الى إيديولوجية الشخصيات الماثلة فيه أو إيديولوجية الراوي الـذي يحركهـا، أو حتـى

---

[1] -م باختين ،الخطاب الروائي ،من مقدمة المترجم :محمد برادة ،ص18.

[2] -المرجع نفسه ،ص38.

[3] -حميد لحميداني،النقد الروائي والإيديولوجيا ، المركز الثقافي العربي الدار البيضـاء / بيروت ،ط2،أوت1990، ص36.

إيديولوجية المؤلف الذي ينشئ هذا العالم ويوجهه أنا [أنّى] شاء"[1]، فذلك يشير إلى المتكلم في الرواية باعتبار أن المتكلم هو الذي يحمل الرواية خطابها الإيديولوجي.

يمكن القول إن حوار النصوص وتداخلها ضمن آلية لغوية وأسلوبية جديدة يمـنح الخطابات الأجنبية قدرة على التشكل بطرق مختلفة داخل عالم أدبي جديد ومحور بشكل جوهري ، فهو غاية أدبية جديدة ، وهذا العالم لا يمكن أن يوجد إلا داخل الرواية لتصبح هذه التداخلات المتوجهة قصديا نبرة رئيسية لها: "إن الروائي وهو يتعامل مع هذه اللغات والأصوات المتعددة لا يستأصل نوايا الآخرين ولا يحطم العوالم والرؤى التي تتبدى من وراء تعدد الأصوات وتعدد اللغات انه يدخلها عالمه الروائي مسكونة بنوايـا الآخـرين ويسخرها في الوقت نفسه ، لخدمة نواياه الخاصة ،هنا تكمن خصوصية الجنس الروائي ، وتميزه "[2] حيث لا تكون الأدوار الإيديولوجية التي تؤديها مختلف الشخصيات في نهايـة المطاف إلا رسما لإيديولوجية عامة تخاص إليها الرواية وتكـون الممثـل لإيـديولوجيا الكاتب. مما يعني أننا في هذه الحالة أمام إيديولوجيا الرواية كلهـا والتـي نقصـد بهـا التصور الخاص بالكاتب.إذ " عندما ينتهي الصراع بين الإيديولوجيات في الرواية تبـدأ معالم إيديولوجية الرواية ككل في الظهور "[3].

وحري أن نتساءل عن تجسيد هذه الخطابات ذات الوجود السابق والمستقل، القريـب أو البعيد عن العالم الأدبي داخل الخطاب الروائي من حيث الفرق بينها كخطابات في سياقها الأول ، وكخطابات متفاعلة داخل السياق الثاني .

يطرح باختين، مثل هذا التساؤل ويجيب عليه ملخصا في إجابته البعـد الفنـي لعمليـة التفاعل الحواري والتعدد اللساني ، حيث منح الأهمية للسياق الجديـد الـذي يتضـمن الخطابات، مشبها الروائي بالنحات الذي ينحت من خطابات الآخر، شكلا جديدا خاضعا

---

[1] -محمد القاضي :"في حوارية الخطاب لروائي" ،أعمال ملتقى بنغازي ،اللجنة الثقافية ،جربة تونس ،ص214.

[2] -ع بوزيدة :"فلسفة اللغة والمبدأ الحواري"... ،ص70.

[3] -حميد لحميداني،م ن، ص35.

لطريقته في الرؤية[1].وهذا الشكل الجديد والمضمون بما يندرج فيه من خطابات، خاضـع لقصدية الكاتب الخاصة التي لا يمكن أن نكتشفها إلا في إطار السياق الخاص الذي جاء فيه [2] .

-[1] Voir M Bakhtine Esthétique et théorie du roman ,p175.

[2] -ع.بوزيدة ، المرجع السابق ،ص65.

شبكة العلاقات عبر النصية : جيرار جينات

1.العلاقات عبر النصية **Transtextualité**

2.التعالق النصي **Hypertextualité**

3.العنونـ ـ ـ ـة **Titrologie**

4. التصديـ ـ ـ ـر **Epigraphe**

العلاقات عبر النصية:

في كتابه "مدخل الى جامع النص" Introduction à l architexte، يمنح جيـرار جنيت * Gerard Genette تسمية النص المحيط Paratextualité للعلاقات التي تربط النص الأدبي بغيره من النصوص، ثم سرعان ما يحجم عن هذه التسمية أو يحتفظ بهـا لنوع واحـد مـن هـذه العلاقـات ويفضـل اسـتخدام مصـطلح العلاقـات عبـر-النصيةTranstextualité أو Transcendance textuelle للدلالة على"كل ما يجعـل النص في علاقة ظاهرة أو خفية ،مع نصوص أخرى"[1].وقد جعل من هذه الفكرة المؤسس للأدبية والموضوع الخاص للشعرية[2]، معتبرا هذه العلاقات التي تربط النصوص بعضها ببعض الخصيصة التي تميز النص الأدبي.

ينصب بحث جينات في إطار البحث عن الأدبية أي ما يميز النص الأدبي، وهو ما قـد يحيلنا إلى واحد من الإسهامات التي كان لها دور في تكوين نظرية التناص والمتمثلة في فكرة "الأدبية" كما أنتجتها جهود الشكلانيين الروس ، والتي يمكن عدها أحـد المصـادر التي استند عليها جينات في بحثه عن العلاقات النصية: "ولعل فضل هؤلاء الشـكلانيين يكمن في تركيزهم على انغلاق النص الأدبي بما هو نسق قائم بذاته ،واستبعادهم الأسباب الخارجية لصالح العلاقات الداخلية التي تُنسج بين الآثار، وإعلائهم من شأن الطريقة التي بتغير ما داخل الأثر تتغير وظيفة العنصر المعني " .[3]

---

* جيرار جينات باحث فرنسي ، ولد سنة 1930، ناقد و مهتم بالشعرية، له اسهامات مهمة في المجال الأدبية الفرنسية ، ينتمي إلى تيار النقد الجديد (انظرmsn.encarta.com)

1- Genette,Palimpsestes : La littérature au second degré.Seuil,1982,p07.

2 - Voir N.P.Gros ,Introduction à l'intertextualité,p181.

3 -أحمد السماوي، التطريس في القصص:إبراهيم درغوثي نموذجا، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس،2002، ص.25.

وإذا كان التعريف الذي يقترحه جينات عاما للعلاقات التي تربط النصوص بعضها ببعض، فإنه يقترح إلى جانبه مجموع تعاريف تخص التصنيفات التي تنشأ عن هذه العلاقة الكلية ، وهي بحسب الترتيب الجيناتي:

1. **التناص l'intertextualité:** وهو المصطلح الذي أدخلته جوليا كريستيفا ،ويستعمله جينات للدلالة على " الحضور الفعلي لنص في نص آخر"[1] ويتجلى من خلال مظاهر ثلاث:

- **الاستشهاد citation** : الذي يقابل الدرجة العليا لحضور نص في نص آخر حضورا واضحا وحرفيا سواء استخدم في ذلك علامات التنصيص (المزدوجان) أم لا.

- **السرقة الأدبيةPlagiat** : وهي استعارة حرفية أيضا، إلا أنها تتم في الخفاء عكس الأولى ،أي أنها غير معلنة . ورغم تجذر مصطلح السرقة الأدبية في النقد إلا أن العديد من النقاد يتفادون استخدامه مقترحين مصطلح الاقتراض ، أو مكتفين بالإشارة إلى عدم مناسبة المصطلح للظاهرة الأدبية الخاصة بتقاطع النصوص، يقول أحمد السماوي:"أليس في مثل هذا الموقف نزعة أخلاقية لم تستطع التخلص من رواسب القيم القديمة ؟أو ليس في ذلك ضرب لمفهوم التضافر النصي حيث حركة النصوص وتفاعلها؟ فمادامت هوية النصوص قد غابت ، وما دامت قد اندثرت بحكم انصهار النصوص المتعددة فيه ،فإن الكلام على سرقة بما تحمله الكلمة من شحنة تهجينية ظاهرة ، يناقض مفهوم التضافر النصي "[2]

- **الإيحاء allusion :** تقل فيه الحرفية والعلنية ، لكن أدنى مجهود من طرف القارئ يمكن أن يوصل إلى إقامة علاقة بين النص الحالي والنص الموحى إليه، بحيث لا يمكن فهم الأول فهما دقيقا دون إدراك العلاقة بينه وبين الثاني.

2. **المحيط النصي le paratexte:** الذي تنفصله عن النص مسافة أكبر وأقل وضوحا،وتدخل ضمنه العناوين وكل ما هو قريب من النص دون أن يكون النص

-2 Ibid,p8.

[2] -أحمد السماوي،المرجع نفسه،ص40.

في حد ذاته ، وقد اعتبر جينات المحيط النصي نوعا يستقي أهميته من قربه الكبيـر من البعد التداولي للنص الأدبي ، و ذلك من حيث فعله على القارئ.

3. **الميتانص Metatextualité:** وهي باختصار علاقة "التعليق" التي تربط نصا بآخر ،حيث يمكن أن يتحدث نص عن آخر دونما حاجة حتى لذكره. وهـي العلاقـة التي يمثلها النقد بامتياز.

4. **النص الجامع l'architextualité**: الذي يحدد علاقة النص بجنسه وتظهـر أحيانا على شكل مؤشر جنسي في الصفحة الخاصة بالعنوان (رواية ،قصة،شعر...). وهو العلاقة الأكثر ضبابية بحيث يصعب تحديدها نظرا لكونها علاقة صامتة [1]فـي الغالب الأعم .وبإمكانها أن "ترسم للمتلقي أفق انتظار، ومن ثم تقبلا ما للأثر"[2]

5. **التعالق النصي l'Hypertextualité** : وهو علاقة نص بآخر حاضـر بشـكل معلن ومهم.

هذه العلاقات حسب جينات هي اختراق من ضمن الاختراقات النصية. وينبه إلى ذلك مشيرا إلى أن كل قسيمات التناص لا تعد الممثل الوحيد للاختراقات النصـية، بـل هناك علاقات أخرى كتلك التي تربط النص بالواقع الخارجي والتي يستثنيها من دائـرة اهتمامه[3] .كما لا يجب النظر إلى هذه التصنيفات بالانعزالية التي تظهر بها أثناء عملية التصنيف –أعلاه- التي فصل فيها جينات ، لأنها كثيرا ما تتكامل و تتوحد .
هناك من يرى ان عمل جينات هذا، يصب في سياق عمل ميخائيل بـاختين فـي بـاب العلاقة بين الملفوظات وحدوث عملية التفاعل بينها [4]،إلا أن الأسلوب الذي ينحى منحـى

---

[1] - Voir G.Genette,palimpsestes,p12.

[2] - احمد السماوي،التطريس ،ص52.

[3] - VoirG Genette, Palimpsestes,p11.

-2 Voir, d. Maingueneau, Pragmatique pour le discours litteraire,p22/23

تعليميا (ديداكتيكيا)،والذي يتميز به عمل جينات وتحديدا هذا التقسيم الذي "مكن جينـات من تطوير نظرية التناص وتوسيع أنماطها بتمييز بعضها عن بعض، وإبراز نقط تداخلها وتداخلها "[1] ،جعل العديد من الدارسين يعتمدون عليه في البحـوث الخاصـة بالعلاقـات النصية المختلفة[2]،غير أن مثل هذه العودة لا تعني-دائما- الفهم التام لعمل جيرار جينات وللأفكار التي يعرضها،إذ أن كثافة استخدامه للمصطلحات وكذا تباين المفاهيم و تداخلها في الآن نفسه أدى إلى شيء من الخلط فيما يخص بعض التصورات*.

---

[1] سعيد يقطين،الرواية والتراث السردي:من أجل وعي جديد بالتراث ،المركز الثقافي العربي ،ط1:أوت1992،ص.23.

4- انظرأحمد السماوي، التطريس في القصص ...،ص24.

* في هذا السياق يمكن أن نورد الخلط الذي وقع فيه أحمد السماوي حين رأى في كتاب جنيت عتبات أنه " ينظر في الوصف النصيMetatextualité . وأي مهتم بعمل جينات حول التناص يعلم دون شك انه خصص هذا الأخير لدراسة المحيط النصparatexte .انظرالمرجعالسابق،ص43 .كما يمكن العودة إلىSeuils,Seuil,1987.بالإضافة إلى ما فهمه المرتجي الذي يقول عن التعالق النصي بأنه" كل عملية توليدية لنص من طرف نص آخر عن طريق تحويل بسيط ، يطلق عليه اسم التقليد " ليس هذا فقط بل هناك التحويل أيضا.انظر سيميائية النص الأدبي ، ص56.

1. التعالـــق النصي

يقصد بالتعالق النصي *العلاقة التي تـربط نصـا "A" ويسـمى الـنص اللاحـق l'hypertexte بنص آخر "B" سابق له أي النص السابق l'hypotexte, بحيث تكون العلاقة بينهما علاقة اشتقاق بمعنى وجود "نص مشتق من نص آخر سابق الوجود "[1].

وفي صدد الحديث عن النص الذي يستخلص وجوده من نص آخر، يورد جينـات الميتانص باعتباره نصا قائما على نص آخر و يدخل ذلك ضمن العلاقة التي تربط نصا مع نص مرجعي بالنسبة له ،إلا أن الفرق بين العلاقتين(الميتانص/ التعـالق النصـي) تكمن في أن الأول يقوم بعملية توصيف للنص بينما يقوم الثاني بعمليـة تحويـل لـه transformationمهما كان نوع هذا التحويل.

ويخضع جينات التحويل الممارس على النص اللاحق لعملية استنطاق مهمة طوال كتابه Palimpsestes محاولا بذلك التعرف على حدود اشتغاله لاعادة كتابة الـنص السابق ، لأنه يتعدى كونه تغييرا ما في بناء النص .

يمكن اعتبار التعالق النصي نوعا من الترقيع Bricolage ، ذلك أن لهـذه الكلمـة معنى نبيلا غير المعنى المستخدم في العادة، إذ توكل لها مهمة عمل شيء جديد من آخر قديم ، مما يكسب النص الجديد--اللاحق- وظيفة جديدة تتكئ على الوظيفة القديمة للنص السابق[2] .ويمكن لهذه الازدواجية بين القديم والجديد (نص سابق /نص لاحق)أن تتجلـى في الصورة القديمة للطرسpalimpseste حيث يكتب نص فوق آخر لم يمح تماما ولكنه يسمح بالرؤية[3] .

---

*اعتمدنا في ترجمة المصطلح على سعيد يقطين ، وليس هذا من باب الاقتناع بها كترجمة بل من باب تفادي الدخول في إشكالات مصطلحية .

1- Genette,Palimpsestes,p13.

2 Ibid,p556.

3 Ibid,p558.

إن قراءة التعالق النصي، هي قراءة نصوص عديدة مترابطة فيما بينها يسميها جنيت بالقراءة العلائقية Lecture relationnelle و التي تسمح بنوع من الممارسـة البنويـة لكنها بنوية مفتوحة هذه المرة.كما يسمي جينات هذا النوع من الأدب أي الأدب المتعالق مع نصوص سابقة، أدبا من الدرجة الثانية باعتباره كتابة على المكتوب وهو ما يفقـدها اكثر علاقتها بالواقع. وكلمة قراءة هنا تحيلنا إلى الدور المنوط بالقارئ سواء أكان قارئا عاما أم متخصصا، حتى أن هناك من يجعله الطرف الأهم في عملية اكتشـاف التنـاص والمراد منه ذاكرته بالخصوص "الضعيفة أو القوية وسـعة اطلاعـه القليـل أو الكثيـر وسرعة بديهته أو بطؤها وهو ما يعني أن المتناص لا وجود له موضوعيا ،وإنما هـو رهين ذاتية القارئ" [1]

وتجدر الإشارة إلى اعتبـار جينـات التعـالق النصـي ممارسـة- عبـر جنسـية – Transgenerique تحوي في داخلها أجناسا أقل كالباروديا والمعارضة كما تختـرق أجناسا أخرى قد تكون تخييلية ، كما قد تكون خاضعة لنظام واقعـي أو لهـا مرجعيـة اجتماعية أو شخصية وعلى رأسها التاريخ والسيرة الذاتية.ويمكن الحديث هنا عن تقاطع أفكار جينات الخاصة باختراق الأجناس مع فكرة باختين حول الأجناس المدرجة،إننا أمام الفكرة نفسها- تقريبا- مع فرق خاص يتمثل في الأهمية الكبيرة التي تكتسيها هذه الفكرة عند باختين مقارنة بجنيت .

أ-التحويل الكمي

تتم عملية التعالق النصي بطريقتين ، إمـا بالمحاكـاة Imitation أوالتحويـل Transformation ويمكن اعتبارهما النوعين الأساسيين في أي عمل يقوم بين نصـين وهما، رغم بساطتهما الظاهرة ،يحويان كل عمليات التعالق النصي*.وللتفريق بينهما يمنح

---

[4]- أحمد السماوي، التطريس،ص22.

جينات لكل منهما تعريفا بسيطا، جاعلا التحويل قول الشيء نفسه بطريقة أخرى، بينمـا المحاكاة قول شيء آخر بطريقة مشابهة.[1]

ويحتل التحويل الجاد Transformation sérieuse في رؤية جينـات، مكانـة هامة بين الممارسات التي تخضع لها عملية التعالق النصي أو في العلاقة بـين الـنص السابق والنص اللاحق وذلك لأسباب تتعلق أساسا بما تحمله هذه الممارسات من تـاريخ طويل من حيث الجانب القيمي وكذا الجمالي لنصوصها بالإضافة إلـى تعـدد إمكانـات الاشتغال أي الإجراءات التي يمنحها التحويل في علاقته مع النص السابق ومـن بينهـا الترجمـــة Translation ،التشـــكيل الشـــعري Versification،التشـــكيل النثري Prosification ..الخ

في هذا المجال، يمكن للنصوص بشكل عام سواء كانت أدبية أم لا ، أن تتلقى نوعين متناقضين من التحويل الكمي (التوسيع والتقليص) الذي لا يتلقى النص من خلالهمـا أي تعديل على مستواه التيمي. حيث يمكن القول أن تقليص أو توسيع نص ما معنـاه إنتـاج نص آخر انطلاقا منه ،أكثر قصرا أو أكثر طولا لا اكثر.[2]

---

* يشير جينات بالإضافة إلى ذلك إلى نوع آخـر مـن التعـالق النصـي وهـو التعـالق النصـي الذاتيAutohypertextualité الخاص بالنص القبلي l'avant texte حيث تقوم بين النص في حالة اكتماله ونصوصه الأولـى علاقـة تحويـل توصـلنا إلـى الـنص فـي حالتـه النهائيـة .انظـر Palimpsestesص551.

1- Voir Genette , palimpsestes,p15.

2- Ibid. p321.

1. الاختصــــار:

في الاختصار Réduction يتم في النص اللاحق اقتطاع بعض الأجـزاء مـن الـنص السابق . وذلك بطرق تختلف من حيث الكيفية والغاية أيضا:

- **البتر:**

و هو أبسط أشكال الاختصار ،يقوم فيه النص اللاحق باقتطاع أجزاء معينة من النص السابق دون تدخل آخر في العمل. ويرى جينات أن ذلك لا ينقص من قيمة العمل بحيث يمكن أن يكون هذا البتر لصالحه إذا ما تم بتر الجانب السيئ فيه . و ضمن هذه الطريقة في الاشتغال على النص السابق ،يمكن أن ندخل التشذيب Emondage/Elogage الذي يخص تقليص الأعمال إلى ما لا يتعدى لحمة نسيجها السردي نازعـا كـل مـا يتعلـق بالأفكار أو التاريخ ، وتوجد خاصة في روايات المغامرات الموجهة للشباب . بالإضـافة إلى البتر التهذيبي l'expurgation الذي يتعلق أساسا ببتر الأجزاء التي قد تؤثر سـلبا على الناشئين ويخص الأمور التي يجب أن لا يدركوها بعد، فهو إذا جانب أخلاقي يعرف بالرقابةCensure حين يمس البالغين.وقد يكون هذا البتر التهذيبي -وهي العملية ،حسب جينات ،القليلة الانتشار- ذاتيا يقوم به الكاتب نفسه.[1]

- **الايجاز:**

لا يمس الإيجاز Concision أي جانب تيمي له معنى في النص ولكنه لا يبقي على أي من كلماته، بحيث يعيد النص اللاحق كتابة النص السابق بأسلوب موجز ليصبح لدينا نص آخر قد لا يبقي على أية كلمة من كلمات النص الأول ولكنه لا يضيع معانيه .

- **التكثيف:**

---

*يفصل جينات في أنواع الاختصار ويشرح كل نوع على حدة وخاصة فيما يخص التكثيف . يمكن العودة إلى كل التفاصيل الخاصة بهذه الأنواع في كتاب–Palimpsestesص362/341.

1- voir palimpsestes,p332.

وعلى عكس النوعين السابقين لا يمس التكثيـف Condensation الـنص السـابق إلا بطريقة غير مباشرة ،إذ تتولاه عملية عقلية تمحي فيها كل جمل النص ،ولا تُبقي إلا على حركته العامة التي تصبح الممثل الوحيد للنص الملخص.*

2. **الاضـ ـ ـ ـافة:**

بعكس عملية الاختصار التي يمارسها النص اللاحق علـى الـنص السـابق ،تظهـر الإضافة Augmentation كعملية مضادة للأولى تضيف أجزاء إلى الـنص السـابق وذلك بطرق ولغايات متعددة أيضا:

- **التمطيطExtension**: التي يقوم من خلالها النص اللاحق بإضافة مقاطع للـنص السابق دون مساس بجمله أو مقاطعه الخاصة .
- **الإسهابExpansion**:يعتمد النص اللاحق في هذه الحالة على عملية تمديد تتعلق بأسلوب النص السابق وذلك بالاشتغال على جمله ذاتها بمضاعفة طولهـا - يمكـن زيادته إلى اكثر من ضعف واحد.
- **التوسيع: Amplification** يجمع هذا النوع بين النوعين السابقين أي انه يمـارس على النص السابق عمليتي الزيادة الجملية في النص مع الاشتغال على جمله الأصلية وذلك بتمديدها .

وهذان الشكلان الخاصان بالاشتغال على النص السابق من حيث الكم -تحديدا– لا يتمتعان باستقلالية تامة إذ كثيرا ما يتواجدان بشكل مترابط ومشترك في الـنص ذاته ،بحيث إذا لم يقم النص على أيهما قام على ترابطهما انطلاقا من الصيغة التالية:[1]

حذف (suppression)+إضافة (addition)=استبدال (substitution)

ومن الواضح أن النصوص تقوم على هذه الصيغة اكثر من قيامها على عمليتي الحذف والإضافة كل على حدة.

ب-التحويل الصيغي la Transmodalisation :

[1] Voir,Genette ,Palimpsestes p348

وهو حسب جينات "كل تعديل يمس طريقة التمثيل الخاصة بالنص السابق"[1]. وهو ما يعني تغييرا في الطريقة Mode ، ومن ثمة فهو -تغيير- مرتبط أساسا بما يعرف منذ القدم (أرسطو) بالدرامي dramatique و السردي narratif . وينقسم التحويل الصيغي إلى نوعين: :

-**التحويلات ما بين الصيغ intermodales**، وهو التغيير الذي يشمل التحويلات الحاصلة من صيغة إلى أخرى

- **التحويلات داخل الصيغة intramodales** و تشمل التغييرات التي تمس العمل الداخلي للصيغة ذاتها.وانطلاقا من هذا التقسيم نحصل على التفرعات التالية:

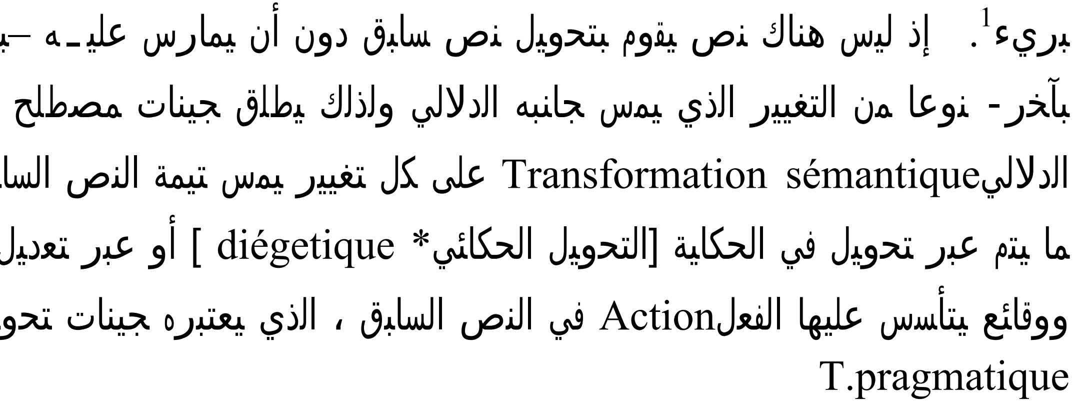
1-**التشكيل الدرامي dramatisation** : أي الانتقال من الصيغة السردية إلى الدراما ،والتغييرات الحاصلة داخل هذا التحويل تشتكي من الفقر النوعي و ضعف الأهمية.[2]

2-**التشكيل السردي narrativisation**: وهو، على عكس النوع السابق، الانتقال من الصيغة الدرامية إلى السرد. وتحتل التغييرات الحاصلة داخل هذا التشكيل مكانا مهما من حيث التنوع والتعدد:

- **التنظيم الزمني Ordre temporel**: وفيه يغير النص اللاحق النظام الزمني للنص السابق الذي يكون كرونولوجيا ،وذلك بإدخال المفارقات الزمنية Anachronies[أي ما يعرف بالسوابق Analepses/اللواحقProlepses] على هذا النظام المتسلسل زمنيا .

- **المدة والتواتر Durée et Fréquence**: وهو ما يخص "نظام سرعة الحكي"[3]،حيث تملأ ثغرات سردية أو على العكس تحذف بعض المقاطع الخاصة بالحكي وتعوض بمقاطع وصفية يتوقف فيها الحدث .
- **الصيغة/ المسافة distance/Mode** وهو التغيير الواقع حول الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر وكذا وجهات النظر .

-[1] Genette,palimpsestes,p395.
[2] Ibid,p404.
1 Ibid,p406.
-2 Ibid. ,p418.



وعموما، يمكن الحديث في عملية التحويل ، عن تحويلات ذات طابع شكلي بحت كالتشكيل الشعري مثلا ، إلا أن بعض التحويلات الأخرى تكتسي أهمية كبيـرة علـى مستوى علاقتها بالنص السابق وفي هذا السياق يعترف جينات أنه ليس هناك من تحويل بريء[1]. إذ ليس هناك نص يقوم بتحويل نص سابق دون أن يمارس عليـه –بشـكل أو بآخر- نوعا من التغيير الذي يمس جانبه الدلالي ولذلك يطلق جينات مصطلح التحويـل الدلاليTransformation sémantique على كل تغيير يمس تيمة النص السابق وهـو ما يتم عبر تحويل في الحكاية [التحويل الحكائي* diégetique] أو عبر تعديل أحـداث ووقائع يتأسس عليها الفعلAction في النص السابق ، الذي يعتبره جينات تحويلا تداوليا T.pragmatique

---

*-يحاول جيرار جينات في هذا السياق البحث عن تفريق بـين الحكايـةDiégèse والفعـلaction، ويحيل القارئ في ذلك إلى كتابه figures 3. إلا انه يصل بعد طرحه لإشكالية تداخل المصـطلحين وصعوبة التفريق بينهما إلى نتيجة تحدد الوجه الذي ستستخدم به الحكاية في هـذا المجـال ألا وهـو الفضاء الزمكاني الذي تحدده القصـة « univers spatio-temporel désigné par le récit . » انظرPalimpsestes ص419.

جـ - استبدال الحوافز Substitution des motifs *

التحويل التحفيزي Transmotivation هو أحد الإجراءات المهمة في التحويل الـ دلالي يحوي بدوره ثلاث مظاهر أولها

- **التحفيز البسيط** Motivation simple وهو إجراء إيجـابي ،يقضـي بإدخـال موتيف لم يكن موجودا في النص السابق أو على الأقل لم يشر إليه النص السابق**[1].
- **اللاّتحفيز** Démotivation: وهو إجراء سلبي أساسا ، يمحو به النص اللاحق مـا وجد كموتيف أصلي في النص السابق
- التحويل التحفيزي Transmotivation: وتجمع الإجراءين معا، بحيث يقوم النص اللاحق بحذف الموتيف الذي يقترحه النص السابق وإضافة موتيف آخر جديد بحسب الصيغة :

Motivation +demotivation=transmotivation.

د- التحويل القيمي La Transvalorisation

وهي عملية تميز التحويل الجاد يتم فيها اشتغال النص اللاحـق علـى القيمـة valeur الخاصة بالنص السابق . ويظهر هذا الإجـراء بشـكل خـاص فـي تقيـيم الشخصيات la valorisation d'un personnage والتي تمنح فيهـا الشخصـية دورا أكثر أهمية في نظام قيم النص اللاحق ، مما كان لها في النص السابق ،وذلك عبر تحويل تداولي(تغيير حركية الفعل) كما يظهر في الحركة العكسية المتمثلة في إلغاء القيمـة Dévalorisation و التي تعني إعطاء الشخصية دورا أقل قيمة مما منح لها في النص

---

*-لسنا المستخدمين لهذا المصطلح بل هناك أيضا حميد لحميداني في بنية النص السردي وكذا محمـد معتصم في ترجمة كتاب جينات عودة على خطاب الحكاية ص،233.

**-يمكن أن يتضمن هذا المظهر الإجابة على أسئلة لم تظهر في النص السابق ، لماذا- مثلا-حدث هذا الحدث بهذه الطريقة ؟ حيث يقوم النص اللاحق بتقديم الإجابة.

السابق. وهاتـان الحركتـان معـا تشـكلان نوعـا آخـر هـو التحويـل القيمـي Transvaloration يتعلق بتقييم ما ليس له قيمة وإهمال ما له قيمة في الـنص السـابق وهو النوع الذي يمثل مجموع الإجراءات الممارسة من حيث التقييم وعدمه على عكس الأصل النصي[1]

[1] - voir G. Genette, Palimpsestes, p514.

2. العنـاويـ ـ ـن:

يولي النقد الأدبي الحديث اهتماما خاصا بالعنونة " titrologie " ، و تـدخل ضمن دائرة هذا الاهتمام الخاص الدراسة التي قام بها جينات في سـياق بحثـه عـن العلاقات النصية معتبرا إياها أحد عناصر المحيط النصـي الـذي أفـرد لـه كتابـه "عتبات"« Seuils » .

يدخل العنوان إذن ضمن ما يسميه جينات المحيط النصي الذي يمثل كل ما يحيط بالنص من :"عنوان ،عناوين فرعية ،عناوين داخلية ،مقدمات،ملاحق ،مـداخل،توطئات ،،حواشي ،هوامش سفلى وفي آخر الكتاب ،تصديرات ،صور ،الإعلان عن إصدار جديد ،شريط ،مجلد الكتاب،وغيرها من العلامات الملحقة "[1]*.وإذا كان جينات يقـوم بتقسـيم المحيط النصي بين محيط نصي خارجي (إعلامي) l'epitexte و محيط نصي داخلي (مرجعي) le Peritexte ، فإن التقسيم الذي يقترحه مانغينو لنفس الظـاهرة _المحـيط النصي _ يبدو أكثر مناسبة وأكثر قدرة على الفصل لتسهيل مهمة الدارس باقتراحه ل:

-محيط نصي خاص بالمؤلف paratexte auctorial [2]

- محيط نصي خاص بالناشر paratexte éditorial

وإذا كان النوع الأول يدخل في صميم العلاقات النصية من حيث انتمائـه الافتراضـي للكاتب*وكذا من حيث إلزامية العلاقة بين المتن ومحيطه من عناوين تصـديرات ،فـان الثاني مرهون بعلاقة إشهارية واقتصادية تخص عملية استهلاك الكتـاب لا مـن حيـث

---

1 Genette, Palimpsestes, p10.

-* titre,sous-titres ,intertitres ,préfaces ,poste-faces ,avertissement ,avant propos ,etc ;notes marginales ,infrapaginales ,terminales ,épigraphes , illustration ,prière d'insérer ,bonde,jaquette ,et bien d'autre types de signaux accessoires.

-2 Voir D.Maingueneau,Les termes clés…,p60

مقروئيته ،بل انطلاقا من كونه كتابا أي "منتوجا" produit موجها للتعامل التجاري وهو الأمر الذي يهم الناشر بالدرجة الأولى** مما ينقص مـن جانـب الأدبيـة أو العلاقـة المباشرة مع الأدب إلا في القليل النادر بالنسبة لعالمنا العربي الذي لم يدخل بعد مجـال الاحترافية في صناعة الكتاب بشكل عام و الكتاب الأدبي على وجه الخصوص .لـيس من السهل إذن تطبيق نظرية أو مجموع مقولات تستقي وجودها من معطيات سبقتها كما هو الحال مع المحيط النصي كما يقترحه جيرار جينات الذي قام بدراسة الظاهرة بعـد أن صارت تقليدا أنشأته ورسخته دور نشر محترفة (يعتمد كتاب "عتبات" كمدونة تطبيقية على ما أصدرته دار النشر المعروفة Seuil) ،بينما لم تؤسس -في تقديري-صـناعة الكتاب لدينا ظاهرة تستحق الدراسة في الوقت الحالي . و يمكن أن تتعزز هذه الفكـرة برؤية جينات التي تقول بأن المحيط النصي يجعل النص مواكبا للحاضر و يضمن عملية استقباله و استهلاكه تحت الشكل الحالي الذي هو الكتاب[1].إننا في مجال الدراسة الأدبيـة للعلاقات النصية لا نهتم بالكتاب كمنتوج بل بالنص في حد ذاته وبالعلاقات التي قد يقيمها مع غيره من النصوص .و من الجدير هنا التساؤل عما إذا لم تكن الأهمية الممنوحـة لهذا الجانب الذي كثيرا ما يأخذ بعدا شكليا formel وليد ثقافة ماديـة صـارت هـي المهيمنة على الفكر المعاصر.و لا يعني ذلك التخلي عن المعطى النظري ككـل ، بـل التريث في استخدامه بما يوازي سيرورة العملية الأدبية في العالم العربي أو سـيرورة صناعة الكتاب ككل .ومن ثمة،يمكن استثمار بعض الجوانب منه، خاصة تلك المتعلقـة بالكاتب و على رأسها العناوين.

---

*-الافتراض هنا نابع من قدرة أطراف أخرى على التدخل في وضع العناوين بدلا من الكاتب ،ستتم الإشارة إلى ذلك في حينه .

**-ليس هذا مجرد حكم مسبق حيث أكدت لنا بعض دور النشر المهمة على الصعيد العربي والتي حاورنا ممثليها في المعرض الدولي للكتاب بالجزائر العاصمة سبتمبر2005 أن الهم الأول للناشر هو الإشهار، كما وجدنا جهلا تاما تقريبا لما يوجد في الساحة الأدبية النقدية من اهتمام بالتفاصيل المتعلقة بالنشر والكثير من الاخلالات بما يشكل المحيط النصي .

[1] - Voir G. Genette,seuils,p07.

تنتمي العناوين بشكل عام (عنوان رئيسي،عناوين فرعية أو داخلية) إلى المحـيط النصي في جانبه الخاص بالكاتب ،وتحتل مكانة هامة في دراستها و كذا تموقعهـا فـي النص –الكتاب- بشكل متكرر وواضح. كما تعتبر لدى البعض مفصلا هاما يجعل غيابها النص " نصا ناقصا "[1]"بل هو بمثابة الرأس للجسد ، بمعنى أن الجسد لا" يعدو أن يكـون سوى تمطيط لهذا الرأس فهو المفتاح السيميولوجي لولوج النص" [2].وما قد يثيره اعتبـار كهذا هو البحث عن مدى النقص الذي سيعاني منه النص إذا ما كان من حق الناشر مثلا أن يرفض عنوان الكاتب ويضع عنوانا يراه أكثر مناسبة*. و إذا ما كان العنوان ،كتـابع للمحيط النصي، يقوم بعملية ترهين للنص كما رأينا سابقا.

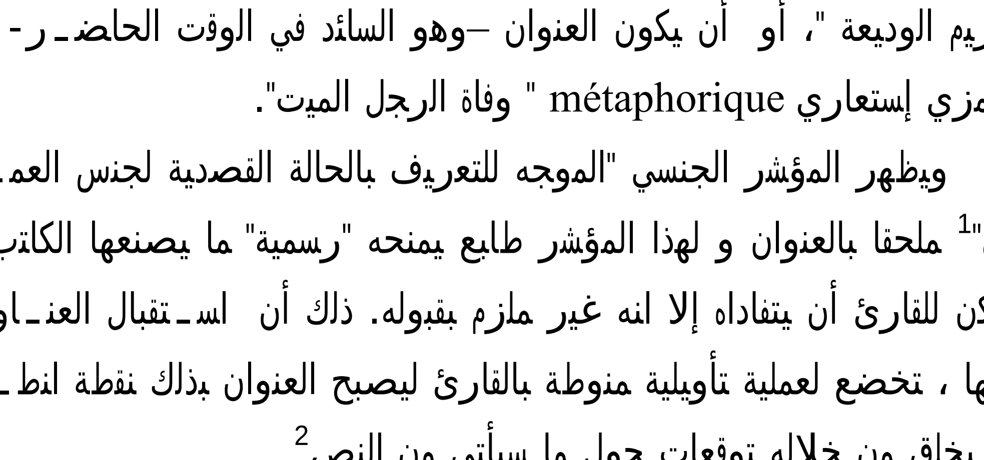
يعرف العنوان أساسا على انه اسم الكتاب وهويته المرئية ، ويوكل له الدارسون عدة وظائف ، يستخرج منها جينات وظيفة إجبارية واحدة هي تعيين (نعت /تحديـد) الـنص désigné le texte وهو التعيين الذي يمكن من خلاله التعرف على العلاقة المبنية بين النص وعنوانه ،والتي تحيل بدورها إلى نوعين من العناوين:

- **عناوين تجنيسية Rhematiques:** وتشمل العناوين التي تحيل على الـنص فـي جانبه النوعي أو الجنسي كالعنوان الذي يضعه إبراهيم الكوني لنصه "ديـوان النثـر البري" مثلا.
- **عناوين موضـوعاتية Thématiques :** تلك التي تشير إلى محتوى النص أو لها علاقة بموضوعه .ومنها ما يشـير إلـى الشخصـية الأساسـية فـي العمـل مباشرة"زينب " ، أو إلى جانب جزئي منه،أو تمنحنا فكرة عما سيحدث "مصرع أحلام

[1] -نصيرة عشي،البنية النصية في روايات واسـيني الأعـرج ،رسـالة ماجسـتير، جامعـة تيـزي وزو1997،ص10.

*-في حديثه عن العنوان وواضعه يرى جينات أن الكاتب ليس المسؤول الوحيد عن وضع العنـوان وانما هناك أطرافا أخرى يمكن أن تتدخل كمرسل.انظرSeuils، ص 77.

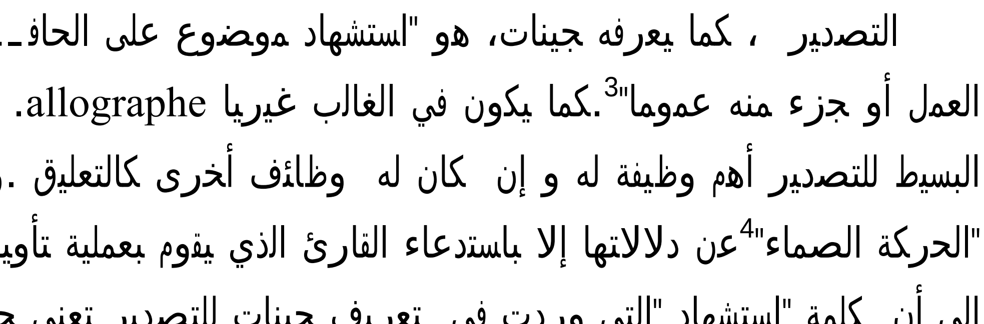
[2] -زاوي لعموري ، بنية النص السردي في دنا فتدلى لجمال الغيطاني ، مذكرة ماجسـتير ، جامعـة الجزائر ، 2002/2001.



مريم الوديعة "، أو أن يكون العنوان –وهو السائد في الوقت الحاضر- ذا طابع رمزي إستعاري métaphorique " وفاة الرجل الميت".

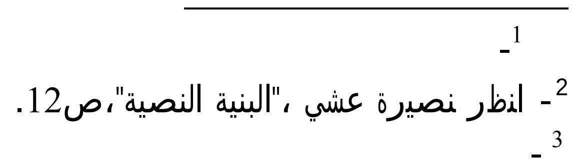
ويظهر المؤشر الجنسي "الموجه للتعريف بالحالة القصدية لجنس العمل الذي سيأتي"[1] ملحقا بالعنوان و لهذا المؤشر طابع يمنحه "رسمية" ما يصنعها الكاتب والناشر، لا يمكن للقارئ أن يتفاداه إلا انه غير ملزم بقبوله. ذلك أن استقبال العناوين وكل لواحقها ، تخضع لعملية تأويلية منوطة بالقارئ ليصبح العنوان بذلك نقطة انطلاق كل تأويل يخلق من خلاله توقعات حول ما سيأتي من النص[2]

3. التصديرات Epigraphes:



التصدير ، كما يعرفه جينات، هو "استشهاد موضوع على الحافة ، على رأس العمل أو جزء منه عموما"[3].كما يكون في الغالب غيريا allographe. ويعتبر الحضور البسيط للتصدير أهم وظيفة له و إن كان له وظائف أخرى كالتعليق .ولا تفصح هذه "الحركة الصماء"[4]عن دلالاتها إلا باستدعاء القارئ الذي يقوم بعملية تأويلية ، بالإضافة إلى أن كلمة "استشهاد "التي وردت في تعريف جينات للتصدير تعني حضور نص آخر أو مقطع منه في النص الجديد ، وهو ما يفتح النص على بعد تناصي مهم يتماشى والاستجابة لبعض مقولات المحيط النصي التي تصب في صميم العلاقة النصية .

1- G.Genette,Seuils,Paris,p98.



2- انظر نصيرة عشي ،"البنية النصية"،ص12.

3- Ibid,p147.

العلاقات النصية : حصيلة تركيبية (توليفية)

شهدت نظرية التناص تطورا كبيرا في الثلث الأخير من القرن العشـرين، وبـذل فيها الباحثون جهودا كثيرة. ولعل هذه القيمة مستمدة أساسا من وقوف هذه النظرية "فـي نقطة تلاقي التحليل البنوي للنصوص و الأعمال الأدبية .بصفة عامة باعتبارها نظاما مغلقا لا يحيل إلا على نفسه. مع نظام الإحالة أو المرجع باعتباره مؤشرا على ما هـو خـارج نصي"[1].

[1] -بشير القمري ،شعرية النص الروائي ،قراءة في كتاب التجليات ،ط1،شركة البيادر الرباط،ص67.

و تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن ميخائيل باختين و جيرار جينات كأحد قطبـي التنظير لهذه العملية التفاعلية بين النصوص ، رغم اختلاف طريقة العرض والتقديم بينهما ، لا يعني أنهما الوحيدان في هذا المجال ، حيث تمتلئ المسافة الفاصلة بينهمـا بأسـماء المنظرين لنفس العملية الأدبية ألا وهـي تـداخل النصـوص . إلا أن اختيارهمـا تـابع لاختيارات قرائية يفترضها موضوع البحث .كما أن الملاحظ أيضا هو خلو البحـث فـي جانبه النظري من أي عرض لما عرف عند النقاد العرب القدامى من مقابلات للمفـاهيم التناصية [التضمين ، الاقتباس ...]والسبب في ذلك منهجي أيضا يعود إلى عـدم وجـود تأسيس نظري حقيقي في هذا المجال عدى تلك الإشارات المتأتية في سياق الحكم علـى أعمال أدبية شعرية بالخصوص .حيث كان هدف القدماء يرمي إلى " تسـمية النصـوص التي تدخل في علاقة فيما بينها ، دون الاهتمام ، (كما يفعل المبحث التناصـي) بالتـأثير التحويلي الذي تمارسه النصوص فيما بينها"[1]

يمكن أن نلاحظ أيضا، من خلال العرض النظري لمقولات كل من جينات وباختين. الكثير من الإشكالات التي يأتي في المقام الأول منها ورود هذين الاسمين معا في عمـل واحد وهما الاسمان اللذان قد يبدوان للوهلة الأولى بعيدين كل البعد عن تأسيس ما يمكـن تسميته بالمنطلق النظري الذي نستنبط من خلاله الخطوات المنهجية التـي تسـاعد علـى قراءة تحليلية للنص الروائي. وعليه تأتي محاولة التركيب هذه لتجيـب عمـا يمكـن أن تطرحه هذه الأسماء من مشكلات منهجية على رأسها السؤال التالي :
هل يجوز التركيب بين المقولتين من الوجهة العلمية والمنهجية ؟

1. جيرار جينات وسؤال الكيف

زمنيا، يعتبر ميخائيل باختين الأسبق في طرحه لفكرة التناص وإن لم يرد ذكر هذا المصطلح إلا ضمنيا كمفهوم داخل فكرة الحوارية.وقد حافظنا على هذا السبق الزمني في

[1] -أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،ص57.

العرض النظري غير أن القارئ لهذا البحث سيلاحظ عدم الوفاء للأسبقية الزمنيـة فـي الجانب التطبيقي بتقديمنا لجيرار جينات.

يشتغل جينات على النص في حد ذاته ، أي على البنية النصية ويركز عليها باسـتخراجه للأنماط الخمسة محاولا تقديم الكيفية التي بها تتقاطع النصوص . وإن كان الحـديث عـن البنوية تجوز قليلا إلا أن ذلك لا ينفي تأثيراتها على المسار النقدي وعلى المناهج الأدبيـة خاصة وأن جينات يصف التناص بالبنوية المفتوحة ويخـرج علاقـة الـنص بـالمحيط الخارجي من دائرة اهتمامه[1] . وقد صار الاعتماد على جينات في الدراسات الأدبية كبيرا وهو ما يمكن رده إلى أن "القيمة الكبرى في نظرية التطريس هذه تكمـن فـي تقـديمها نمطيات واضحة المعالم تصلح للدرس الأدبي ولتحليل النصوص "[2] .وباعترافه يقـول ، " ما قيمة النظرية لو لم تصلح أيضا لخلق الممارسة "[3]

ولأن هذا البحث ينطلق أساسا من سؤال جوهري يحاول فك دقائق العلاقة بين النصـين التاريخي والروائي ، وبحكم انطلاقنا من النص في حد ذاته أي من داخـل الـنص بغيـة الحفاظ على السيرورة النظرية ، فقد صار من الواجب علينـا الانطـلاق مـن الإجـراء الجيناتي وتحديدا من التعالق النصي كأحد قسيمات العلاقـات النصـية والـذي يسـتدعيه حضور النص التاريخي داخل النص الروائي. ومن ثمة البحث عن كيفيـة اشـتغال هـذا الأخير عليه من خلال الإجراءات التي تخولها الممارسات الأدبية على نصوص التاريخ أو على النصوص السابقة بشكل عام.

في حالة كهذه ، لا يمكن الفصل تماما بين قسيمات التناص حيـث تتـراص هـذه الأخيرة حين يتم استثمار البعض منها في الرواية من أجل إحالة أكبر على التـاريخ ممـا يخول للدارس استخدام باقي القسيمات أو أجزاء منها في العمل حتى وإن اعتمد أساسا على عنصر واحد . و ينطبق ذلك بشكل أكبر على التعالق النصي كعنصـر لـه خصوصـية استخدام باقي العناصر الأخرى حيث يمكن للنص المتعلق به أن يحضر "ليس فقـط مـن

---

[1] -يمكن العودة إلى مقدمة المترجمين لكتاب جيرار جينات خطاب الحكاية ، الذين يعتبرون جينات بنويا بامتياز وكذلك سعيد يقطين الذي يعتبر أهم المشتغلين على أبحاث جيرار جينات

[2] -أحمد السماوي، التطريس ،ص57.

[3] -جنيت، عودة إلى خطاب الحكاية ، ص 207.

خلال اسمه أو أحد نعوته ،التي تظهر مثلا في العنوان(...) ولكنه علاوة على ذلك يحضر من خلال باقي الأنواع النصية ...على شكل بنيات نصية مأخوذة من النص المتعلـق بـه .وهذا ما دفعنا إلى تمييز التعلق النصي عن غيره من انواع التفاعل النصي واعتبـاره ذا طبيعة كلية .بينما باقي الأنواع ذات طبيعة جزئية "[1].وهو ما جعلنا أيضا نفضل اختيـاره للبحث عن كيفية حدوث العلاقة داخل النص الروائي نظرا للشمولية التي يتميز بها.

2. ميخائيل باختين والبحث عن الأسباب (لمـ ـاذا)

إن الإجابة عن الكيف في هذا العمل أو عن الطريقة التي بها يحـ ـدث التقـ ـاطع بـ ـين النص الروائي و النص التاريخي والتي يمنحنا إياها جينات خولت تقديمه على بـ ـاختين في التطبيق لما للأول من فضل في الإجابة عن السؤال رغم الفارق الزمني الذي يفصـ ـل المقولتين

وبالمقابل، يمنحنا البعد التوسعي في نظرة باختين قدرة على المضـ ـي بالبحـ ـث إلـ ـى شطره الثاني .حيث تمنحنا فكرة الحوارية و البوليفونية والتلفظ خاصـ ـة زاويـ ـة مفتوحـ ـة للإجابة عن السؤال الثاني أي عن أبعاد العملية التناصية . و ليس بالإمكان تقديم البحـ ـث عن أسباب التقاطع والتلاقي الروائي/ التاريخي ،قبل معرفة طرق وتمفصلات هذا التقاطع الداخلية ، وبذلك نقيم مع جينات داخل النص بحثا عن تبيان العلاقة ثم نخلص إلى أبعـ ـاد هذه العلاقة استنادا إلى ما يقترحه باختين وذلك ما يبقينا بطريقة ما ضمن مقولة تودوروف التي تدعي بداخلية ما يقترحه باختين، حيث ينتمي سياق الملفـ ـوظ إلـ ـى داخـ ـل العمليـ ـة التلفظية وليس إلى خارجها، وعليه، يكون وصولنا للأسباب من داخل النص و ليس مـ ـن خارجه .

2-سعيد يقطين ،الرواية والتراث السردي،ص23.

في نص "العلامة" الذي نحن بصدد دراسته وتحليله ، يتداخل النص الروائي مـع التاريخي بحيث يمنحنا تمازج النصين معا نصا ينتمي إلى الرواية كجنس والـى الروايـة التاريخية كنوع .إذا صح القول بتاريخية هذا العمل .في المستوى الأول على الأقل .

و لا يخرجنا تتبع الخيط الذي يربط نص العلامة كنص روائي بنص ابن خلدون التاريخي عن النص ،حيث لا نعتبر التسلل من الرواية إلى التاريخ خروجا عن الأول بـل إن هـذه العملية لا تعدو كونها تنقيبا عن مختلف التشكلات لهذا الأخير داخل النص الروائي ، وعن كيفية اشتغال النص الروائي على ما هو تاريخي. وهي العملية التي تـتم داخـل الـنص الأدبي وليس خارجه .ويعتبر التاريخ هنا بمثابة عنصر من عناصر الرواية بعد أن أصبح جزءا من بنيتها الداخلية وليس خارجا عنها.

إن كيفية الاشتغال داخل العمل الروائي التاريخي تخص العمل الروائي كنص. أمـا حـين نموقع هذا النص في إطاره السياقي سواء في ذلك السياق الـداخلي الـذي تـرد فيـه النصوص التاريخية داخل العمل[وهو الأقرب إلى باختين بحسب جوليا كريسـتيفا وكـذا تودوروف]. أو الخارجي الذي يخص الرواية ككل من حيث هي "نص " ورد ضمن سياق عام ، بالنظر إلى موقع كل من المتلقي والمرسل فإننا نتعامل معها باعتبارها خطابا.

ينفتح النص في هذه الحالة على سياقين، وبذلك نكون قد تعاملنا مع السـياقين دون أن ننفي مقولات البنائية ولا مقولات باختين التي تملك قدرة على الانفتاح على مـا هـو خارجي . وهذا الخروج هو ما يسمح بتحليل النص من وجهة أبعاده سواء الفنية منهـا أو الإيديولوجية.

إننا هنا بصدد القيام بعملية مزج وتركيب بين المقولتين للوصول إلى الإجابة عن السؤال "كيف تحدث العلاقة بين نص روائي ولماذا؟" . وكل التغييرات التي لحقـت المقـولتين والتي شملت حذف بعض المقولات واستخدام أخرى وكذا التقديم والتأخير ، ناتجة عن هذه المحاولة التركيبية التي قد تتيح لنا قراءة نص إبداعي عربي انطلاقـا ممـا تتيحـه إمكانات النقد الغربي دون إلغاء الحدود العامة لهذه الأخيرة مع المحافظة على خصوصية الكتابة وكذا القراءة العربية .

وفي بداية الحديث عن هذا التركيب طرحنا سؤلا مهما عن جواز ذلك من الوجهة المنهجية والعلمية. ولا يمكن الإجابة عن مثل هذا التساؤل بأكثر من المسوغات المقدمة سابقا والتي

تعتمد على منطق الأشياء أكثر من اعتمادها على المعطى العلمي البحـت خاصـة وأنـه معطى خارج عن نطاقنا العربي، ولعل إجابة حميد لحميداني عن سؤال مشابه قادرة أكثر على الإقناع:"إن هذا التساؤل يطرح في الواقع مشكلة أساسية متعلقة بإشكالية النقد العربي في علاقته بدوائر النقد الغربي، ذلك أن أي ممارسة نقدية جادة –وأقول جادة- في العـالم العربي لا بد أن تراعي خصوصيات الكتابة الإبداعية العربية ، لذلك تجد الناقـد العربـي نفسه دوما أمام قدر واحد ، هو تركيب العناصر على النظرية الغربية قياسا على مستوى وطبيعة إدراكه للعالم وقياسا على تصوره لطبيعة الإبداع الأدبي ووظيفتـه علـى الناقـد العربي أن يؤكد ذاته خلال منظور تركيبي جديد يراه ضروريا لتطويع النقد الغربي مـن أجل دراسة الأعمال الإبداعية العربية "[1]

ويمكن أن يحيلنا السؤال عن الجدوى أو عن المدى العلمي إلى تساؤل آخر لا يقل أهمية ، حول جواز استخدام النظرية الغربية النابعة من حقائق ابستيمولوجية متجذرة من حيث جانبها المعرفي و كذا نماذجها التطبيقية المميزة ، لقراءة إبداعنا العربي المنتمي إلى فضاءات أخرى مغايرة قد لا تتفق كثيرا مع ما ينتج في الغرب ، و إن كنا خطونا خطـوة كبيرة في مجال التأثر تحديدا وليس التأثير.

[1] -حميد لحميداني ،النقد الروائي والإيديولوجيا، ص450

الفصل الثـــاني

" العلامة" / التشكيل الروائي للتاريخ و كيفياته

تمظهرات التعالق النصي

يعتبر نص " العلامة "[1] لبن سالم حميش*، في الحالة النموذجية لهذا البحـث، الـنص اللاحق l'hypertexte الذي يعتمد في سـرديته علـى سـردية أخـرى سـابقة لـه l'hypotexte تنتمي إلى حقل آخر هو الحقل التاريخي ، والمتمثل تحديدا في نص ابن خلدون حيث اشتق النص الروائي وجوده من مجموع هذا النص الذي يحضر بشكل قوي ومعلن أيضا ولا تعني كلمة نص، بالنسبة لابن خلدون ، نصا مفردا، وإنما استخدمت هذه الكلمة هنا للدلالة على مجموع النصوص التاريخية التي استند عليهـا الـنص الروائـي والتي تمثل –في حدود ما استطعت الإطلاع عليه**–كل ما وصل إلينا من نتـاج ابـن خلدون المكتوب وهي على التوالي :

-مقدمة ابن خلدون[2]

---

[1] -بنسالم حميش، العلامة، دار الآداب، ط1: 1997.

* - بنسالم حميش:كاتب مغربي، ولد بمدينة مكناس بتاريخ 13 يوليوز 1948.تـابع دراسـته العليـا بالرباط ثم التحق بالمدرسة التطبيقية العليا وبالسوربون بباريس. حصل على الإجـازة فـي الفلسـفة وعلى الإجازة في علم الاجتماع سنة 1970، ثم على دكتوراه السلك الثالـث سـنة 1974، وعلـى دكتوراه الدولة سنة 1983. اشتغل أستاذا مساعدا بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط. يعمل حاليا أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الفلسفة بالمدينة نفسها.التحق باتحاد كتاب المغرب سنة 1968.له كتابات بعدة مجلات: الوحدة، الفكر العربي المعاصر، المستقبل العربي، الناقد.

ساهم في تحرير «المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع»، كما أصدر سنة 1971 مجلـة «البـديل» التي تم توقيفها سنة 1984. وفي سنة 1990 حصل على جائزة الناقد عن روايته «مجنون الحكم»، وعلى جائزة «الأطلس» للترجمة (السفارة الفرنسية بالمغرب) برسـم سـنة 2000 عـن روايتـه «العلامة».يتوزع إنتاجه بين الإبداع الشعري والروائي والبحث في الفلسفة والتاريخ.

(انظر موقع اتحاد الكتاب المغاربة).

**-يورد بن سالم حميش في كتابه" الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ " عنوانا آخر لابن خلدون هو "لباب المحصل" الذي نشره لوسيانو روبيو سنة 1952 ، ولكننا لم نورد هذا العنوان لعدم إطلاعنا عليه ولعدم أهميته سواء على مستوى المعرفة العامة أو على مستوى غيابه عن النص .

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الأجزاء 4/3/2/1، ط:1 ، 1957 .

- كتاب العبر [1]

-كتاب التعريف[2]

-شفاء السائل[3]

ولا تحضر هذه النصوص باعتبارها نصوصا تشكل منطلق السـردية الروائيـة فحسب ، بل وبعناوينها كذلك، حيث تطالعنا إشارات في أماكن وسياقات مختلفـة مـن المتن الروائي لعناوين نصوص ابن خلدون السابقة الذكر، حيث ترد هذه العناوين بشـكل واضح وصريح داخل الرواية، بل ومتكرر أيضا، بحيث لا تمثل هذه الجمل المسـاقة إلا عينة تمثيلية على ذاك:

-" إن رسالتي شفاء السائل عمل فج هزيل " [4]

- "الإطلاع على المقدمة ياقوتة العقد في أعمالك "[5]

-" عساني أتابع تحرير الفصل في المماليك من كتاب العبر، وكذلك سيرتي الموسومة التعريف بـابن خلدون ورحلته غربا وشرقا "[6]

وعليه، يمكن تحديد التعالق النصي في هذه الحالة من خلال العلاقة التي تـربط نص " العلامة " بنص ابن خلدون الذي سبقه في الوجود والذي يمثل التـاريخ.غيـر أن الروابط بين النصين تجاوزت التعالق النصي إلى ممارسات تناصية أخـرى كـالمحيط النصي مثلا. ولا ضير في ذلك مادمنا داخل الممارسة نفسها والتي تقر بتكامل أصـناف العلاقات النصية فيما بينها واشتمال بعضها بعضا. خاصة وأن هذه العلاقات تسند علاقة

---

[1] -عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بعناية وفهرسة أسعد داغر ،دار الكتاب اللبناني،1983.

[2] -عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، دط، 1979.

[3] -عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل في تهذيب المسائل، نشر وتعليق الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1959.

[4] -الرواية، ص 38.

[5] -الرواية، ص19.

[6] -الرواية، ص143.

النص الروائي بالنص التاريخي وتصر عليها، وأهم هذه الممارسات الخاصـة بـالمحيط النصي تلك المتعلقة بنظام العنونة المتبع، والذي لم يستطع التنصل من تأثيرات التاريخ.

1. العناوين والإحالة على التاريخ:

بما أن العنوان هو العتبة الأولى المقابلة لزاوية القراءة في أي نص روائـي، فـإن تقديمه في الدراسة يستجيب لهذا المعطى باعتبار أنه لا يمكن الدخول إلى عـالم الـنص دون المرور بالعنوان، وهذا المرور يتعلق أيضا بمصاحبات العنوان الرئيسي كالعنـاوين الداخلية والتصديرات... لكن اهتمامنا لا يقف عند حدود العلاقة بين النص وبين عنوانـه أوبينه وبين قارئه، ولا على شعريته. وإنما يهتم ككل عناصر البحث بعلاقة هذه العناوين بالنص التاريخي، أي أنه يركز على العلاقة التي يربطها العنوان، كجزء مـن الروايـة وافتتاحية لها، مع النص التاريخي كركيزة نصية وقرائية أيضا. فالعنوان لا يفصل بـين هذه المعطيات وإنما يؤسس لوحدة عامة يجمع فيها بين كـل مـن الإحالـة والشـعرية ومنظور القراءة.

أ- العنـوان الرئيـسي/التسمية

يحتل عنوان الرواية مركز الصدارة في الصفحة الأولى للغلاف، مما يعطيه أهمية خاصة رغم الطابع الإختزالي الذي يميزه سواء على مستوى الحرف أم علـى مسـتوى الدلالة. فعلى مستوى الحرف، لا يزيد العنوان عن سبعة أحرف تُكون كلمة " العلاّمـة ". وهذه الأحرف السبعة كفيلة بأداء الوظيفة الأساسية المرجوة منها وهي تعيين الـنص، و الذي يمكن من خلاله التعرف على العلاقة المبنية بين النص وعنوانه، والتي تحيل إلـى النوع الثاني من تحديد جيرار جينـات للعنـاوين، أي إلـى العنـاوين الموضـوعاتية thématiques، فكلمة العلامة بوصفها عنوانا تشير أول ما تشـير إلـى لـب العمليـة السردية المتمثلة في الشخصية الأساسية للنص أي لابن خلدون وتحضـر كواحـدة مـن صفاته* بل وأهمها على الإطلاق، حيث يقيم النص صفات كثيرة للشخصية و" يعيد علينا

المؤلف بعض تلك الأوصاف والدوال لتفادي تكرار الاسم الشخصي، وهـذا مـا يفسـر مراوحة الروائي في بعض الأحيان بين إيراد الاسم الشخصي للبطل والصفات التي تدل عليه "[1] حيث أن نص العلامة يستعيد هذه الصفة أكثر من غيرها إلى درجة التعبير بها مكان الاسم " عبد الرحمن " الذي يتراجع هو الآخر مع باقي الصفات الأخرى أمامهـا: "كان الإعداد لحج العلامة جاريا على قدم وساق "[2]. وقد ترددت كلمة العلامة داخل المتن بشكل كبير مما يجعلنا نربط علاقة مهمة بينها كعنوان وبين محتـوى الـنص بالدرجـة الأولى مقيمة نوعا وطيدا من العلاقات مع الموضوع إن لم نقل أنها الموضـوع نفسـه متخللة حتى كلام الشخصيات ومتجاوزة كلام الراوي:" هل سمعت حكـم العلامـة يـا دجال"[3] .

إن البحث عن الدلالات التي يتخذها هذا العنوان والتي تبرز من مختلف المواضع التي يرد فيها داخل المتن الروائي، يغني البحث بالتأكيد، إلا أن اهتمامنا ينصب في المقام الأول على الطريقة التي يقيم فيها هذا العنوان علاقة مع النص السابق أو بعبارة أخـرى مع النص التاريخي. غير أن ذلك لا يمنع من التوقف عند المعنى القاموسي لكلمة العلامة التي تعني عند ابن منظور:" من بالغت في وصفه بالعلم.أي عالم جدا، والهاء للمبالغـة، كأنهم يريدون داهية من قوم علاّمين[...]وعلمت الشيء أعلمـه علمـا: عرفتـه "[4] . و سيساعد هذا التعريف على فهم المعنى الأولي للعنوان في علاقته بالقارئ والـنص معـا وكذا من حيث علاقته بالتاريخ التي لا تقل أهمية ولا وضوحا عن باقي العلاقات.

---

*-اقترن اسم ابن خلدون بالعديد من الصفات ، من بينها: الوزير ، الرئيس ، الحاجب ، الصدر، الفقيه الجليل ، إمام الأئمة...إلخ .يمكن العودة إلى أبي خلدون ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3:1967،ص43.

[1] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1: 1990 ،ص214.

[2] -الرواية ، ص87.

[3] الرواية، ص 232 .

[4] - ابن منظور، لسان العرب، طبعة مصححة: أمين محمد عبد الوهاب /محمد الصادق العبيدي، ط3:دت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 371.

تبدو كلمة العلامة في المستوى الأول، إحالة مباشرة وهامـة علـى الـذاكرة القرائية وعلى مجموع المعارف الثقافية المختزنة، سواء على مستوى الـذاكرة الفرديـة أم الجماعية. حيث ترتبط هذه الكلمة أساسا لدى المتلقي [العربي] بشخصـية تاريخيـة مهمة هي شخصية ابن خلدون. فالعنوان إذا يتأسس على عملية التذكر التي تعتبر عملية "شخصية للغاية، ذلك أن كل شخص يتذكر حسب أطر وظروف معينـة، لـذلك نعتمـد بالدرجة الأولى على اللغة، التي تساعد من جهة على التخيل ثم الإسقاط "[1] وهو ما يعطي المعنى اللغوي بعدا هاما لاشتراك متلقي اللغة الواحدة فيه، والتي تؤسس للاشتراك علـى مستوى الذاكرة اللغوية و من ثمة ،التاريخية.

فعلى المستوى الأول أو المستوى السطحي، يحفز الاشتغال الأول للعنوان على الـذاكرة، المعطى التاريخي حيث يرتبط اسم ابن خلدون بهذه الصفة في كـل حـين. أمـا علـى المستوى الأكثر تحسسا وقابلية للكشف هو ارتباط هذا العنوان بما ورد في النص السابق. حيث ترد كلمة العلامة في نصوص ابن خلدون مصاحبة للاسم وللعنوان وكأنهـا جـزء منه،إذ نجد في المقدمة مثلا الجملة التالية " تأليف العلامة عبـد الـرحمن محمـد ابـن خلدون"، وكذلك الأمر في العبر " وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الـرحمن ابـن خلدون".ومن ثمة يمكن القول إن رواية العلامة على مستوى العنوان إحاليـة بالدرجـة الأولى على النص السابق أي على التاريخ كما يمكن القول إنه عنوان استعاري من حيث العلاقة بالشخصية التي يدل عليها عن طريق إحدى صفاتها لا أكثر. و العلاقـات هنـا متداخلة ومتلازمة أيضا، يمكن إيضاحها على الشكل التالي:





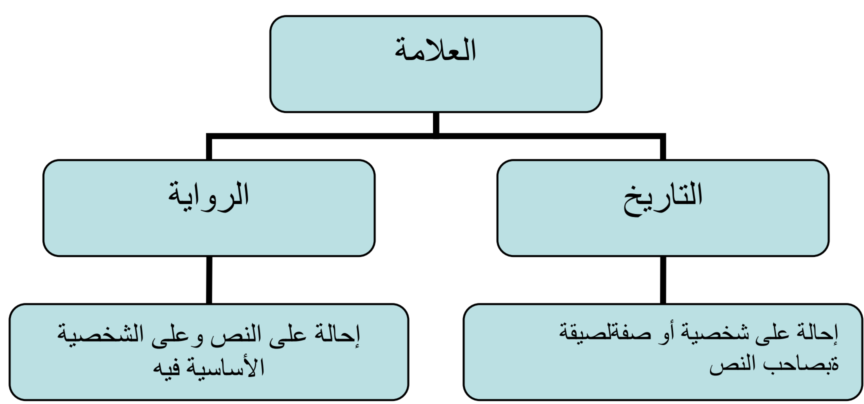




[1] -نصيرة عشي، البنية النصية في روايات واسيني الأعرج"، ص15.

مصاحب للعنوان التاريخ   عنوان رئيسي   الشخصية الرئيسية

(خارج النص)   (داخل النص)



ب- التجنيــــس

يتحدد على صفحة الغلاف كذلك جنس النص الذي بين أيدينا عن طريق "المؤشر الجنسي" الذي يمنح النص بعدا تخييليا حين يعتبره "رواية" منذ البدء.و يمكن اعتبار هـذا المؤشر علامة مفرقة وفاصلة بين النص وبين التاريخ، إذ يخرجنا من الدائرة التاريخيـة ويضعنا في مواجهة النص التخييلي مما يجعل القارئ مستعدا لتلقي الرواية لا التـاريخ. فالتاريخية التي تنبع من العنوان تخف- على الأقل- حدتها بوجود المؤشر الذي يـدخل عنصر التخييل على هذا الأفق التاريخي. مما يضعنا منذ الوهلة الأولـى علـى حـافتي التاريخ والمتخيل.

جـ-العناوين الداخلية

نقصد بالعناوين الداخلية العناوين التي اعتمدها المتن الروائي لكل فصل على حدة.
حيث تطالعنا فصول الرواية الثلاثة بعناوينها التالية:
-الفصل الأول : الإملاءات في الليالي السبع

-الفصل الثاني : بين الوقوع في الحي والحلول في ظل الحكم

-الفصل الثالث: الرحلة إلى تيمور الأعرج جائحة القرن

ونلاحظ أن هذه العناوين الداخلية تلغي سطوة العنوان الرئيسي وتقوم بمحاولة استبعاده جزئيا ليتم الانفتاح على عوالم أكثر خصوصية:

الفصل الأول: الإملاءات في الليالي السبع

لا تبقي الرواية على الغموض الذي يكتنف العناوين للوهلة الأولى ، بل على العكس من ذلك ،تقوم بشرح ما يتعلق بها لتجعل العنوان الداخلي مجرد تلخيص وإعلان مسبق عما سنطالعه في الفصل ، و يبدو ذلك بجلاء مع عنوان هذا الفصل الذي يقدم له المتن عرضا تفصيليا شارحا لمعطياته:" مقابل أن يقبل السي حمو كتابة إملائي بتعويض أقدر عليه ، إذا كنت تحسن الخط والنسخ ، كما قلت فأنا أطلبك لهذا الغرض عند متم كل شهر إلى أن يحل موعد ذهابي إلى الحج .وأكرر أن ما أقوله عرض ليس غير "[1] وبالعودة إلى النص السابق نجد مقابلا للإملاء عند ابن خلدون (التاريخي) وإن كان يعرف عنه كتابته لنفسه "وتشوفت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار ، بعد أن أمليت الكثير من حفظي "[2].

وتنتظم الليالي المتفق عليها بين الحيحي وبين العلامة على مدى الأشهر الفاصلة عن حج هذا الأخير فتكون بذلك سبعة أشهر تشكل هيكل السرد في الفصل الأول عبر فواصل معنونة تكمل الجانب الحسابي في العنوان:

-ليلة متم صفر

-ليلة متم ربيع الأول

-ليلة متم ربيع الآخر

-ليلة متم جمادى الأولى

-ليلة متم جمادى الآخرة

-ليلة متم رجب

---

[1] -الرواية ، ص 19

[2] -التعريف، ص 246.

- ليلة متم شعبان

إن توالي العناوين بهذه الطريقة يركز على الجانب الرقمي (الحسابي)الذي ورد سابقا في العنوان خاصة وأن حساب الأشهر يتم في العادة بتعدادها :فكل شهر يوازي عددا وعدد الأشهر يحيل إلى متوالية عددية هي سبعة التي وردت في العنوان الفصلي :

العناوين الداخلية				العنوان الفصلي
صفر	←	1		
ربيع الأول	←	2		
ربيع الآخر	←	3	= المجموع إلى 7 ←	الإملاءات في الليالي السبع
جمادى الأولى	←	4		
جمادى الآخرة	←	5		
رجب	←	6		
شعبان	←	7		

ومن جهة ثانية يمكن أن يحيل هذا النمط التقسيمي الخاضع لليالي إلى نص عربي مرجعي هو" ألف ليلة وليلة " كما قد يحيل إلى نص التوحيدي " الإمتاع والمؤانسة ". تشكل هذه الأمالي نصا يتمازج فيه ما هو روائي مع ما هو تاريخي إلا أن حصة التاريخ منه كبيرة تشكل فيها نصوص ابن خلدون الأربعة حصة الأسد: التعريف "قيد أنني في التعريف..."[1] و المقدمة " تعلم يا حمو ما قلته في المقدمة .."[2] ، العبر " انظر إلى كتاب العبر أو إلى تاريخ غيري " [3] وحتى شفاء السائل " إن رسالتي شفاء السائل "[4].حتى وإن كانت الأمالي تتجاوز هذا المعطى التاريخي إلا أنها تتخذه سندا وركيزة لكل ما يقدمه الفصل على لسان المملي أو حتى متلقي الإملاء فالعلاقة مع ما هو تاريخي لا تظهر على مستوى العناوين بقدر ما تظهر داخل الإملاءات ذاتها. أما عن الليالي السبع التي ترتب زمنيا لحج ابن خلدون فعلاقتها بالحدث التاريخي الوارد حول الحج تكمن في أنها تسبق الحدث التاريخي مباشرة وتمهد لاستقباله ضمن أفق السرد.

---

[1] - الرواية، ص42.

[2] - الرواية، ص 72.

[3] - الرواية، ص 80.

[4] - الرواية، ص38.

الفصل الثاني بين الوقوع في الحب والحلول في ظل الحكم

تغيب العناوين الفرعية في الفصل الثاني مفسحة المجال لاستمرار السـرد دون قطيعة- عنوا نية- تمهد لدخول مراحل السرد المتوالية، رغم القطيعة التي تحدث علـى مستوى القراءة أو على مستوى الحدث ، والتي كثيرا ما يكتفى بالإشارة إليها بعلامـات معينة ليس لها تأثير يذكر كما هو للعناوين في توجيه عملية القراءة [1]. إلا أن ميزة هـذا العنوان تكمن في انقسامه إلى قسمين يتعاضدان على مستوى العنوان، الفصل و الـنص ككل وهما :

- الوقوع في الحب
- الحلول في ظل الحكم

ومن الواضح أن العلاقة بين الخبرين تبدو للوهلة الأولى واهية المعالم خاصـة وأن مـا يجمعهما إلى بعضهما هو "الواو " وكذا "بين" التي ابتدأت الجملـة والتـي تـدل علـى المراوحة.

"(بين) الوقوع في الحب (و) الحلول في ظل الحكم "

ويتراوح الفصل بأكمله بين هاتين الجملتين المخبرتين عن وضع الشخصية ابن خلـدون، بين الحب الذي يعيش تفاصيله مع أم البنين، إحدى أهم شخصـيات الروايـة:" أعـدت اكتشاف روضة المحبين، ودخلتها آمنا مؤمنا، لا هم لي سوى إسعاد الحبيـب، وإسـكانه بين مهجتي وأضلعي...أقولها ولو أني على عتبة الستين: الحب والحيـاة وجهـان لـدم واحد...لا ريب أن أفكارا من هذا الصنف راودتني فيما مضى بحضرة زوجتي الأولـى، ولكن تواترها وصفوها شواغل وغواية الرتب، أما اليوم فالسـيادة كـل السـيادة لتلـك الأفكار، والبهاء كل البهاء "[2]. وبين العلاقة بالسلطان وما ينتج عنها مـن مـد وجـزر وتنصيبات في مناصب مختلفة " سلمني كتابا مختوما قال لي إن رسولا أتى به من قصر

---

[1] -هناك نجمتان تفصلان بين زيارة ابن خلدون للسلطان وزيارته لام البنين.انظر الرواية، ص110

[2] -الرواية، ص120.

السلطان. فتحته فإذا به مرسوم تعييني في تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشـية "[1] ، والقرب من دوائر السلطان وتتبع أخباره :" كانت نفسي فيه مثقلة بالأخبار السـيئة عـن اشتداد التنازع بين السلطان برقوق وبين نائبيه على حلـب وملطيـة الأميـرين يلبغـا الناصري و منطاش "[2]

وبما أننا نستند إلى التاريخ في تحريك التحليلات الخاصة بـالنص، فـإن هـذا الفصل تحديدا يضعنا في مواجهة صدامية وقوية مع التاريخي في حياة ابن خلدون. فقـد يتفق النصان ، التاريخي والروائي، فيما يخص الشطر الثاني من العنوان المتعلق بالعلاقة مع الحكم وما يندرج في إطارها وكل ما يتعلق بأخبار الحروب الدائرة والفتن [يمكـن العودة إلى الجدول الذي يفصل الروابط التاريخية للفصل الثاني من الرواية] إلا أنهمـا يتعارضان أو على الأقل تتوقف عملية المقارنة –نسبيا – في ما يتعلـق بالشـطر الأول للعنوان الذي يضعنا على حافة استنطاق التاريخ الذي يتأبى علـى الإجابـة . فـالنص التاريخي الخاص بالسيرة "التعريف" يلتزم الصمت فيما يخص زواج ابن خلدون ، ولـم يأت ذكر أي امرأة فيه بشكل صريح، بينما تنطلق الرواية لتمنحنا التفاصيل .إن السؤال هنا هو هل كانت الرواية وفية لأحقية التاريخ وخانته في هذه النقطة ؟أو أنها استغلت صمت التاريخ لتتحرر من ضغط معطياته وتنطلق نحو أفق تخييلي ؟ غير أن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات ، قد تستدعي معطيات كثيرة لا يتيحها هذا العنوان. وكلمـة نسـبيا الواردة فيما سبق تفتح مجالا للإجابة في مقام آخر غير هذا المقام .

<u>الفصل الثالث :الرحلة إلى تيمور الأعرج جائحة القرن</u>

تستمر العملية السردية، مثلما حدث في الفصل السابق ، بالتـدافع دونمـا حـواجز معيقة، متسقية معظم مادتها -خاصة تلك المتعلقة بعنوان الفصل -مـن التـاريخ الـذي يصف بشكل مهم في الفصول الأخيرة للتعريف التتر وعلى رأسهم تيمـور الأعـرج أو

---

[1] -الرواية، ص140.

[2] -الرواية، ص 145.

تيمورلنك. ولقاء ابن خلدون بهذا الأخير وكل ما تبع هذه الرحلة " لقاؤك بالغازي يا ولي الدين سيتحقق إن عدت أنا وهذا الشيخ سالمين "[1]

* * *

يمكن القول إن العناوين، سواء العنوان الرئيسي أو العناوين الفرعية أو الداخلية حاولت الإحالة بشكل شبه مباشر على المضمون واستوعبت مفاصل العمل الروائي، وقد كانت في ذلك وفية للتاريخ من جانبين

الأول: أن هذه الطريقة في العنونة ميزت النص التاريخي الخاص بابن خلدون، فكأنما هي تحاكيه، إذ يحيل العنوان لدى ابن خلدون في كل نصوصه على المضمون مباشرة مركزا على صلب الفكرة تاركا التفاصيل التي لا تغادر هذا التركيز للمضمون.كما أن عنوان الرواية والعناوين الداخلية جاءت موازية من حيث الطول والقصر لعناوين ابن خلدون: فعناوينه الكبرى كلمة واحدة مثل العلامة / المقدمة/ العبر /التعريف... والعناوين الداخلية طويلة كتلك التي يستخدمها ابن خلدون في كل نصوصه.

الثاني: أن هذه العناوين بمثل إحالتها على مضمون الرواية تحيل على التاريخ الخلدوني بمختلف أطواره ومبانيه سواء التاريخ الخاص أو العام. ولا تحيد عن ذلك بغض النظر عن واقعية زواج ابن خلدون أم لا.

---

[1] -الرواية، ص219.

2. التصديـــــرات

اعتمد النص الروائي على أكثر من تصدير وأكثر من موقع لهذا التصدير، فنجده يدرج هذه المقولات الاستهلالية في بداية كل فصل من الفصول الثلاثة، واختار لها مقاطع معينة لأعلام مختلفين، وهو ما لا يمكن أن نعتبره خيارات اعتباطية ذات غاية جمالية لا غير، ذلك أن التصدير "لا يصدر عن عفوية أو اعتباط بل عن سبق إصرار"[1] وهو ما يفتح احتمالات تأويلية مهمة حول هذه الخيارات بالذات.

أ- التصدير في الفصل الأول

يحتوي هذا الفصل على تصديرين، يفتتحان بداية الفصل، أولهما للسان الدين بـن الخطيب، ورد فيه ما يلي:

" رجل فاضل، جم الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقور المجلس، عـالي الهمـة، قوي الجأش، متقدم في فنون عقلية و نقلية متعدد المزايا، شديد البحـث، كثيـر الحفـظ، صحيح التصور، بارع الخط حسن العشرة، مفخرة من مفاخر المغرب "

وقد ذُكر صاحب هذه المقولة أسفل المقطع مع عنوان الكتاب الذي أخذت منه " الإحاطة في أخبار غرناطة". إننا نفترض منذ البداية أن وجود هذا المقطع يتجاوز مجرد الحضور الجمالي، ومنه وجب البحث عن تأويلات ممكنة لهذا الحضور. في هـذا الإطـار،يمكن الانطلاق من إحدى التأويلات التي منحها أحد النقاد للتصدير، لبناء تأويل لهـذا المقطـع التصديري في علاقاته المختلفة ، سواء مع النص الروائي أو مع النص السابق ، يقـول: "ينهض التصدير ، يستحضره المصدر إبان الكتابة لمصدر له خال الذهن بدور التنبيه إلى ما عسى إن يرد في المتن الأقصوصي "[2]. يمكن الاحتفاظ بهذا القول لمقطع لسان الـدين ابن الخطيب، حيث سنجد أن مقولته لم تعلق على الشخصية الأساسية بقدر ما تكثف مـا ورد في الفصل الذي سينبني في مجمله على هذه الصفات التي ذكرها. وبـذلك يمكـن

---

[1] - أحمد السماوي ،التطريس، ص116.

[2] - أحمد السماوي، ص 117/116.

اعتبار مقطع لسان الدين ابن الخطيب حالة استشرافية تمهد للقارئ الطريـق لاسـتقبال الشخصية داخل المتن وهو الاستقبال الذي لا يكسر أفق التوقع الذي ارتسـم مـع قـراء التصدير بل يسير في فلكه تماما، حيث نقابل ابن خلدون على لسان الحيحي في الروايـة بالمواصفات نفسها التي جاءت على لسان بن الخطيب: " في هذه الجلسة...قوي بغتة عند الحيحي شعور بأن عبد الرحمن كائن دماغي ، يفكر ويناظر ، وخلايا عقله فـي حالـة اشتغال و استنفار قد لا يخدعها إلا النوم " [1].

ولم يختلف التصدير الثاني لهذا الفصل لا من حيث المحتوى ولا من حيث العلاقة بما سيأتي ذكره في الفصل :" ولازم ابن خلدون كثيرون في بعض عزلاته ، فحسن خلقه معهم و باسطهم و مازحهم ، و تردد هو للأكابر وتواضع معهم .ومع ذلك لم يغير زيـه المغربي ولم يلبس بزي قضاة هذه البلاد لمحبته المخالفة في كل شيء"

نجد في هذا المقطع المأخوذ من شمس الدين السخاوي في " الضوء اللامع لأهـل القرن التاسع" مجموعة من الصفات التي تميز بها ابن خلـدون وهـي الصـفات التـي ستؤكدها كلمات الفصل الأول. ليصبح ما جاء في الرواية تجسيدا لما جاء علـى ألسـنة الكتاب [أصحاب النصوص] كشهود على هذه الشخصية.

فعلى صعيد الملازمة، يزيح النص الروائي الستار عن شخصية لازمت ابـن خلـدون [الشخصية]مظهرة صفات هذا الأخير في المعاملة التي ذكرها السخاوي.ونقصـد بـذلك شخصية الخادم شعبان " أتيت سيدي بقلب كظيم وعينين عامرتين باليأس ، فنظـر إلـي نظرة وسلمني مفاتيح داره وولاني على أمورها "[2]. بالإضافة إلى الزي المغربي الـذي ورد ذكره في التصدير، والذي يظهر منذ الصفحات الأولى للرواية " من أواخر الحلقات المظلمة بين حكام الوقت وعالمنا حلقة جلوس هذا العالم ببرنسه المغربي قاضيا للمالكيـة بين القصرين " [3]

ألا يمكن، انطلاقا من كل هذه التأكيدات والتقابلات بين نصوص التصدير والـنص الروائي، أن نضيف وظيفة أخرى لهذه التصديرات ؟. إنه التساؤل الذي نخرج بـه مـن

---

[1] -الرواية، ص60

[2] -الرواية، ص12.

[3] -الرواية، 7.

التحليلات السابقة، والذي لا يكتفي بإجابة مستمدة من أحد فصول الروايـة، و لا يمكـن استنباط نتيجته إلا بالبحث في العلاقات التي تربط باقي التصديرات بباقي الفصول حتـى لا تكون الرؤية قاصرة.

ب- التصدير في الفصل الثاني

ينفتح هذا الفصل، بصفة تحتوي على الكثير من المفاجأة بالنسـبة للقـارئ ، علـى المقطع التصديري التالي :

" انه (أي ابن خلدون) تبسط بالسكنى على البحر وأكثر من سماع المطربات، ومعاشـرة الأحداث، وتزوج امرأة لها أخ أمرد ينسب للتخليط، فكثرت الشناعة عليه- هكـذا قـرأت بخط جمال الدين البشنيتي في كتابه القضاة " ابن حجر العسقلاني " رفع الإصر "

وعنصر المفاجأة يكمن في الانتقال المباشر من شهادات إيجابية هـي تلـك التـي تصدرت الفصل الأول إلى شهادة سلبية عن الشخصية نفسها [في الفصـل الأول يمهـد الكاتب للقاء ابن خلدون بأم البنين وحبه لها، وعليه فعلى مستوى القصـة لـيس هنـاك مفاجأة] والمثير، أن ذلك يحدث على مستوى النصوص التصديرية قبل أن يحدث علـى مستوى النص الروائي، حيث ينبني كل الفصل على ما ورد في التصـدير بشـكل مـن التفصيل:" أبلغتنا شرطتنا أيها القاضي أن دار كاتبك المرحوم حمو الحيحي تأوي شابا لا أوراق له، يدعي أنه أخو الأرملة .ولولا شهادة هذه المرأة بذلك، ولولا وجهك، لطردنـاه خارج البلاد أياما قليلة بعد دخوله التراب المصري. والسبب أن مصالحنا أمسكته غير ما مرة في حالة تلبس مريب بين الحرافيش والراكبين هواهم .اقتناعنا أنـه خنثـى مشـكل وأزعر ينتسب للتخليط .فانظر معه لعله يحتشم " [1] .

ولا يختلف النص التصديري الثاني عن سابقه، بل لا يعدو كونه إضافة تأكيدية وإن كان فيها شيء من الغموض والعمومية ، وهو نص مأخوذ عن ابن قاضي شـهبة مـن الذيل على الإسلام ، ونصه : " في القاهرة شخص يحبني وأنا أحبه/ ابـن خلـدون " .

---

[1] -الرواية، ص109.

وطبعا، يأتي النص الروائي الذي يلي التصدير موافقا على ما جاء في هذه الجملة بل ومظهرا لهذا الشخص الذي كان غامضا فيها: " فرحي لولا قصوري عن أبهى الشعر، لنظمته على صدر حبيبتي قلائد نور وأشواق "[1]

وقد يطال عنصر المفاجأة هنا القارئ لتراث ابن خلدون أكثر من غيره . ذلك أنه لم يرد ذكر لهذا الزواج الثاني في سيرته ولا فيما عرف عنه تاريخيا ، لكن الغرابة ستتراجع إذا ما عدنا إلى هذه النصوص لنجد أنه لم يذكر زواجه الأولى إلا من باب الحديث عن مصيبته بعائلته لا غير كما أنه كان يذكر أولاده لا زوجته .هناك بعد للمسألة يتجلى في حوار ابن خلدون مع تيمور على مستوى النص الروائي " إنها ولا شك امرأة وراء استنفارك وطلبك الرحيل عنا.كم أفهمك وأعذرك يا ابن خلدون ن حتى أنا لي في سمرقند زوجة تحبني وأحبها "[2] . فعبارة حتى أنا تحيل الى معنى التشارك لتصبح جملة ابن خلدون موضحة عن الشخص الذي يحبه في القاهرة. وهو ما لا يشرح تلك الجملة الواردة في التصدير فحسب بل و كذلك جملة وردت في النص التاريخي حول الحوار الذي دار بين ابن خلدون وتيمور بعد طلب ابن خلدون المغادرة : " بل تسافر إلى عيالك وأهلك " وكلمة عيال يمكن إلى حد كبير أن يكون المقصود من ورائها" الزوجة".

جـ - التصدير في الفصل الثالث

لم تختلف تصديرات هذا الفصل عن سابقاتها، فهي لا تغادر مجال العنوان بل تصب في فلكه وتسند النص الذي سيلي، وقد اقتطف المقطع الأول من نص التعريف لابن خلدون نفسه، والذي يتنبأ فيه الآبلي برؤية ابن خلدون لتيمور :

"وكان شيخي رحمه ا إمام المعقولات محمد ابن إبراهيم الآبلي متى فاوضته قي (شأن الثائر تيمور) ، أو سايلته عنه يقول : أمره قريب ولا بد لك إن عشت أن تراه "

وقد أعاد الفصل ذكر التكهن مع تغيير في الصياغة السردية المناسبة لجو الرواية العام : حيث تقول الرواية على لسان ابن خلدون [الشخصية]: " و أتذكر بالمناسبة أن شيخي

---

[1] -الرواية، ص118.

[2] الرواية ، ص238.

إمام المعقولات محمد ابن ابراهيم الآبلي ، رحمة ا عليه ، قد تنبأ لي برؤية ذلك الكائن الذي سار على نهج أسلافه في تدويخ بلاد الإسلام هدما وتحريقا"[1] وإن كـان التصـدير الأول يتنبأ باللقاء مع تيمور ، فالتصدير الثاني يصب في عمق هذا اللقاء ويأتي وصـفه على لسان ابن عربشاه في مقطع مأخوذ من كتاب "عجائب المقدور في أخبار تيمور" :

"وكان من جملة الآكلين : قاضي القضاة ولي الدين كل ذلك وتيمـور يـرمقهم .وعينـه الخزر تسرقهم، وكان ابن خلدون أيضا يصوب نحو تيمور الحدق فإذا نظر إليه اطـرق، وإذا ولى عنه رمق . ثم نادى وقال بصوت عال:" يا مولاي الأمير الحمد العلي الكبير لقد شرفت بحضور ملوك الأنام . وأحييت بتواريخ ما ماتت لهم من أيام ورأيت من ملوك الغرب فلان وفلان وحضرت لدى كذا وكذا سلطانا. وشهدت مشارق الأرض ومغربهـا. وخالت في كل بقعة أميرها ونائبها. ولكن المنة اذ امتد بي زماني ومن ا علي بـأن أحياني، حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة والملك بشريعة السلطنة على الطريقة. فان كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف فطعام مولانا الأمير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف ." فاهتز تيمور عجبا وكاد يرقص طربا (...)"

ولا يختلف هذا الفصل من حيث الترتيب عن ترتيب التصديرين ، حـين يضـعنا أمـام انتظار اللقاء روائيا ثم بعدها يجسد هذا اللقاء ويستعيد نفس اللحظة التـي رواهـا ابـن عربشاه ، مع فارق واحد، هو أن المقطع داخل النص يأتي على لسـان ابـن خلـدون الشخصية الروائية وكذا التاريخية بحكم أن نص اللقاء مأخوذ من كتاب التعريف :

"...ودعا ضيفه إلى تناول الطعام بين يديه...قال بنوع من التـأني... [أيـدك ا ، إلـى اليوم ثلاثون أو أربعون سنة وأنا أتمنى لقاءك، لأنك سلطان العالم، وملك الـدنيا، ومـا أعتقد أنه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك ، ولست ممن يقول في الأمـور بالجزاف فإني من أهل العلم ، وأبين ذلك فأقول : إن الملك إنما يكون بالعصبية ، وعلى كثرتها يكون قدر الملك ؛واتفق أهل العلم من قبل ومن بعد ، أن أكثر أمم البشر فرقتـان العرب و الترك ، وأنتم تعلمون ملك العرب كيف كان لما اجتمعوا في دينهم على نبـيهم وأما الترك ففي مزاحمتهم لملوك الفرس وانتزاع ملكهم إفراسياب خراسان شاهد بنصابهم

---

[1] -الرواية ، ص90.

من الملك ، ولا يساويهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرض من كسرى أو قيصـر ،أو الإسكندر ، أو بختنصر .أما كسرى فكبير الفرس وملكهم ؛ وأين الفرس من الترك ؟ وأما قيصر و الإسكندر فملوك الروم ، وأين الروم من الترك ؟ وأما بختنصر فكبير أهل بابل، والنبط .وأين هؤلاء من الترك؟ وهذا برهان ظاهر على ما ادعيته في هذا الملك] كشـر تيمور عن أسنانه وغابت حدقتا عينيه وراء أجفانها، ثم أطلق ضـحكة متقطعـة أولهـا العلامة تأويلا حسنا"[1].

لقد اعتمد النص الروائي في هذا المقطع بالذات، على سندين تاريخيين للمقارنة بين القول المباشر لابن خلدون وأقوال أخرى تنتمي بدورها إلى التاريخ ولكنها تختلف مـن حيث سرد المعلومة وكذا وجهة النظر. و بإمكان هذه الملاحظة أن تعيدنا إلى التسـاؤل المطروح في بداية الحديث عن التصديرات والمتعلق بالوظيفة الإضافية التي يمكـن أن تلعبها هذه التصديرات.

أول ما يمكن قوله، هو أن كل تصديرات الرواية [وعددها ستة]جـاءت نصوصـا خارجية Allographe ، مما يفتح النص على فضاءات و مستويات عدة. أهمها، أن هذه النصوص هي نصوص تاريخية بالدرجة الأولى، مما يمنح التصـدير وظيفـة جديـدة ومهمة بحكم علاقة الرواية بالتاريخ وهي وظيفة مرجعية، خاصة أن ما ورد في الـنص بفصوله الثلاثة يطابق ما جاءت به التصديرات.حيث قامت هذه النصوص التصـديرية مقام السند التاريخي الذي يؤكد في كل مرة تاريخية الرواية واعتماداتها.

وعليه، فقد احتكم نص العلامة في كل تصديراته إلى ما هو خارجي وتاريخي بالدرجـة الأولى بدل الاعتماد على التخييل. و حاول المزاوجة بينهما بحيث ارتبطت الرواية فـي كل معلوماتها بتدليل تاريخي يعيدنا دائما إلى هذه العلاقة التي تربط نص المتخيل بالنص التاريخي.

---

[1] -الرواية ، ص222.

3. **شبكة التعالق النصي في الرواية :**

يعتمد نص العلامة أساسا على نصوص ابن خلدون التاريخية، وهذا الاعتماد يتجلى في حضور هذه النصوص على مستوى النص الروائي. وقد أدى حضورها و تقاطعهـا مع المتخيل إلى تحقيق البعد التاريخي من جهة و الذي منح بفضل هذه النصوص مكانـة النص السابق من جهة أخرى.

و قد تمكن محاولة فك الشبكة العلائقية المنسوجة بين النصين ، رغم صعوبة ذلك ، من معرفة مدى التداخل القائم بين رواية العلامة و تاريخ ابن خلدون، وكـذا أهميتـه. ولذلك سنحاول من خلال الجدول الآتي ، تتبع هذه العلاقات في النصـوص التاريخيـة -الأربعة- بمقابل النص الروائي. والتي يمكن حصر صور حضورها علـى مسـتوى النص التاريخي في تمظهرات ثلاث: أولها، حضور النص التاريخي حضـور فكـرة أو حدث دون الاعتماد على كلمات النص في حد ذاتها ، ثم في مسـتوى أكثـر التصـاقا ، حضور كلمات تاريخية تستقر داخل النص الروائي دون أي عازل نصي بينهما [أي دون علامات تنصيص أو إحالة على النص السابق التاريخي] ثم حضور جملي وفقري للنص التاريخي في النص الروائي من خلال مقاطع معينة نجدها في النصين معا ، وقد أفـرز تتبع هذه العلاقات ما يلي :

حضور فكرة	الرواية	التاريخ			حضور كلمات أو عبارات مدرجة داخل السرد دون فاصل	الرواية	التاريخ		
		المقدمة	العبر	التعريف			المقدمة	العبر	التعريف
الحكم بالعدل.	8			277	قاضيا للمالكية بالصالحية بين القصرين	7			
الثبات على الحكم .	09			278	السلطان الظاهر برقوق ستة وثمانين وسبعمائة	08			
غرق الأسرة.	09			279	ومثل بحر النيل فيها بنهر الجنة	09			264
الإنطواء على النفس واعتزال الدنيا الحج العقلي.	10			270	متذرعا بالحج إلى أمكنة الله الحرام ، وذلك حتى يفلت من السلطان الحفصي أبي العباس	09			262
خروج الورثة والزور في الحكم والشهادات	13			265	من لم يرها لم يعرف عز الإسلام.	09			265
قصة الزرزور وعدم تصديق الخرافات الواردة في تاريخ بعض الرحالة	28			264	نزول الإسكندر ...وتطريدها .لم أصدق قصة تغلب أبي عنان ...قتل الأسد	27	262		

انتقاد نقد الخلط الدفاع عن خلفاء عباسيين ضد تهم تعاطي الخمر	37			232	مدينة النحاس من صحراء سجلماسة لم أصفق... حتى آخر الدهر .	29	264		
دخول الخرافي في التاريخي	28	219			كان إذا سافر أحصى سكان دلهي ...ثم إذا عاد إليهم أمر بنصب المنجنيقات في الحقول لتقذف بها شكائر الدراهم والدنانير	35	505		
اختلاف الفرق المسيحية	37				إظلام الجو بيني وبين صديقي لسان الدين ، الغيور على منصبه	40			
مبدأ تأمل الأخبار وتمحيصها	37	219			ثم نزولي إلى بجاية متلهفا لأرقى وظيفة ، طامعا في جني ثمار معاضدتي لأميرها أبي عبد ا أيام محنته .وفعلا ما إن نلت منه ما ابتغيت ، فقضيت وقتا في الحجابة على الأستبداد ، من جمادى اأولى ست وستين إلى شعبان سبع وستين وسبعمائة	40			
الإرتفاع بالعصبية	37	الباب2			الحضري ...و الأعرابي	44			

ذم واتهام الصوفية..	38				أدباء المسالك والممالك	44	96		
مساعدة أمير بجاية على الخروج على السلطان أبي عنان مقابل الحجابة و سجن ابن خلدون من طرف المريني	39				تسخير الناس بغير حق	53	683		
تحريره وموت أبي عنان .	39				الظلم المؤذن بخراب العمران	54	679		
خروج أبي عنان على أبيه.	40			65	باب الإصلاح أمده في الدولة قصير	57			
مقتل الأمير عبد ا وهروب ابن خلدون	41			106	في شأن الكيمياء ...من المعادن الخسيسة ...بقايا الحوانات وفضلاتها من دم وبيض وشعر وعذرة	72	1216		
رفض الحجابة من سلطان تلمسان .	41			111	نجد من بينهم الكثير من طلبة البربر بالمغرب ...المعاش الطبيعي .	73	1224		
مباركة الرسول لنسل وائل ابن حجر سلف ابن خلدون.	42			04	لا عمران بلا اعتمار وانتشاط	83	709		

مفهوم التاريخ	44	252			على الساحل الغربي لشبه جزيرة سيناء إلى مكة مرورا بالينبع...الحج إيابا من مكة إلى مصر، مروا بالينبع ...وقوص قصبة الصعيد.	95			282/281
سوء المعرفة بالتاريخ	46	252			هو الترف المؤذن بفساد العمران	99	441		
مثالب العصبية	53/52	الباب 3/2			عيونا خصتني بالتجلة والوقار	105			341
العيش في ظل السلطان أبي سالم ونظم الشعر فيه	54			130/70	بغلة شهباء فارهة...هي لك هبة من لدن مولانا	108			346
ضعف الدولة بالإستبداد	58			الباب الثالث	تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشية	140			331
أعمدة السلب والنخر في كيان الدولة وما ينتج عنه من دمار وتحولات الدولة نحو النهاية	61			الباب 3 780/461	و قال فيه ابن حنبل :"إذا ذكر الحديث فمالك أمير المؤمنين ، وقال الشافعي قبله "إذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يديك"	141			344
عيوب الحكم	66	461			طلعت شبكة القصيدة بما أملته من عودة المياه إلى مجاريها ، فحظيت تدريجيا بعفو السلطان و إحسانه	155			365

قلعة ابن سلامة					تاريخ مصر المملوكي	156		1086/979	
موت أبويه ومعلميه بالطاعون					هذا المواليا لعله من أحسن الموشحات المشرقية	162	1352		
الحديث عن تيمور وتنبؤ الآبلي برؤية ابن خلدون له					لتتر الذين هزمهم أجدادك بعين جالوت سنة ثمان وخمسين وستمائة	169		ج10	
الحج ذهابا وإيابا	95			282	في أن العلماء من البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها الفصل الثاني والأربعون من الكتاب الأول من ديوان المبتدأ والخبر	175	1245		
التسليم على الظاهر برقوق بعد العودة	96			282	دولة المماليك البرجية	177		ف14/با	
وصف العمران القصر الملكي ولواحقه	97/96	648			أعمار الدول كأعمارالأشخاص	177	485		
تسلط العبيد على الملك	98				الظلم مؤذن بخراب العمران	180	679		
وصف مقصورة الصلاة	102	650			قضاء المالكية عوضا عن ابن التنسي	182			383
الدعوة للسلطان	106			282	زيارة الأماكن المقدسة	185			386

نصح ابن خلدون للسلطان بجلب خيل مغربية	108			375	احتل بلاد الروم ..هدم سيواس ...يقصد دمشق	190			406
كتابة تاريخ الأسلام الشرقي	113		1036[10م]		القاضي المالكي المغربي	221			409
اكفهرار الجو بين يلبغا الناصري وبرقوق	131				المترجم الفقيه عبد الجبار ابن النعمان الحنفي الخوارزمي	221			409
التأريخ للسلطان برقوق	136		1245		بإحضارإحدى الأكلات المغولية واسمها الرشتة	222			412
علاقة الظاهر برقوق بأعدائه وكيفية تعامله معهم	137			357	مكتوب أمان	237			423
حياة برقوق	138		1011 [10م]		أقبل مركب من مراكب ابن عثمان ، سلطان بلاد الروم .	239			424
الحديث عن موطأ الإمام مالك والخطبة التي ألقاها ابن خلدون يوم توليه التدريس	141			328	المصحف..السجادة... ونسخة من قصيدة البردة للأبويصري	234			421

توفير الحاجيات من نظارة الخانقاه	145			344	الأخبار تروج هنا عن هلاكك	241			229
أخبار تيمور وتيمور	168			388	تعييني للمرة الثالثة قاضي المالكية بالقاهرة والعزل منها	242			429
					تعييني للمرة الخامسة في خطة القضاء [وخلعه منها]	247			430
اشتداد التنازع بين برقوق ونائبيه يلبغا الناصري ومنطاش	145			359					
تطورات فتنة الناصري	147			363/362/361					
غضب الظاهر على ابن خلدون إثر إمضائه على فتوى قتاله	145			365					
انتزاع الخانقاه من ابن خلدون	155			365					
أخبار تيمور وتيمور	168			388					

حرب تيمور مع المماالك وطريقته في ارباك العدو	171			407					
معنى تيمور وسياسته	177			485					
الدولة لها عمر لا تتعداه	180	ف43/باب3							
نصائح ابن خلدون لبرقوق حول الترتيبات العسكرية	179			370					
سوء التفاهم بين صلاح الدين الأيوبي والسلطان الموحدي	180			376					
نصح ابن خلدون لموفد برقوق لملوك المغرب من أجل الخيول	181			370					
وصول موكب ملوك المغرب	183			381					
تولي الناصر فرج والفتن الدائرة	184			384					

التمنع عن دخول كنيسة القيامة لما فيها من تشهير بالقران الكريم	185			386					
زيارة بيت لحم والأماكن المقدسة	186			387					
عزل ابن خلدون عن القضاء وتولي بن الخلال	187			387					
السفر مع السلطان لملاقاة تيمور	191			407					
لا مشروعية الحكم بعد الخلفاء	192	ج2							
عودة السلطان إلى مصر –هروبه-	214			408					
أحداث ليلة اللقاء مع تيمور واجتماع القضاة	220			409/408					
لقاء ابن خلدون مع تيمور وحوارهما واشراف تيمور على كل ما يخص جنوده	221			410/409					

رجل تيمور المعطوبة	223			416					
تسلم تيمور لمفاتيح المدينة من أيدي القضاة	228			416					
استبقاء تيمور للعلامة ومناظرته في شأن الماء	228			416					
كتابة التقييد الخاص بالمغرب	229			417					
تهديم القلعة وعبث جنود التتر بدمشق	236			/419					
ذكر شجرة النسب الاخاصة بالخلافة	237			423					
منح بغلة ابن خلدون لتيمور	238			424					
رحيل ابن خلدون عن تيمور	241			425					
زيارة صاحب مصر عند العودة	242			426/425					
مراسلة السلطان المريني أبو سعيد	243			430					

تولي القضاء للمرة الرابعة والعزل منه									

حضور فقرات وجمل كاملة	الرواية	التاريخ		
		المقدمة	العبر	التعريف
[فقمت بما دفع إلي من ذلك المقام المحمود، ووفيت جهدي بما أمنني عليـه من أحكام ا ،لا تأخذني في الحق لومة،ولا يزعني عنه جاه ولا سـطوة ، مسويا في ذلك بين الخصمين ، آخذا بحقّ الضـعيف مـن المحتكمـين ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين ، جانحا إلى التشبث في سماع البينات، والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات ، فقد كان البر منهم مختلطا بالفاجر ،والطيب متلبسا بالخبيث ، والحكام ممسكون عن انتقـادهم ،متجاوزون عما يظهرون عليه من هناتهم ،لما يموهون به من الاعتصـام بأهل الشوكة ، فإن غالبهم مختلطون بالأمراء ،معلمين للقرآن ، وأئمة فـي الصلوات ، يلبسون عليهم بالعدالة ، فيظنون بهم الخير ويقسمون لهم الحظ من الجاه في تزكيتهم عند القضاة ، والتوسل لهم ، فأعضل داؤهم ، وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم...]	08			273/274
[فكثر الشغب علي من كل جانب ، وأظلم الجو بيني وبـين أهـل الدولـة .ووافق ذلك مصابي في الأهل والولد ،وصلوا من المغرب فـي السـفين ، فأصابها قاصف من الريح فغرقت فذهب الموجود والسكن والمولود ، فعظم المصاب والجزع ،ورجح الزهد ، واعتزمت على الخروج من المنصب...]	10			279

		262	24	[ويجعل الغواص على وجهه مهما أراد أن يغوص شيئا يكسوه من عظـم الغيلم ،وهي السلحفاة ، ويصنع من هذا العظم أيضا شكلا شبه المقـراض يشده على أنفه ، ثم يربط حبلا في وسطه ، ويغوص .ويتفاوتون في الصبر في الماء ، فمنهم من يصبر الساعة والساعتين ما دون ذلك ، فإذا وصـل إلى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الأحجار الصـغار مثبتـا فـي الرمل ، فيقتلعه بيده ، أو يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك ...]
			27	لم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال ، انما هو الاسلام أو الجزية أو القتل]
		شفاء السائل	35	[و أما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس ، مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي ، والبد لابن سبعين ، وخلع النعلين لابن قسي .فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق]
			39	[ومعنى الحجابة-في دولنا بالمغرب –الاستقلال بالدولة ،والوساطة بين السلطان وأهل دولته ، لا يشاركه في ذلك أحد]
		1245	41	[في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها]
			41	[الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسية ، فيقع فيه التنافس غالبا وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه ، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب]
		431	42	[البيت والشرف بالأصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه]
		433	42	[أما الدنيا فنلناها بسيوفنا لا بهذا النسب ، وأما نفعهما في الآخر فمردود إلى ا

[[الأمم والأجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تنقل]	45	258		
[يكثر منهم الفسق و الشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجه ومن غير وجه ، فتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له]	55	/		
[الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء]	62	220		
[أسمع صوتا ولا أرى أحدا .عهدي به يتدحرج بين يدي الوزير إلى مصلى الجمعة ، أو يجلس للعرض كفرخ حمام المطوق مخضوب الرجلية ، مشمر الذيل ، حسن القبض على المنديل والمدية ، قد دارت العمامة منه على قمر ، لا يزال في الأريكة يتوقد كالذبال في مشكاته نبلا وهشة]	55			
[لما انحسر مدد الدين الأول بذهاب معجزاته ، ثم بفناء الصحابة الذين شاهدوها ، استحالت تلك الصبغة قليلا قليلا ، وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان]	58	63		
[لاحظتني بالتجلة والوقار العيون ، واستشعرت أهليتي للمناصب القلوب ، وأخلص النجي في ذلك الخاصة و الجمهور]	70			
[إن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتملق]	74	908		
[إن القائمين بأكمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والآذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب]	74	913		
[إن الفلاحة من معاش المتضعين و أهل العافية من البدو]	74	914		

تعذر [المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب]	74	914		
على أي حال لليالي أعاتب وأي صروف للزمان أغالب كفى حزنا أنني على القرب نازح وانى على دعوى شهودي غائب	79			
[ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المئة الثامنة من الطاعون الجارف ، الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل ، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر ، فخربت الأمصار والمصانع ، ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل ، وضعفت الدول والقبائل ، وتبدل الساكن .وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه .وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والإنقباض ، فبادر بالإجابة .وا وارث الأرض ومن عليها]	81	258		
[العالم بستان سياجه الدولة .الدولة سلطان تحيء به السنة .السنة سياسة يسوسها الملك .الملك راع يعضده الجيش .الجيش أعوان يكفلهم المال .المال رزق تجمعه الرعية .الرعية عبيد يتعبدهم العدل .العدل مألوف وهو قوام العالم .العالم بستان سياجه الدولة]	86			
[السلطان الظاهر والعزيز القاهر، يعسوب العصائب والجماهر، ومطلع انواع العز الباهر، سيف ا المنتضي على العدو الكافر، ورحمته تكفلة للعباد باللطف الساتر]	106			309
[رب التيجان والاسرة والمنابر، والأواوين العالية والقصور الازاهر، والملك المؤيد بالبيض البواتر، والرماح الشواجر، والاقلام المرتضعة أخلاف العز مهود المحابر]	107/106			309

317			107	[أمير المؤمنين وعرفه آثار عنايتك في الموارد والمصادر، و أره حسن العاقبة في الأولى وسرور المنقلب في الآخرة. اللهم اجعل السعد قرينه والعز خدينه وكن وليه على القيام بأمر المسلمين ومعينه، وبلغ الأمة في اتصال أيامه ودوام سلطانه]
322			107	[اللهم بحرمة نبيك سيد المرسلين أضرع إليك أن تحمي مولانا السلطان من غيرالدهر وصروفه، وتفيء على ممالك الإسلام ظلال أعلامه ورماحه وسيوفه، وتريه قرة العين في نفسه وبنيه وحاشيته وذويه وخاصته ولفيفه]
353/352			137	[وانطلقت أيديهم على أهل البلد بمعرات لم يعهدوها من أول دولتهم ، من النهب والتخطف وطروق المنازل والحمامات للعبث بالحرم ، واطلاق أعنة الشهوات والبغي في كل ناحية ، غمارج أمر الناس ورفع الأمر إلى السلطان ، زكثر الدعاء واللجأ إلى ا ، واجتمع أكابر الأمر إلى السلطان ، وفاوضوه في كف عادياتهم ، فأمرهم بالركوب ، ونادى في جنده ورعيته بانطلاق الأيدي عليهم والإحتباط بهم في قبضة القهر ، فلم يكن إلا كلمح البصر ، وإذا م في قبضة الأسر ، ثم عمرت بهم السجون ، وصفدوا وطيف بهم على الجمال ينادى بهم ، ابلاغا في الشهرة ، ثم قطع نصفغين أكثرهم ، وتتبع البقية بالنفي والحبس بالثغور القصية، ثم أطلقوا بعد ذلك وكان فيمن أطلق جماعة منهم بحبس الكرك فيهم برقوق ال>ي ملك أمرهم بعد ذلك ،وبركة الجوباني والطنغا الجوباني وجهركس الخليلي]
358			138	[وانفرد برقوق بعد ذلك بحمل الدولة ينظر في أعطافها بالتهديد والتسديد والمقاربة ، والحرس على مكافئة الدخل بالخرج .ونقض ما فيه بنو قلاوون من الإمعان في الترف والسرف في العوائد والنفقات حتى صار الكيل في الخرج بالمكيال الراجح ، وعجزت الدولة عن تمشية أحوالها.وراقب ذلك كله برقوق ، ونظر في سد خال الدولة منه ، وإصلاحها من مفاسده ، يعتد ذلك ذريعة للجلوس على التخت ، وحيازة اسم السلطان من أولاد قلاوون ، بما أفسد الترف منهم ، وأحال الدولة بسببهم إلى أن حصل من ذلك على البغية ، ورضي به أصحابه و عصابته فجلس على التخت في التاسع عشر رمضان من سنة أربع وثمانين ، وتلقب بالظاهر]

سيدي والظنون فيك جميلة .. وأياديك بالأماني كفيلة لا تضعني فلست منك مضيعا .. ذمة الحب والأيادي الجميلة وأجرني فالخطب عض بنابيه .. وأجرى إلى حماي خيوله وغريب أنستموه على الوحشة.. والحزن بالرضى والسهولة	152			365
والعدا نمقوا أحاديث إفك.. كلها في طرائق معلولة روجوا في شأني غائب زور نصبوها لأمرهم أحبولة فاقبلوا العذر اننا اليوم نرجو .. بحياة السلطان منكم قبوله وأعينوا على الزمان غريبا .. يشتكي جدب عيش ومحوله جاركم ضيفكم نزيل حماكم .. لا يضيع الكريم يوما نزيله	152			367
كيف بالخانقاه ينقل عني .. لا لذنب أو حجة منقوله بل تقلدتها شغورا بمرسوم.. شريف وخلعة مسدوله ولقد كنت آملا لسواها .. وسواها بوعده أن ينيله وتوثقت للزمان عليها و بقعود ما خلتها محاوله	154			369
حين لذ النوم منا أو كما هجم الصبح هجوم الحرس غارت الشهب بنا أو ربما أثرت فينا عيون النرجس	162	1352		
في ليال كتمت سر الهوى في الدجى لولا شموس الغرر مال نجم الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر	30	1337		
هذي جراحي طريا والدما تنضح وقاتلي يا أخيا في الفلا يمرح قالوا ونأخذ بثارك قلت ذا أقبح إلي جرحني يداويني يكن أصلح	162	1353		

		1344	162	طرقت باب الخبا قالت من الطارق فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق تبسمت لاح لي من ثغرها بارق رجعت حيران في بحر أدمعي غارق
		1344	162	دهر لي نعشق جفونك وسنين وأنت لا شفقة ولا قلب يلين حتى ترى قلبي من أجلك كيف رجع صنعة السكا بين الحدادين خلق ا النصارى للغزو وأنت تغزو قلوب العاشقين الدموع ترشرش والنار تلتهب والمطارق من شمال ويمين
		1336	163	هل درى ظبي الحمى أن قد حمى . قلب صب حله عن مكنس فهو في نار وخفق مثلما .. لعبت ريح الصبا بالقبس
376			182	[وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح ، شيدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور ، منجدة ومصطفة ، مرقوما على رؤوسها صور ملوك القياصرة ، وتواريخ دولهم ، مسيرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها .ولقد يشهد ه>ا المصنع بعظم ملك القياصرة وضخامة دولتهم]

[أيدك ا ، إلى اليوم ثلاثون أو أربعون سنة وأنا أتمنى لقاءك ، لأنك سلطان العالم ، وملك الدنيا ، وما أعتقد أنه ظهر في الخليقة من> آدم لهذا العهد ملك مثلك ، ولست ممن يقول في الأمور بالجزاف فإني من أهل العلم ، وأبين ذلك فأقول : إن الملك إنما يكون بالعصبية ، وعلى كثرتها يكون قدر الملك ؛واتفق أهل العلم من قبل ومن بعد ، أن أكثر أمم البشر فرقتانالعرب و الترك ، وأنتم تعلمون ملك العرب كيف كان لما اجتمعوا في دينهم على نبيهم وأما الترك ففي مكزاحمتهم لملوك الفرس وانتزاع ملكهم إفراسياب خراسان شاهد بنصابهم من الملك ، ولا يساويهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرضمن كسرى أو قيصر ،أو الإسكندر ، أو بختنصر .أما كسرى فكبير الفرس وملكهم ؛ وأين الفرس من الترك ؟ وأما قيصر و الإسكندرفملوك الروم ، وأين الروم من الترك ؟ وأما بختنصر فكبير أهل بابل ، والنبط .وأين هؤلاءمن الترك؟ وهذا برهان ظاهر على ما ادعيته في هذا الملك]	222			414
[أنا غريب بهذه البلاد غربتين ، واحدة من المغرب الذي هو وطني ومنشأي ، وأخرى من مصر وأهل عيلي بها . وقد حصلت في ظلك ،وأنا أرجو رأيك لي في ما يؤنسني في غربتي . -قل الذي تريد أفعله لك - حال الغربة أنستني ما أريد ، وعساك-أيدك ا -* أن تعرف لي ما أريد]	237			422

وانطلاقا من التعيينات البارزة في الجدول، يمكن الحصول على نسبة تقريبيـة لـ دخول النص التاريخي في النص الروائي، وذلك ما سيسهل استنتاج الأحكام من النصين معا:

فاتحة الرواية :

الرواية ⟵ 3015 كلمة خطية*

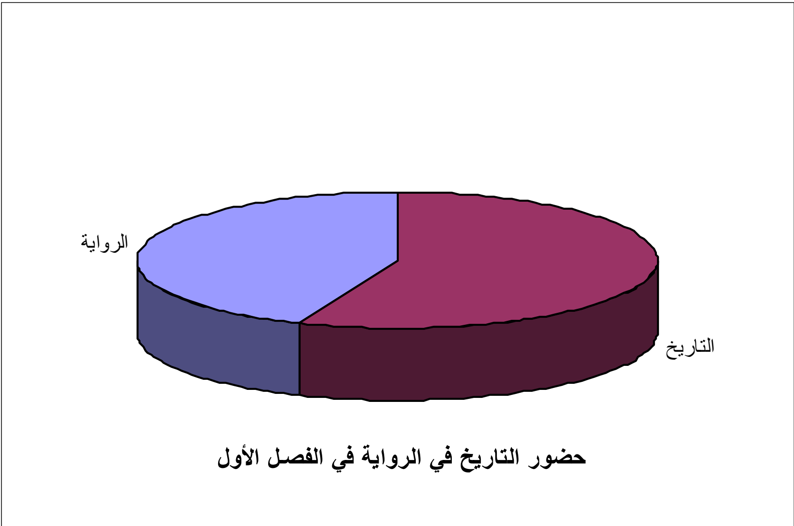
التاريخ ⟵ 515 كلمة خطية

نسبة الحضور :17.08 ٪

---

* - الكلمة الخطية هي "مجموعة من الحروف المحفوفة يمينا وشمالا ببياض يكون حدودها الطبيعية " يمكن العودةإلى ،عبد المجيد سالمي،العناصر الإفرادية في كتب القراءة العربية،رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،ديسمبر1988،ص40.

الفصل الأول : الإملاءات في الليالي السبع



حاشيتان

الرواية ← 442 كلمة

التاريخ ← 68 كلمة

نسبة الحضور : 15.38٪

الليالي السبع (الفصل)

الرواية ← 12125كلمة

التاريخ ← 4058كلمة

نسبة الحضور: 33.46٪

حاشية:

الرواية ← 113

التاريخ ← 0كلمة

نسبة الحضور : 0٪

حاشيتان

الرواية ← 1450

التاريخ ← 108

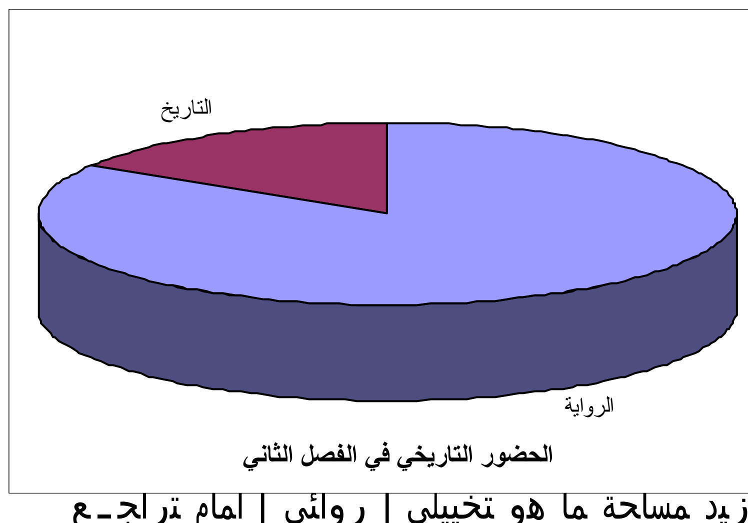
نسبة الحضور: 7.44٪

وتبلغ النسبة الكلية لمجموع الأقسام إلى : 56.28٪

يمكن أن نستنتج من هذه النسب أن العنصر التاريخي غاب على العنصر التخييلـي في هذا الفصل، والسبب في ذلك واضح يؤكد ما قلناه سابقا عن اعتماد التاريخ في بنـاء الأمالي واعتباره سندا أساسيا في بناء الفصل ككل. كما نلاحظ من جانب آخـر ضـعف حضور التاريخ في الحواشي التي تميز هذا الفصل بكثرتها [5 حواشي] ، ذلك أن هذه الحواشي تقدم سردا للقصة الإطار ، فهي تغني المتخيل ولذلك ضعف فيها عنصر التاريخ كما جاءت على حافة النص " حاشية " باعتبار المادة التي تحتويها والتي تخرجهـا عـن

النص العام الغني بالتاريخ ، مما يوهم بتاريخية كل ما جاء في النص الفصـلي ونقـول يوهم لأن النص لم يكن تاريخيا في كليته بل امتزج بالتخييلي بشكل كبير ومهم .

<u>الفصل الثاني</u> : بين الوقوع في الحب والحلول في ظل الحكم



الرواية ← 11621 كلمة

التاريخ ← 1803 كلمة

نسبة الحضور : 15.51٪

كملاحظة أولية، تغيب الحواشي عن المتخيل بعيدا عما هو تاريخي، حيث تزيد مساحة ما هو تخييلي [روائي] أمام تراجـع التاريخي، إذ يرتبط الفصل بحياة ابن خلدون الخاصة وزواجه بأم البنين وإنجاب طفلـة منها وهو ما أدى إلى التخلي عن الحواشي لأننا في عمق المتخيل.غير أن ذلك لا يعنـي انتفاء البعد التاريخي الذي يبقى حاضرا كخيط رفيع يؤطر العملية الروائية.

<u>الفصل الثالث</u> : الرحلة إلى تيمور الاعرج جائحة القرن

الرواية ← 15900 كلمة

التاريخ ← 3760 كلمة

نسبة الحضور: 23.64٪

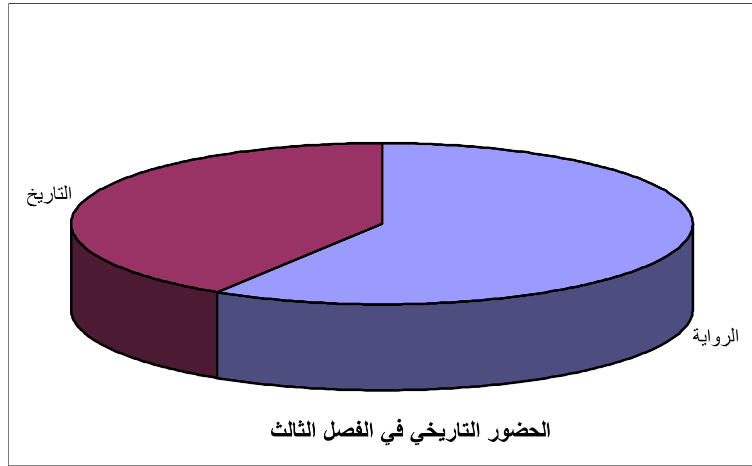
<u>تذييل</u> :

الرواية ← 2848كلمة

التاريخ ← 477كلمة

نسبة الحضور : 16.64٪

نسبة الحضور في الفصل ككل : 40.38٪



يعود السند التاريخي إلى قوة الحضور التي كان عليها في الفصـل الأول، ذلـك أن نص هذا الفصل الأخير مرتبط أيضا بسرد حوادث يغلب عليها طـابع التـاريخ وذلـك واضح بدءا من العنوان فهو يخص اللقاء بتيمور، كما اعتمد هذا الفصـل علـى نـص التعريف بكثرة مقارنة بباقي النصوص، وهو ما لا يميز هذا الفصل فحسب بل الروايـة ككل [يظهر ذلك من خلال الجدول السابق].

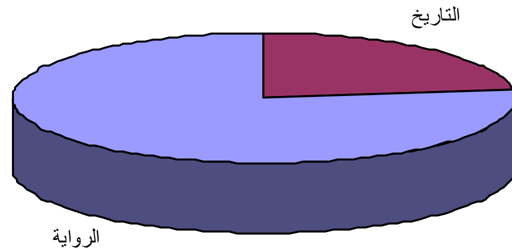
وعليه، يمكن استنادا إلى ما سبق، تحديد الحضور التاريخي في نص العلامة بأكمله،

الرواية ← 47514 كلمة

التاريخ ← 10789 كلمة

نسبة الحضور: 22.70 %

وهي نسبة مهمة إلا أنها لم تتجاوز الحد الذي يقتل ما هو تخييلي في النص ولـذلك يمكن أن نعتبر وجودها سندا للرواية لا يلغي عنها هذه الصفة ، أي كونها رواية.



الحضور التاريخي في الرواية ككل

تجدر الإشارة إلى أن النصوص المتعلقة بنص العلامة تتجاوز نصوص ابن خلدون إلى نصوص أخرى مختلفة من حيث نوعها وانتمائها، يمكن إيرادها هـي الأخـرى ضـمن جدول خاص :

النصوص الأخرى المتناصة	طبيعتها	مكان ورودها من الرواية	كيفية ورودها
إن ا لا يظلم مثقال ذرة وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما	آية قرآنية	13	أثناء السرد على لسان ابن خلدون
نهج البلاغة ، والرسالة القشيرية ، وطبقات الصوفية . ... وأما مولانا ، أيده ا ، فإنه أقدم على عدوه منفلردا بنفسه الكريمة بعد أن علم بفراره الناس وتحققه أنه لم يبق معه من يقاتل .فعند ذلك وقع الرعب في نفوس الأعداء ، وانهزموا أمامه.فكان من العجائب فرار الأمم أمام واحد]	عناوين كتب	14	أثنا السرد تشير إلى ما كان يقرأ ابن خلدون ....
[وعن نوف البكالي قد رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم ، فقال يا نوف : أراقد أنت أم رامق ؟ فقلت بل رامق يا أمير المؤمنين ، قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآ خرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا ، والدعاء دثارا .ثم قرضوا الدنيا قرضا على مناهج المسيح]	مقطع من كتاب نهج البلاغة	15	قراءة ابن خلدون
قال رجل لزوجته : ان لبست هذا الفستان فأنت طالق ، وان لم أجامعك فيه فأنت طالق .يلبس الرجل الفستان ويجامعها فيه ، فلا هو حنث ولا هي تحيرت .	مقطع من كتاب الجرح والحكمة لبنسالم حميش	17	أثناء البحث عن قياس من أجل الإفتاء
هن لباس لكم وانتم لباس لهن	من الآية 187من سورة البقرة	18	استشهاد أحد القضاة في إفتائه للزوجين
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار	عنوان كتاب	34	على لسان الكاتب حمو الحيحي الذي أراد إيراده

			كإحالة على كلام المملي
الفصوص والفتوحات المكية لابن العربي ، والبد لابن سبعين وخلع النعلين لابن قسي .	عناوين كتب صوفية	38	في مقطع لابن خلدون حكم فيه بحرق هذه الكتب .
الشهب اللامعة في السياسة النافعة	عنوان كتاب لابن رضوان	55	أثناء السرد والحديث عن السلطان أبي سالم.
ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن		59	تلاطف.في حوار لابن خلدون
لا بارك ا في ان لم أصرف النفس في الأهم وكثر ا في همومي إن كان غير الخلاص همي إذا الليل ألبسني ثوبه تقلب فيه فتى موجع	أبيات شعرية	77	كاستشهاد في حوار مع الكاتب
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون	من الآية 93من سورة هود	85	على لسان ابن خلدون كاستشهاد.
منازل السائرين إلى الحق المبين	كتاب للهروي الأنصاري .	87	اثناء السرد ، تشير إلى ما أخذه ابن خلدون للحج من كتب .

نيّني يا مومو حتى يطيب عشاء مو	أغنية شعبية تستخدم	89/88	

الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	الآية 02من سورة الملك	110	كاستشهاد في تعزية أم البنين في موت زوجها.
عش رجبا تر عجبا	مثل	118	على لان الراوي ابن خلدون .
ليس عدلا كل هذا الاختلال في الدنيا وهذه الأنانيات الهوجاء ليس عدلا أن تتنزلنار الحياة على فرقة بردا وسلاما ، وعلى الجمهرة سعيرا وإيلاما	مقطع من كتاب الجرح والحكمة لبنسالم حميش	120	على لسان ابن خلدون تحسرا على الحالة المزرية للناس .
ادعوني أستجب لكم		126	على لسان ابن خلدون في مجال الشكر والاستشهاد .
طوق الحمامة ، أو روضة المحبين ،أو الأغاني	عناوين كتب أدبية	127	سرد، قراءات ابن خلدون .
قل لن يصيبنا إلا ما كتب ا لنا	من الآية 51من سورة التوبة	130	في حوار كاستشهاد على لسان ابن خلدون
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى	الآيتان 41/40من سورة النازعات	132	كاستشهاد على لسان شيخ الزاوية .
" لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات	حديث نبوي	134	في حوار داخلي
وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم	من الآية 7من سورة ابراهيم	140	كاستشهاد في حوار داخلي كاستشهاد

الموطأ	عنوان كتاب الحديث للإمام مالك	140	على لسان الراوي .
كركوهر طاعتت نسفتم هركز ..وركرد كنه زرخ نزفتم هركز نوميد نيم زبار كاه كرمت زيراكه يكي رادو نكفتم هركز	أبيات من رباعيات الخيام باللغة الفارسية	160	في الحانة
انه عليم بذات الصدو .... في أخبار النساء [وقع بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع ، فقالت له : أبعدك ا كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا أطيق رده]	من الآية 13 من سورة الملك .... مقطع من كتاب الجرح والحكمة	161 163	في حوار داخلي لابن خلدون .... على لسان أحد رواد الحانة .
"فكوني لي لباسا أكن لك لباسا..."	من الآية :"هن لباس لكم وأنتم لباس لهن "187 من سورة البقرة	163	على لسان ابن خلدون

عن الخطيب عن جابر أن النبي (صلعم) " نهى عن المواقعة قبل الملاعبة "	حديث شريف	164	على لسان الراوي.

ظفر نامه وتاريخي غازاني	عناوين مصنفات فارسية	172	في إطار سردي يذكر أخبار المغول
العلماء ورثة الأنبياء ...	حديث نبوي	174	كاستشهادات على لسان العلماء أثناء لقائهم للظاهر برقوق .
"عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد "	حديث نبوي	174	=
العلم حياة الإسلام	=	=	=
" العلم خزائن ، ومفتاحها السؤال ، فاسئلوا يرحمكم ا ، فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل ،والمعلم، ووالمستمع ، والمحب لهم "	=	=	كلام ابن خلدون في حواره مع برقوق
" نصرت بالرعب مسيرة شهر "	=	176	=
الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل ا فبشرهم بعذاب أليم	من الآية 34 من سورة التوبة	179	تأكيدات على لسان ابن التنسي على ما يقوله ابن خلدون
" رب حيلة أ نفع من قبيلة "	مثل سائر	181	تأكيد ابن التنسي ودعمه لحجج ابن خلدون .
لا تأخذه سنة ولا نوم	من الآية 255 من سورة البقرة	182	ابن التنسي حين غلبه النعاس.
		188	

(لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)	من الآية 43من سورة النساء	198	كاستشهادات على لسان العلماء أثناء افتائهم في أمر الجنود

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل		=	=
وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره	الآية 36من سورة الكهف	234	ابن خلدون يدرجها كاعتذار عن نسيانه
وفوق كل ذي علم عليم	من الآية 76من سورة يوسف	236	استشهاد ضمن رد ابن خلدون على تيمور
لا تقنطو من رحمة ا	من الآية 53 من سورة الزمر	244	شعبان محاولا مواساة ابن خلدون .
"الخمر أم الفواحش و أكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته" "الحرب خدعةّ"	حديث نبوي	197 201	حول الفتوى في أمر الجنود =
كلوا أكل ما إن عاش أخبر أهله وإن مات يلقى ا وهو بطين	بيت شعري	223	أثناء القاء مع تيمور والأكل بين يديه
ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان مصرعي	=	224	على لسان شيخ الفقراء في لقاء تيمور
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا وأولي الأمر منكم الأية خاطئة والصواب يا أيها الذين إمنوا أطيعوا ا وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم	الآية 59 من سورة النساء	225	في خطبة تيمور

أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء "	من الآية 39 من سورة النور	=	=

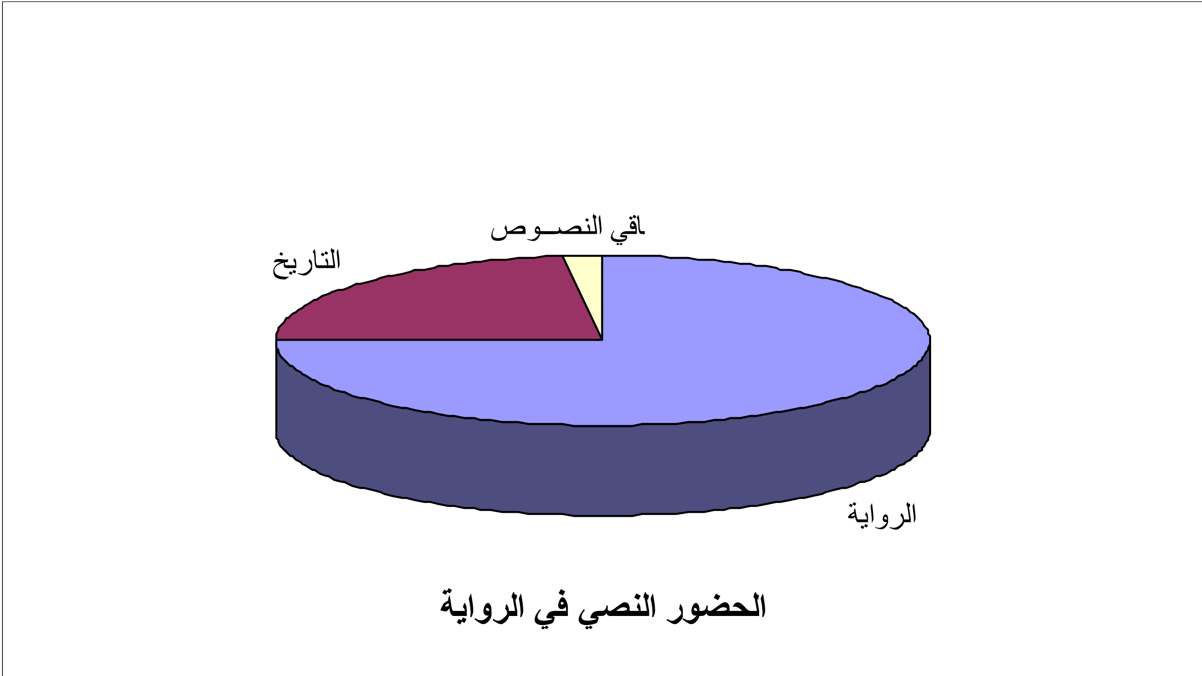
إن أولى الملاحظات على هذه النصوص هو اشتمالها على بعد تاريخي مهم أو بكلمة أكثر سعة تراثي. حيث نجد أكثرية النصوص الحاضرة تابعة للقرآن الكريم والتي وردت على لسان الشخصية دليلا على علمها الديني وكذا لخلق قرابة من نوع آخر مع الـنص السابق إذ كثيرا ما يحضر النص القرآني في نصوص ابن خلدون كشـواهد أو خـواتم لحديث ما.و يمثل مجموع هذه النصوص ، نسبة بسيطة بالنسبة للنص الروائي أو حتـى لنصوص ابن خلدون

الرواية ← 47514 كلمة

النصوص الداخلة ← 506كلمة

نسبة الحضور : 1.06%

كما أن مجموعها مع هذا الأخير يمنحنا فكرة تقريبية عن المساحة التي تشغلها النصوص الخارجية داخل النص الروائي بمجمله.



الحضور النصي في الرواية

يمثل التعالق النصي حجر الأساس في هذه الممارسة العلائقية، إلا أن وجـوده لا يؤخذ بمعزل عن غيره من العلاقات. وكما صدق هذا القول علـى العنـاوين باعتبـار علاقتها بالتاريخ، يصدق على نوع ثان من هذه العلاقات ألا وهو التناص الـذي يشـكل بطريقة أو بأخرى مظاهر حضور النص التاريخي في الرواية، حيث اعتمد نص العلامة لإظهار ارتباطاته بالنص الخلدوني على كل الوسائط الممكنة وعلى رأسها تلك المتعلقـة بالتناص.

- **الإستشهاد**

كثرت في نص الرواية بالدرجة الأولى الإستشهادات التي تقوم بإعادة كتابة نصوص ابن خلدون التاريخية معلنة عن حضورها إعلانا واضحا : " اكتشف وجههـا الآخـر [...]، فكتب في التعريف بمداد الثبات والخيبة: [فقمت بمـا دفـع إلـي مـن ذلـك المقـام المحمود...بين الناس منهم]"[1] وقد استخدم مثل هذا الاستشهاد أعلى حالات التصـريح بالنص السابق مستحضرا كامل الفقرة بخط مغاير وبين حاضنتين تسبقها نقطتي الحديث بالإضافة إلىالإشارة الصريحة لعنوان الكتاب المستشهد منه "التعريف".

و ليست هذه الحالة الوحيدة للاستشهاد الذي اعتمده النص، بل هناك حالات يغيـب فيها التصريح باسم الكتاب مع الإشارة إلى أنه كلام منقول باستخدام الحاضنتين ونقطتـي النقل ودون تغييرفي الخط : " لم يشر عبد الرحمن إلى مصابه ذاك إلا على جناح العجلة و الاقتضاب ...فقال: [فكثر الشغب علي من كل جانـب، وأظلـم الجـو بينـي وبـين الدولة...واعتزمت الخروج عن المنصب] "[2] و هو ما يبقـي هـذه الإحالـة صـريحة ومباشرة وإن غابت عنها بعض معالم التجلي.

كما نجد حالات أخرى يغيب فيها تغيير الخط وتبقى كل العناصر الشاهدة على الإحالـة الى النص التاريخي وهي عنوان الكتاب :" ففي مقطع من مقدمتي ....أقول بالحرف: [لم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال، إنما هو الإسلام أو الجزية أو القتل] "[3]

---

[1] .-الرواية، ص8.

[2] -الرواية، ص10.

[3] -الرواية، ص17.

وأقل حالات الاستشهاد الواردة علانية وتصريحا، تلك التي استخدم فيها النص علامـات التنصيص دون إشارة إلى النص التاريخي و دون استخدام لأي من العلامات السابقة:" قد نجد له العذر في كون [الأمم والأجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تطور]"[1] . أوتلك الواردة في سياق السرد الروائي مع وجود فاصل يدل علـى انتمائهـا للـنص التاريخي وهو الحاضنتين مع تغيير الخط :" قال بنوع من التأني حتى يمكن الترجمان من المتابعة وإحسان النقل [أيدك ا إلى اليوم ثلاثون أو أربعون سنة...وهذا برهان ظـاهر على ما ادعيته من ملك]"[2]*

كما اعتمد النص الروائي على إدراج بعض النصوص التابعة للـنص التـاريخي باعتماد تغيير الخط ودون أي إشارة لما يمكن أن يحيل على التاريخ. تخص هذه العملية أساسا الأبيات الشعرية الواردة في النص والتي تأتي في معظمها ضمن سـياق سـردي عادي مغلق لا يحيل إلا على نفسه ولكنه في الوقت ذاته ينفتح على ذاكرة القارئ وقدرته على تتبع خيوط التاريخ :

"-طول بالك يا أستاذ وخذ من الفن ما لذ وطاب.

وغنت الفرقة بعد ذلك:

طرقت باب الخبا قالت من الطارق فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق

(...)

همهمت والجوقة تنسحب تحت وابل التصفيقات :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس "[3]

ويمكن ضم هذه الممارسة لنوع آخر من التناص، والقول إنها تدخل في باب السرقة الأدبية ما دام النص لا يصرح علنا بانتمائـه الأولـي للتـاريخ إلا أن ذلـك ينسـحب بالعودةإلى مقولة جينات التي لا تعير لعلامات التنصيص كبير أهمية.

---

[1] -الرواية، ص37 .

[2] -الرواية، ص222.

*-الفقرات كاملة موجودة في الجداول مع صفحة ورودها في النص السابق.

[2] -الرواية ،ص162

[3] -انظر الفصل السابق.

- **الإقتراض**:

تختفي بعض النصوص التاريخية في نص الرواية أو يخفت الإعلان عنها دون أن تكف عن أن تكون نصوصا حرفية. حيث نجدها مدرجة بشكل مباشر باعتبارها جملا سردية دون أي نوع إشاري يوحي بانتمائها للنص التاريخي ما عدى بنيتها الصريحة المأخوذة حرفيا من هذا النص. هناك الكثير من السرقات التي تظهر في النص الثاني والتي تبدو فيها جمل النص السابق واضحة وصريحة دون معرفة انتماءها إليه إلا عن طريق التمحيص: " ...قيل للمغربي قبل وفوده عليها من لم يرها لم يعرف عز الإسلام "[1] . إن الجملة المسطرة تنتمي إلى كتاب التعريف وقد اقترضها النص اللاحق حرفيا دون أدنى تصريح بخصوص هذا الاقتراض عدى صراحة النقل التي يمكن لقارئ نص ابن خلدون التاريخي والمتمثل في التعريف تحديدا أن يكتشفها حرفيا " فقلت له : كيف هذه القاهرة .فقال: من لم يرها لم يعرف عز الإسلام "[2]

وقد كان كتاب "التعريف" الأوفر حظا من هذه الممارسة، إلى جانب "المقدمة" التي تظهر الكثير من نصوصها في هذا الإطار: " العلماء أبعد الناس عن السياسة ، حين تصير بيضتها فنا في الدسائس "[3] وهو النقل الحرفي اللامعلن لما ورد في المقدمة " فصل في أن العلماء من البشر أبعد الناس عن السياسة ومذاهبها "[4]. وفيما يخص المقدمة تحديدا، يكثر اقتراض بعض الجمل وإدراجها في النص الروائي وهي الجمل التي تمثل العناوين بشكل خاص [عناوين الفصول والأبواب في المقدمة] : " لأن الظلم مؤذن بخراب العمران " [5]

---

[1] -الرواية، ص9

[2] -التعريف، ص265.

[3] -الرواية ،ص 135

[4] -المقدمة، ص 1245

[5] -الرواية ،ص178/المقدمة ص 679.

- **الإيحاء :**

توحي بعض النصوص الواردة في الرواية إلى نصوص ابـن خلـدون دون أي دليل على ذلك عدى القدرة على تمييز حضورها أو إحالتها من طرف القارئ. وهو ما لا يتأتى إلا عن طريق معرفة النصوص السابقة (التاريخية): " من عارضنا في قصة تمثال الزرزور ، فلنطلب منه أن ينصب صنوه ، وينتظر خروج الزيت منـه بعـد أن يأتيـه الزرازير بالزيتون "[1]وهوالمقطع الذي يحيل إلى المقدمة دون جهد كبير وتحديدا الفقـرة التالية " ومن الأخبار المستحيلة ما نقله المسعودي أيضا في تمثال الزرزور الذي برومة تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة الزيتون ، ومنه يتخـذون زيـتهم "[2].كما يمكن استحضار مثال آخر ينتمي إلى الممارسة التناصية نفسها ، إذ نجد مثلا فـي الرواية على لسان إحدى الشخصيات [حمو الحيحي]"مخاطبة ابن خلدون :" لا أحـاجج في أنك حضرمي منسوب إلى جد من أقيال العرب ، هو الصحابي وائل ابن حجر ، الذي بارك سيد الخلق فيه وفي ذريته "[3] وهي الفكرة التي تحيل قارئها إلى الحديث الوارد في التعريف "...وفد على النبي صلى ا عليه وسلم ، فبسط له رداءه وأجلسه عليه وقـال : (اللهم بارك في وائل ابن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة) ."[4]

وعليه، يكون النص الروائي قد استحضر نصوص التاريخ الخلدونيـة بمختلـف الطرق التي تمنح قدرة أكبر على استعادة النص السابق دون كسر هـذه الأخيـرة ودون كسر أحقية النص الأدبي في التفرد. حيثأن هذه الإنزلاقات –إن صح القول –تلعب دورا مهما ، سواء على مستوى جمالية الرواية أو على مستوى أبعادها.

---

[1] -الرواية ص28

[2] -المقدمة ، ص264.

[3] -الرواية ،ص42

[4] -التعريف ، ص4.

4. التحويل النصي بين الرواية و التاريخ

أ- إختصار الرواية للتاريخ

إن عمليات الاستشهاد والإقتراض والإيحاء التي تم الحديث عنهـا، هـي عمليـات تحويلية بالدرجة الأولى إلا أنها ليست الوحيدة على مستوى النص الروائي فـي علاقتـه بنصوص ابن خلدون ، إذ قام نص "العلامة" بتحويلات أخرى مهمـة علـى المسـتوى الكمي لنصوص ابن خلدون (التوسيع والتقليص).وتعتبر عملية الاختصار بأنواعها جزءا مهما من هذه الممارسات الكمية التي قام بها نص " العلامة " على النص " الخلـدوني" ، حيث قام الأول باقتطاع العديد من الأجزاء المنتمية إلى لثاني . وذلك باستخدام طـرق عدة أهمها :

- **البتر:**

في عملية البتر، تم اقتطاع أجزاء من النص التـاريخي دون أن يمـس هـذا الأخير بأي تدخل آخر عدى هذه العملية ، إلا أن الملاحظ على المقاطع التـي تسـتجيب لهذه الممارسة أنها تقوم بنوع من التحويل البسيط على المقاطع المختارة حتـى يـتمكن النص الروائي من استخدامها بشكل جديد يحتكم إلى حاجته لها ، يمكن التمثيل على ذلك بالمقطع الخاص بوصف حج ابن خلدون ، يقول النص الروائي :

" الحج، ذهابا من مرسى الطور على الساحل لغربي لشبه جزيـرة سـيناء إلـى مكـة المكرمة مرورا بالينبع...الحج إيابا من مكة إلى مصر، مرورا بالينبع وقـوص قصـبة الصعيد..." .وقد تم اختيار هذا المقطع بالذات لما فيه من وضوح لعملية القص الممارسة على النص التاريخي حيث تحضر نقاط الحذف [...] للتأكيد على أن هناك كلاما محذوفا أو مجتزئا تم السكوت عنه، و هذه المقاطع المسكوت عنها يمكن إيجادها بسـهولة فـي نص التعريف الذي يروي هذه الرحلة إلى الحج بالطريقة نفسها : " وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين ، إلى مرسى الطور بالجانب الشـرقي مـن بحـر السويس ، وركبت البحر من هنالك عاشر الفطر ، ووصلنا إلى الينبـع لشـهر فوافينـا

المحمل ، ورافقتهم من هنالك إلى مكة ، ودخلتها ثاني ذي الحجة ، فقضيت الفريضة في هذه السنة ، ثم عدت إلى الينبع ، فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر ، ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسى الطور ، فاعترضتنا الرياح ، فما وسعنا إلا قطع البحـر إلى جانبه الغربي ونزلنا بساحل القصير ، ثم بذرقنا مع أعراب تلك الناحية إلـى مدينـة قوص قاعدة الصعيد ، فأرحنا بها أياما ، ثم ركبنا في بحر النيل إلى مصـر ، فوصـلنا إليها لشهر من سفرنا ، ودخلتها في جمادى سنة تسعين "[1] ، فالكلمات التـي تكـررت وشكلات النصين معا [الكلمات المسطرة] هي نفسها* في النصين مع اخـتلاف بسـيط تحويري قام به النص الروائي وباقي الجمل التي تظهر في التعريف تختفي في العلامـة وتعوض بنقاط الحذف.و يقوم الحذف بإلغاء التفاصيل التي تميز النص التاريخي و لا تهم النص الروائي من جانب الحدث . بحيث لا تصب هذه التفاصيل بشكل مباشر في الحدث كما لا يمكن السكوت عنها نهائيا .و أهم نص مارس هذه العملية على مستوى الرواية هو المقطع التالي :"...وشرع وهو يهمهم بموشحه المفضل منشدا ، فسمع منه :

في ليال كتمت سر الـهوى　　　بالـدجى لولا شموس الغرر

مال نجم الكأس فيها وهوى　　　مـستقيم السير سعد الأثر

(...)

حين لذ النوم منا أو كمـا　　　هجم الصبح هجوم الحرس

غارت الشهب بنا أو ربمـا　　　أثرت فيا عيون النرجـس "[2] وفيه يبقى الكاتب وفيا للنص المصدر ، مستخدما علامات الحذف (...) التي تحيلنا على المقطع المحذوف وهو بيت نجده في القصيدة التي ترد كاملة في المقدمة:

" وطر ما فيه من عيب سوى　　　أنه مر كلمح البصر"[3]

---

[1] -التعريف ، ص 282/281.

*-بالنسبة لكلمتي قصبة الصعيد وقاعدة الصعيد التي وردتا مختلفتين بين النص السابق واللاحق أظن أن الأمر لا يتعلق بتغيير قام به الكاتب وإنما بالتحقيق المعتمد عليه في الكتابة وفي المراجعة .

[2] -الرواية ، ص 31.

[3] -المقدمة ، ص1337.

- **الإيجاز:**

من الممارسات الموجزة لنصوص ابن خلدون في النص الروائي والتي تلغي حرفية النص السابق دون أن تترك أيا من موضوعاته ، ملخص الرسالة التي بعـث بهـا ابـن خلدون إلى ملك المغرب بعد عودته من زيارة تيمور والتي لم تبق على أي من كلمـات النص السابق غير أنها حافظت على معناه تقول الرواية :"وارتأيت أن أركز كتابي علـى إخباره بالخطر التتري وإشعاره بواجب الاحتراس والحذر ..."[1] وهذه الجملـة البسـيطة تمتد على مسافة صفحات [ص 427/426/425] من نص التعريف الذي يورد فيه ابـن خلدون [التاريخ] الرسالة كاملة . وقد تم اعتماد هذه الطريقة في اختصار النص السـابق خاصة مع النصوص التي ترد كاملة كالخطب والرسائل وما إلى ذلك بحيث يقوم نـص الرواية بإيجازها وتقديم موضوعها دون أن نشعر بضغط كلمات النص التاريخي عليها.

1 - الرواية ، ص242.

- **التكثيف**

استخدمت الرواية التكثيف خاصة على نصوص المقدمة التي وردت في الرواية بإطارها العام فقط : " حذار ثم حذار من حلب الرعية المستضعفة واستكثار المكـوس على أهل الحرف والحرث " [1] و مثل هذه النصوص كثيرة في "العلامة" وهـي تقـوم بتكثيف النص التاريخي ورصد حركته العامة التي من خلالها يمكن إيجاد المقـابلات التاريخية و قد تم ذلك خاصة على نص "المقدمة"، إذ كثيرا ما لجأ الكاتب إلـى هـذه الطريقة في التعامل مع هذا النص والسبب في ذلك يعود ربما إلى الجانب العقلي الذي يميزه. حيث أنه ينظّر ولا يسرد أحداثا [الحكم هنا لا يلغي وجود سرد تاريخي فـي المقدمة إلا أنه ليس أساسيا كما في التعريف مثلا] عكس النصين الآخرين وعليه فإن تكثيفه عملية عقلية أيضا تستجيب لها شروط النصين معا .

ونتيجة لما سبق، يمكن القول إن نص العلامة قام بعملية اختصار مهمة على مجموع نصوص التاريخ المشكّلة للسند الروائي، وذلك بطرق مختلفة . و الملاحظ أثناء عملية التطبيق هو صعوبة التفريق بين هذه الممارسات وإيجاد فواصل ملموسة بينهـا وقابلة للتعيين ، غير أن ميزتها الأساسية تبقى في كونها تقوم بعملية اختصـار للـنص السابق .

ب- إضافات الرواية للتاريخ

لم يكتف النص الروائي بتقليص نصوص ابن خلدون ، بل قام بالعمليـة المعاكسـة المتمثلة في إضافة أجزاء أخرى إليها، للحصول على مقاطع أوسع سرديا، وذلك وفق العناصر المتاحة لهذه العملية

---

[1] -الرواية ، ص 178.

- **التمطيط:** يأتي التمطيط على رأس هذه العملية، حيث مـدد نـص العلامـة بعـض النصوص التي لم ترد في النص التاريخي لابن خلدون في أكثر من جملة، مثلما هـو الحال في المثال الذي سنسوقه.

على مستوى النص التاريخي، تحضر الجملة التالية : " وقضيت حق السلطان في لقـاءه، وإعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له "[1] وهي الجملة التي تلخص لقاء ابـن خلـدون بالسلطان برقوق بعد عودته من الحج. في الرواية ، يعيد النص الحدث نفسه ولكن بشكل تتمدد فيه هذه الجملة لتشغل مساحة ثلاث صفحات منها: " مولاي ، قرت عينـاك بـين الصفا والمروة وعلى جبل عرفات ، وفي الأماكن المقدسة والأوقـات ، دعـوت لـك بالنصر على من عاداك وبالتمكين في مهامك ومجراك .هتفت : اللهم يا مجيب ...آمـين يا رب العالمين "[2] ومع ذلك تبقى العناصر الداخلة والتي قامت بتمطيط النص السابق في مجملها نصوصا مأخوذة من النص السابق ومن مواضع متعددة منـه وتحديـدا مـن الأدعية الموجودة في الخطب التي وردت كاملة في " التعريف ".

- **الإسهاب:**

في هذه الحالة اعتمد النص الروائي على عملية تمطيط تتعلق بـالنص التـاريخي نفسه وذلك بالاشتغال على جمله ذاتها بمضاعفة طولها إلى أكثر من ضعف واحد و هـو ما قام به في حديثه عن تعييناته في القضاء :" إلا أن الرد أتاني في شكل مرسوم جديـد بتعييني قاضي المالكية ...ثم تلقيت مرسوما جديدا بتعييني للمرة الخامسـة فـي خطـة القضاء "[3] ، وهي مسافة جملية طويلة امتدت حوالي الخمس صفحات واستمدت جملتها المبدئية من نص التعريف :" ولايته القضاء بمصر مرة ثالثة ورابعة ، وخامسة "[4]

---

[1] -التعريف ، ص 282.

[2] -الرواية ،ص 106

[3] -الرواية ، ص243حتى 247

[4] -التعريف ، ص 429.

ويمن الواضح أن مقاطع الرواية تقوم بعمليتي الحذف والإضافة معا أكثر من قيامهـا على عمليتي الحذف والإضافة كل على حدة.



جـ - التحويل الصيغي :

إذا كان هذا الاشتغال يخص كل تعديل يمس طريقـة التمثيـل الخاصـة بـالنص السابق ، فإن نص العلامة يقابلنا كنص يحاكي نصه السند من حيـث طريقـة التمثيـل ونقصد بذلك" السرد" حيث لم يغير النص اللاحق من سردية النص السابق وظل السـرد مشتركا بين النصين التاريخي والروائي باعتباره طريقة التمثيل في النصين معا ، وينبغي الانتباه إلى أن السرد يختلف في الطبيعة بين الرواية والتـاريخ إلا أن الـنص العربـي التاريخي لابن خلدون يعتمد أسلوب الحكي للوقائع الحقيقية، في حين أن الرواية حكـي وقائع تحاول من خلالها الإيهام بالحقيقة .غير أن البقاء تحت الإطار نفسه لا يعني التقيد التام بالسردية التاريخية بل على العكس من ذلك ، يقوم النص الروائي بمجموعة مهمـة من التعديلات أو بكلمة أدق التحويلات التي منحته مساحة خاصة تختلف عـن مسـاحة السرد التاريخي تحتل فيها التغييرات الحاصلة داخل هذا التشكيل مكانا مهما من حيـث التنوع والتعدد:



- **التنظيم الزمني:**

إن تتبع النظام الزمني في هذه الحالة لا يعتمد على زمن القصة وزمن السـرد كمـا ينظر إليهما جيرار جينات[1] ، مع أن الأمر قريب من ذلك . بل يعتمد على زمنية النص السابق باعتبارها السند. وهي هنا زمنية النص التاريخي الذي تستعيده الرواية والـذي يمثل زمن الأحداث المنطقية أي زمن القصة . وكلمة استعادة هنا تحيل الى الاسترجاع باعتبار النص التاريخي نصا ذي أسبقية من حيث الزمن والوجـود واسـتعادته تعنـي استعادة هذا الزمن الماضي.

---

1 voir Gérard Genette
figures 3 , SEUIL 1972

يكون النظام الزمني للنص السابق كرونولوجيا حيث يعتمد على تراتبية التاريخ وسيرها المنطقي في الزمن لأن:" ترتيب الحكاية غير الخيالية ...هو طبعا : قصـة (أي الأحداث التي وقعت) سرد أي فعل السردي للمؤرخ –حكاية أي نتاج هذا الفعل ، الـذي من شأنه احتمالا أو تقديرا أن يبقى بعده في نص مكتوب ، أو في تسجيل ، أو في ذاكرة بشرية "[1] . يأتي النص الروائي ليعيد هذه الأحداث التاريخية ، لكنه في هذا السرد الجديد يستخدم وسائل أخرى لكتابة الزمن التاريخي ، ونعني بذلك المفارقات الزمنيـة anachronies[2]التي تساعدنا دراستها على معرفة النظام الزمني ومقارنته بـين زمـن القصة وزمن السرد.

❖ **Analepses الإسترجاعات:**

ينطلق النص الروائي من لحظة زمنية معينة يختارها السارد تمثل النقطـة الأولـى للحكي ،وفي نص العلامة تنطلق الرواية من فترة وجود ابن خلدون في مصر ، وتحديدا بعد عزله عن القضاء للمرة الأولى ، إلا أنها لا تكتفي بتلك الفترة، بل تعود نحو فتـرات من حياة الشخصية في أماكن وأزمنة مختلفة سابقة للمرحلة الزمنية التي تعالجها أحـداث الرواية . من هنا يبدأ الحديث عن الإسترجاعات داخل النص ، إذ كلما عاد النص إلـى حقب ومراحل وأحداث سابقة قام بعملية استرجاع لزمن مضى ، وذلك إذا تفادينا القـول إن النص استرجاع في كليته نظرا لكونه يعيد كتابة زمن تاريخ ماض ومنته.

اعتمد النص على تقنية الاسترجاع مرات عدة نظرا لما توفره هذه الأخيرة من قدرة على سكب المعطى التاريخي في قوالب مختلفة تسعف النص الروائـي وحاجاتـه السـردية. وإيجاد مثل هذه المقاطع صعب في النص بالنظر إلى طبيعته الماضية، لكن وجود السند التاريخي المتمثل في النص الخلدوني يمنع هذا الاضطراب .ومن بـين الإسـترجاعات الواضحة ما جاء في حوارات ابن خلدون مع كاتبه حمو الحيحي من ذكر لأحداث زمنية تاريخية : " وهكذا استسهلت وأنا في بلاط أبي عنان ، التفاهم مع ضيفه المعتقل أبي عبد

---

[1] -جيرار جينات ، عودة إلى خطاب الحكاية ، تر: محمد معتصم ، المركز الثقافي العربي ط1: 2000، ص14.

[2] -voir G.Genette ,figure3,p

ا أمير بجاية المخلوع على أن أيسر له فراره إلى إمارته "[1]، وقد يكـون الاسـترجاع -كما هو الحال هنا -غامضا بعض الشيء إلا أن "محاولة تأويلية "[2] بمسـاعدة الـنص السابق تمكن من وضعه في مكانه داخل النصين معا. إن صيغة الفعل هنا " استسـهلت " تحيل على الماضي وعلى نوع من الاستذكار. لكن غياب أي تحديد يمنعنا مـن معرفـة الفترة التي وقع فيها هذا الحدث ، غير أن اعتمادنا على نص سابق يحدد مسارات الزمن الكبرى للنص الروائي سيمكن من موقعة هذه الفترة في زمنهـا الحقيقـي ، باعتبارهـا تاريخا ، والمنطقي ، باعتبارها قصة . يمكن أن يقوم الباحث حين يرفض النص البـوح بزمنيته أن يعود للتاريخ، فهو يسترجع -نص الرواية- فترة مبكرة من حياة ابن خلـدون في المغرب، قبل دخوله إلى مصر بوقت طويل ، أي قبل نقطة الحكي الأولى .

إن جل الإسترجاعات التي قام بها النص سواء البعيدة أو القريبة ، لم تأخذ حجمـا كبيرا من زمن السرد ، حيث أتى ذكرها على شكل ومضات سرعان مـا تتوقف لتفسح المجال للزمن السردي ، ويمكن القول أن هذه الإسترجاعات : "تعود إلـى الماضـي لا لتستمر في سرده مطولا ، و إنما لتقدم للقارئ صورا مميزة من حياة الشخصـية"[3] . " وإذن تشكل كل عودة للماضي ، بالنسبة للسرد ، استذكارا يقوم بـه لماضـيه الخـاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة . "ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل الرواية ، أكثر من غيرها ، إلى الاحتفال بالماضـي و اسـتدعائه لتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الإستذكارات التي تأتي ، دائما لتلبية بواعث جماليـة وفنية خالصة في النص الأدبي "[4] .لكن ، هل يستجيب نص العلامة لهذه السببية الفنية؟ ، ربما ليس بهذا الحسم، فالنص يقع تحت اختيارات حقبية جعلت العودة إلى حقب سـابقة أمرا ضروريا من حيث الغاية التي قد لا تكون دوما فنية .

❖ **الإستباقات prolepses**

---

[1] -الرواية ، ص39.

[2] -حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء/بيروت،ط1: 1990، ص123.

[3] -الزاوي لعموري ، بنية النص السردي ،ص88.

[4] -حسن بحراوي، المرجع نفسه ص 121.

يقوم الاستباق بالقفز على زمن القصة وذكر أحداث يفترض، منطقيا ، أنها لم تقع بعد . وفي كل الأحوال ،فإن عملية الاستباق في النصوص الأدبية قليلة أو على الأقل " أقـل تواترا من المحسن النقيض [الاسترجاع] "[1] . يبدو ذلك على وجه الخصـوص فـي نص العلامة لما فيه، كما سبق ذكره ، من عودة نحو الماضي لا نحو المستقبل ، حيـث يمكن عد هذه الاستباقات على الأصابع من بينها :"رأى نفسه فيها وهو يـودع أم البنـين وقد صارت زوجته -، فيرحل إلى مدينة شرقية قريبة حيث يقابل حفيد جنكيزخان تيمور الأعرج "[2]، وهذا الاستباق ، كغيره من استباقات الرواية ، والذي ورد في الفصل الثاني، يعلن بشكل صريح عن الأحداث التي سترد في الفصل الثالث ، وكلمـة يعلـن ، يمكـن اعتبارها وظيفة أساسية من وظائف الإستباقات [3] .من الواضح أن عملية الاستباق هنـا تخص بالدرجة الأولى النص الروائي، أي البناء الداخلي للنص لا في علاقته مع الـنص السابق ، بالنظر إلى أن الاستباق يمارس على ما سيأتي ذكره في النص وليس بالضرورة استباقا على الزمن التاريخي الذي نعتمد عليه ، غيرأن استباقات الرواية التي لها علاقـة بالزمن التاريخي تستجيب للفكرة تماما . فالمثال السابق وإن كان استباقا خاصـا بالبنـاء الزمني للرواية فإنه استباق على مستوى أحداث التاريخ أيضا. حيث لا يأت ذكر جنكيـز خان إلا في وقت لاحق من نص التعريف، وليس في وقت حج ابن خلدون بما أن الرؤيا في الرواية حدثت قبيل ذهاب ابن خلدون للحج. إن كلا من الحـدثين حقيقيـين، لكنهمـا متباعدان تاريخيا ، إلا أن الرواية باشتغالها على الزمن التـاريخي ربطـت بينهمـا. إذ بالنسبة لها ليس هناك إشكال في إيجاد الروابط ، بينما في التاريخ نلاحظ أن الانتقال من "مؤشر زمني إلى آخر لا نجد الترابط بين الأحداث إلا عاما جدا ، لأن ما يهم المـؤرخ التقليدي هو تسجيل الحدث الأساسي ، ولا يبدو الربط إلا من خلال عناصـر تكراريـة للحدث ذاته أو استمراره "[4].

---

[1] -جيرار جنيت خطاب الحكاية ، تر : م معتصم /ع الجليل الأزدي / عمر حلي ،منشورات الإختلاف، ط: 3 ، 2003، ص76.

[2] -الرواية ، ص90.

[3] -حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص137.

[4] -سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ،المركز الثقافي العربي،1997 ، ص 144.

وإن كانت الصعوبة في تتبع الإستباقات والإسترجاعات كبيرة في النصوص الروائية نظرا لتداخلات هذا الزمن نفسه ، فإنها في نص العلامة تتخذ بعدا أكثـر تعقيـدا نظـرا لاعتماد هذا النص على زمن خارجي لا يمثل زمن نص واحد بل أزمنة متعددة لأكثر من نص ،هي نصوص ابن خلدون التي تم الاشتغال عليها. حيث يمارس هذا النص بالإضافة إلى كسره لنظامه الزمني الخاص ولزمن النص المرجعي الأول "التعريـف " كسـرا للخطية الزمنية ولتراتبية النص السابق باعتبارها نصوصا لا نصا واحدا وباعتبار تسلسل ورودها التاريخي. حيث قام النص الروائي بمحو الزمن التاريخي وزاوج بين النصوص التاريخية في نص واحد يحتكم إلى زمنية خاصة هي زمنيـة الروايـة لا زمنيـة تلـك النصوص.

ويمكننا تتبع المسار الزمني للنص الروائي و اشتغالاته على الزمنية التاريخية مـن خلال عرض الزمنين معا في أهم محطاتهما ورصد التقاطعات التي من شأنها أن تمنحنا فكرة واضحة تمام الوضوح عن الحضور الزمني وكيفيته داخل الرواية بالقياس إلى زمن التاريخ. و الحديث عن الزمن التاريخي يحيلنا إلى ملاحظتين أساسيتين :

1- لا يمكن الحديث ،في المسار الزمني ، إلا عن نص التعريف باعتبـاره نصـا سرديا له ميزة حضور الحدث وبالتالي الزمن ، مما جعل نص العلامة يعتمده لرسم أحداث حياة ابن خلدون . بينما باقي النصوص لا تحـتكم إلـى زمنيـة حدثية وإنما تنظيرية، بمعنى أن زمنها خاص وداخلي لا تأثير له في الحـدث الروائي أي على الزمن كما هو الحال بالنسبة للتعريف.

2- إن مشكلة الزمن لا تتعلق بالرواية فقط كما قد يظن البعض * ، وإنما بالتاريخ أيضا.فنص التعريف ذاته ، نص تاريخي بالدرجة الأولى ، لكنه فـي الوقـت نفسه نص سير ذاتي مما جعله لا يحتكم إلى خطية زمنية بحتة إلا لأن نظـام الكتابة قديم مما جعله كرونولوجيا في سوقه لمحطات حياة صـاحبه .إذ نجـد على مستوى هذا النص استباقات واسترجاعات تخل بالنظام الزمني الحقيقـي، وإن بشكل ضعيف، حيث ظل النص يحتكم إلى منطقيـة السـرد التـاريخي وتسلسله مقدما" سردا متصلا لحياة [ابن خلدون] مـن مولـده إلـى وقـت

استقراره في هذا العالم "[1] [لا حظ كيفية التسلسل في العرض اللاحق]. الأمر نفسه على مستوى الرواية ، لكن المهم أن نص الرواية لا يحتكم إلى الزمنيـة الحقيقية بل الزمنية التاريخية كما وردت في نص التعريف. وعليه ، فإن كان زمن القصة بالنسبة لنص ابن خلدون هو الزمن الحقيقي فزمن القصة بالنسـبة لنص العلامة هو النص السيرذاتي بكل مـا يحملـه مـن تغيـرات داخليـة مارسـ---------هاعلى الـ--------زمن الحقيـ--------ق

---

*- يتحدث في ذلك مندولا ، انظر الزمن والرواية ، تر : بكر عباس،دار صادر، بيروت،1997، ص39.

[1] -مندولا ، المرجع نفسه ، ص196.

التسلسل الروائي	التسلسل التاريخي
1. اعتزال ابـن خلـدون منصـب القضاء.	أ. نسبه
2. تعيينه قاضيا للمالكية.	ب.مباركة الرسول لنسل وائل ابن حجر
3. دخوله إلى مصر.	ج.وفات أهله ومشايخه في الطاعون.
4. غرق أسرته.	د.توليه اولى الوظائف بتونس.
5. الفجوة بينه وبين أبي عنان	هـ .حدوث الفجوة بينه وبين السـلطان أبي عنان
6. سجنه من طرف المريني	و.سجنه من طرف المريني.
7. توليه أولى الوظائف بتونس.	ز.موت أبي عنان
8. إطـلاق سـراحه مـن طـرف المريني.	ح.كتابة قصيدة تضرع للمريني.
9. موت أبي عنان.	ط.إطلاق سراحه من السجن.
10.الكتابة عن السلطان أبي سالم.	ي.الكتابة عن السلطان أبي سالم.
11.الرحلة إلى الأندلس.	ك.الرحلة إلى الأندلس.
12.قلعة بني سلامة.	ل.ولاية الحجابة ببجاية.
13. ولاية الحجابة ببجاية.	م.مشايعة المنتصر.
14. مشايعة المنتصر.	ن. قلعة بني سلامة.
15. مباركة الرسول لنسل وائل ابن حجر.	س.السفر إلى مصر.
16.نسبه.	ع.توليه القضاء بالصالحية
17.رسالة التضرع الشعرية للمريني.	ف.غرق أسرته.
18.أخبار برقوق.	ص.عزله عن القضاء.
19. تعيينه بالمدرسة الصرغتمشية.	ت. تعيينه بالمدرسة الصرغتمشية.

20.توليه نظارة خانقاه بيبرس.	ض. توليه نظارة خانقاه بيبرس.
21.فتنة الناصري	غ. فتنة الناصري
22.توقيع الفتوى ضد برقوق.	ق.أخبار برقوق.
23.رسـالة اعتـذار شـعرية إلـى برقوق.	ر.عودة برقوق بعد انتصاره
24. عودة برقوق بعد انتصاره	ش.امضاء الفتوى ضد برقوق.
25.انتزاع الخانقاه	ظ.انتزاع الخانقاه
26.عفو السلطان وقبول الإعتذار	أب. رسالة اعتذار شعرية إلى برقوق.
27.الصراع بين تيمور والمماليك .	أج.قبول الإعتذار.
28.توكيله من أجل الاحصنة.	أد.السعاية إلـى المغـرب مـن اجـل الاحصنة.
29.زيارة بيت المقدس.	أه.توليه القضاء مرة ثانية.
30.توليه القضاء ثم عزله عنه.	أو.زيارة بيت المقدس.
31.تمكن تيمور من المشرق.	أز.عزله عن القضاء.
32.سفره مع السلطان فرج لملاقـاة تيمور	أح.الصراع بين تيمور والمماليك
33.هرب الناصر فرج	أط.تمكن تيمور من المشرق
34.ملاقاة تيمور.	أي. .سفره مع السلطان فـرج لملاقـاة تيمور
35.احتراق المسجد	أك.فرار الناصر فرج وجنده.
36.مهاداة تيمور	أل.لقاء تيمور الأعرج
37.كتابة التقييد في المغرب.	أم.كتابه عن المغرب.
38.استفتاؤه في شان الخليفة المدعي.	ج هـ.احتراق المسجد.
39.طلب الامان لعمال دمشق وشراء تيمور للبغلة.	ج و. استفتاؤه في شان الخليفة المدعي.

40.الرحيل عن تيمور	ل م. مهاداة تيمور
41.لقاء الناصر فرج واستئذانه في ثمن البغلة.	م ن.مكتوب الامان وشراء البغلة.
42.تعيينه للمرة الثالثة في القضاء .	س ع. الرحيل عن تيمور
43.كتابة الخطاب لسلطان المغرب.	أ ر. لقاء الناصر فرج واستئذانه في ثمن البغلة.
44.تعيينه مرة رابعة في القضاء	أز. كتابة الخطاب لسلطان المغرب.
45.تعيينه للمرة الخامسة في خطة القضاء وعزله منها.	ك م.توليه القضاء ثم عزله.
46. موته	ك س. توليه ثم عزله حتى المرة الخامسة

ويمكن تعيين هذه الزمنية باحتساب اللحظات والربط بينها حيث نستطيع من خلالها معرفة الزمن الروائي وكيفية اشتغاله على التاريخ وكذا نتيجة هذا التقاطع من خلال ارتباط الثنائيات التي تحوي زمن التاريخ بمقابل الزمن الروائي :

- (1- ص) ⟵ اعتزاله القضاء.
- (2- ع) ⟵ تعيينه قاضيا.
- (10- ي) ⟵ كتابته عن أبي سالم .
- (27 –أهـ) ⟵ الصراع بين تيمور والمماليك

و الملاحظ ، هو هذا الكسر لخطية الزمن التاريخي الذي يبدو بشكل واضح مـن خلال الرسم البياني. حيث تعمل الإستباقات والإسترجاعات على رسم معالم زمنية خاصة بالنص الروائي وتمارس كسرا على مستوي خطية النص التاريخي، وهي الطريقة التي تمكن من إعادة كتابة نص ما. حيث يرى غاستون باشلار أنـه :" لا توجد وسائل أخرى لتحليل فعل ما ، إلا بمعاودته . وعندئذ ينبغي أن يعاود مـن خلال تفكيك ، أي تعداد وترتيب القرارات التي تكونه "[21] .كما نلاحـظ انغـلاق الزمن على مستوى الرواية وانفتاحه على مستوى التاريخ، حيث يتوقـف الـزمن الروائي بموت العلامة بينما يؤول زمن التعريف إلى نهاية مفتوحة على أحـداث قادمة كان آخرها عزله عن القضاء للمرة الخامسة. بالإضافة لبعض نقاط التلاقي بين الزمنين حيث يسيران في نفس الخط بمعنى أن التطورات علـى المسـتويين تتوازى لتنتج خطية معينة على مستوى النص سرعان ما تنكسر. كما أننا نلاحـظ المسافة التي تميز الإسترجاعات والتي تبدو أوسع زمنيا- مـن حيـث العـودة للماضي مقارنة بالإستباقات.

- **حضور السارد:**

لا يمكن الحديث عن تحويلات السرد دون الحديث عن السارد وكيفيـة حضـوره داخل النص الروائي. و يمكن أن نتحدث في نص العلامة عن ساردين أو نوعين من الرؤية السردية:

-الإملاءات في الليالي السبع.........................راوي خارج حكائي

- بين الوقوع في الحب والحلول في ظل الحكم ....راوي داخل حكائي

-الرحلة إلى تيمور الأعرج جائحة القرن ....راوي خارج حكـائي + داخل حكائي

1

1-غاستون باشلار ، جدلية الزمن ، تر: خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت ط3 1992، ص33.

وسنعتمد في حديثنا عن السارد وما يتعلق به على ما قدمه سعيد يقطين من تقسيم بين ما أسماه برانى الحكي، وجواني الحكي . وعلى ما يحتويه كل تقسيم منهما[1] . إن السارد الأول في الفصلين الثاني والثالث هو من قبيل الناظم الـداخلي الـذي " يحكي قصة غير مشارك فيها ولكن من خلال شخصية تظـل بينهمـا مسـافة"[2] والشخصية التي تحدد المسافة بينها وبين السارد هنا هي شخصية ابن خلـدون، حتى ونحن بصدد راو خارج حكائي، نظل قـريبين مـن الشخصـية الرئيسـية "القاهرة، قيل للمغربي قبل وفوده عليها : من لم يرها لم يعـرف عـز الإسـلام، وحين عاينها، وقف عند هذا العز في عمرانها ومآثرها و رسومها، لكـن مـا إن نزل في بواطنها مكبا على شؤون العدل الذي هو أس الحكم حتى قاس اغتـراب الإسلام بين أكابرها وأعيانها " [3] .فالراوي قريب من الشخصية الأساسية حتى وإن كان خارجيا و هو ما نعاينه على طول الفصل الأول .حيث يبقي الـراوي علـى مسافة تمنعه من أن يكون الشخصية خاصة باستخدام ضمير الغائب وبقدرته على الرؤية من الخارج في غياب الشخصية "حين عاد الحيحي إلى بيته وأكل وشرب، قفز كعادته في حضن زوجته وحدثها عن مناقب مشغله الجديد"[4]، لكنه لا يتنصـل عنها بل يسرد الأحداث من خلالها ومن داخلها في بعض الأحيان "اسـتيقظ عبـد الرحمن على وقع رؤيا منامية غريبة ، رأى نفسه فيها وهو يودع أم البنين وقـد صارت زوجته ، فيرحل إلى مدينة شرقية"[5] . يعود الراوي نفسه في الفصل الثالث للرواية . بينما يطالعنا الفصل الثاني بفاعل ذاتي وهو السارد المشارك في الحدث بشكل جوهري[6] (شخصية مركزية) وهي في نص العلامة شخصية ابن خلـدون

---

[1] -انظر سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص310.

[2] -سعيد يقطين ، م ن ، ص ن.

[3] -الرواية ، ص 9.

[4] -الرواية ،ص32.

[5] -الرواية ،ص90.

[6] -سعيد يقطين ، المرجع نفسه، ص310.

"ذهابا وإيابا استغرق حجي زهاء الستة اشهر " [1] . يمكن القول إننا لم نغير سوى صيغة الخطاب بحيث استخدم الراوي ضمير الغائب في الفصلين وضمير المتكلم في الفصل الثاني وحاشية الفصل الأخير. وإذا ما عدنا للنص التاريخي سنجد "إن الراوي – المؤرخ من خلال استعماله ضمير الغائب في إرسال مادته الحكائية يقيم بينه وبين الحدث مسافة ومن خلال هذه المسافة يبدو متعاليا على مادته وهذا يتيح له إمكانية تسيير الأحداث وفق تسلسلها الخارجي وعلاقتها السببية "[2]. نلمس ذلك بالنسبة لنص ابن خلدون التاريخي ، من خلال المقدمة والعبر ، بينما يحتكم التعريف إلى نظام آخر هو نظام السيرة الذاتية أين تلتقي " أنا الساردة وأنا المسرودة "[3]

ومن ثمة نستطيع الحديث عن فاعل ذاتي [راو داخلي] يعود كلما تعلق الأمر بالمتخيل.وناظم داخلي يضعنا في مواجهة الحدث التاريخي ، علما أن النص الخلدوني يتراوح بين الأنا والهو أو بين الداخلي في السيرة الذاتية والخارجي في المقدمة والعبر .

- **المدة والتواتر**

انطلاقا من الفكرة القائلة بأن ما يميز النص التاريخي عن الروائي هو العلاقة بالحدث في حد ذاته ، من حيث أن الأول يهتم "بالأحداث التي ينبغي تسجيلها" ، في حين يعتمد الثاني على كيفية ربط هذه الأحداث وفق منطق خاص[4]، خاص[4]، تأتي كيفية استعادة تنظيم الحدث وربط علاقاته بطريقة مخصوصة وانتظام سرعة الحكي لا في علاقتها بالزمن بل في علاقتها بمساحات الحكي في النص السابق وكيفية تغييرها .

---

[1] - الرواية ، ص95.

[2] -سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، 370.

[3] -جيرا جينات ، خطاب الحكاية ، ص262.

[4] -سعيد يقطين ، المرجع نفسه، ص 264.

من ضمن طرق التغيير نجد الخلاصة التي " هي عبارة عن مقطع سردي يكشف الأحداث من خلال جمعها واختصارها اختصارا شديدا بقصد الانتقال الى مقاطع سردية جديدة "[1] ومنها في الرواية : " بدءا من إظلام الجو بيني وبين صديقي لسان الدين ، الغيور على منصبه ومنزلته "[2] حيث كثفت المقاطع السردية الموجودة في التعريف ولم تحتفظ إلا بالحدث الأساسي الذي له علاقة بأحداث ستلي مباشرة ليس تاريخيا بل على مستوى الرواية .

وكذلك الأمر بالنسبة للحذف الذي يتم قطع الحدث التاريخي من الحدث الروائي، حيث تغيب نهائيا بعض الأحداث التاريخية في نص العلامة ، وهو يعني تغاضي الرواية عن بعض أحداث التاريخ –في مقابل التركيز على أحداث أخرى – والتزام الصمت حيالها وهو الصمت الذي يحيل القارئ التاريخي عادة إلى اكتشاف تلك الأحداث الغائبة من خلال معرفته السابقة بالنص التاريخي .

وبشكل آخر يمكن للسرد التاريخي أن يتوقف نهائيا مع استمرار السرد بمعنى انسحاب الحدث التاريخي وترك المكان للرواية وهي عموما الحالات التي تلجأ فيها الرواية إلى الوصف : " هنا إذن الدركاه ، ذات السقف المجوف ، والأعمدة الباسقة ، والأرض الرخامية "[3] . مثل هذه المقاطع الوصفية تقطع التدفق الزمني للعملية السردية وتضعنا أمام اللازمن سواء زمن الرواية الداخلي أو الخارجي المتعلق بالنص السابق.

إن العلاقات التي يربطها الحدث الروائي في مقابل حدث التاريخ لا تستخدم طرقا تؤدي في مجملها إلى تركيز المساحة التي كانت له في التعريف فحسب، بل تذهب إلى نقيض ذلك بالزيادة في هذه المساحة : " كاتبت السلطان فرج في تخلية سبيلي والسماح لي بالحركة والسفر .إلا أن الرد أتاني بشكل مرسوم جديد بتعييني قاضي المالكية .فقبلت الخطة مكرها ، حتى لا أعاكس السلطان وأقطع كل أسباب الرجاء [...]في الأسبوع الأول من شعبان من السنة الموالية ، وأنا أهيئ

---

[1] -زاوي لعموري ، بنية النص السردي ...، ص186.

[2] -الرواية ،ص40.

[3] -الرواية ، ص 103.

رحيلي وأضع لمساته الاخيرة ، أتاني خبر موت تيمور، فلم أحفل به، ثـم تلقيـت مرسوما[كذا] جديدا تعييني للمرة الخامسة في خطة القضاء "[1] . ففي هذا المقطـع تتباطؤ الحركة ويتخللها سرد إضافي تفصيلي ينتمي إلى عالم الروايـة إذ يشـمل السرد في النص السابق حوالي صفحة واحدة بينما يمتد في النص اللاحـق علـى امتداد خمس صفحات. وقد نلاحظ أن هذه الممارسات تلتقي مع التحولات الكميـة السابقة الخاصة بالتمطيط و الاختصار.

- **الصيغة/ المسافة**

تغير الخطاب بين النصين التاريخي والروائي حيث اعتمـدت الروايـة على تغيير نمط الخطاب الذي أصبح غير مباشر مكان المباشر:"كانت أسـئلة تيمور عبارة عن استنطاق منهجي حول مأتى العلامة من أين و متـى و لـم وكيف ، فكانت أجوبته مقتضبة وأوصافه لإنعامات الظاهر برقوق مبـرزة "[2] أوالعكس

د- استبـــدال الحوافـز

تتحول بعض الدلالات في نص العلامة عبر التحويل الذي يمارسـه علـى معطيات التاريخ .ويتجلى ذلك بوضوح فيما يخص مختلف التغيرات الطارئة على عناصـــــــــــــــر التحفيـــــــــــــــــــــز، حيث نجد أن الرواية أدخلت بعض التحفيزات التي لم تكن موجودة على مستوى نص ابن خلدون وهو أبسط إجراء لهذه الممارسة:" وكدأبه فـي ذكـر مآسـيه الخاصة لم يشر عبد الرحمن إلى مصابه ذاك[غرق أسرته] إلا على جناح العجلة و الاقتضاب ، كأنما الكلمات في مقام الحزن تدير السكاكين في الجرح "[3]

---

[1] -الرواية ، ص247/243 .

[2] -الرواية ، ص 221.

[3] -الرواية ،ص 10.

في النص التاريخي ، نص السيرة ، لم يرد ذكر ذلك في للفقرة التالية التي تورد موت الأسرة دون أي تعليق :" ووافق ذلك مصابي في الأهل والولد ، وصلوا من المغرب في السفين ، فأصابها قاصف من الريح فغرقت ، وذهب الموجود والسكن والمولود ، فعظم المصاب والجزع ..." [1].فالرواية هنا جاءت بسبب لما غاب فيه السبب إن صح القول مبررة بذلك طريقة تناول ابن خلدون لهـذه الحادثـة التـي مرت، تاريخيا، بصمت، وأعادتها الرواية أكثر من مرة مركزة لا على الحدث في ذاته بل على التعامل مع الحدث وأسبابه فنجد التأكيد على السبب الذي لم يذكر في مقام آخر من الرواية: " طبيعي أن موت أهلي كلهم في البحر كان وقعه علي، من الشدة والعنف بحيث أصابني بالخرس المحزون الأبلغ من أي كلام ."[2].

أما نقيض هذه العملية ، فهو الإجراء الذي يقضي بحذف ما كان موجودا كحافز على مستوى النص الخلدوني :"رب إنك تعلم أني لم أدع في حجي لغير أم البنين "[3] وهو نفي الرواية لما وجد في النص السابق الذي يصرح بـدعاء ابـن خلدون للسلطان : " وقضيت حق السلطان في لقائه ، وإعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له"[4].

وربما يكون أهم إجراء هو ذاك الجامع بين الإجراءين السابقين والـذي يقضي بحذف التحفيز من النص السابق وإدراج حافز جديد : وهو ما يسيطر على نص العلامة أكثر: "ولم يطلق سراحي [السلطان أبو عنان] إلا بعد موته خنقـا على يد وزيره الفودي "[5] في هذه الجملة تم إدراج حافز جديد ، بعـد أن حـذف الحافز الأول الذي يذكره النص الخلدوني والذي يتحدث عن وفاة أبي عنان بشكل طبيعي :" ولخمس ليال من حاوله [السلطان أبو عنان] طرقه الوجع .وهلك لخمس

---

[1] - التعريف، ص279.

[2] - الرواية ، ص78.

[3] - الرواية ص107

[4] - التعريف ، ص282

[5] - الرواية ، ص40

عشرة ليلة "[1] ولم يكن هذا الحافز وليد المتخيل بل نشأ من تاريخية تناقض مقول ابن خلدون، و يؤمن بها الكاتب ، حيث نجده يصرح عن الحادثة نفسها في مقـام آخر :" وأما الأمر الخطير حقا فيتمثل في مقتل أبي عنان خنقا-وهو في الثلاثـين من عمره-على يد ه وزير الفودي الـذي سـعى بهـذا الفعـل إلـى أن يحكـم البلاد,واضعا الوريث الشرعي تحت وصايته."[2]

هـ -الشخصيات الروائية والبعد التاريخي :

ليست دراسة شخصيات الرواية بالدخيلة على الطريقة التـي اعتمـدها جنيت في قراءة العلاقة بين النص السابق واللاحق، فهي تدخل تحت مـا أسـماه بالتحويل القيمي الذي يمارس أساسا على الشخصيات، وعليه فإن دراستها من باب القيم المنسوبة إليها روائيا وكذا تاريخيا، يدفع بنا إلى دراسـتها فـي تمظهراتهـا المختلفة بدءا من النص الروائي.

إن دراسة الشخصية في أي عمل روائي، تكتسي أهمية بالغة ، مسـتقاة من أهمية الشخصية داخل العمل الروائي. إذ لا يمكن تخيل عمل أدبي لا وجـود للشخصية فيه. وأهميتها في رواية العلامة مضاعفة لاعتماد العمل بالأساس علـى الشخصية، التي تهيمن على هذا النص بداية من العنوان إلى الصفحة الأخيرة .

ومنذ أرسطو إلى اليوم مرت الدراسات الخاصة بهذا العنصر الروائـي بالعديد من المقولات نظرا لأن: " طبيعتها المطاطية جعلتها خاضعة لكثيـر مـن المقولات دون أن تستقر على واحدة منها "[3] ، وهو ما يجعل اختيار قراءة معينة ينبع من طبيعة النص وشخصياته .وليس العكس .

إن ما يهمنا بالنسبة للشخصية في هذا البحث هو تتبع مساراتها ووجودها بين مـا هو روائي، ينتمي إلى بنية النص، وبين ما هو تاريخي، يرد في نصـوص ابـن خلدون ، وعليه ، سنقوم مبدئيا بعرض هذه الشخصيات في عالميها معـا ، عـالم

---

[1] -التعريف ، ص70

[2] -بنسالم حميش ، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ ، ص117.

[3] -حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص207.

الرواية وعالم التاريخ وذلك من خلال جدول يبرز صفاتها وانتماءاتها ومقابلاتهـا التاريخية

الشخصية	وجودها الروائي	وجودها التاريخي
ابن خلدون	شخصية أساسية عالم فقيه قاضي متواضع طيب ، محب ، مهم ، له عائلة متكونة من زوجته الثانية وابنته ، م رتبط بأصله المغربي .كاتب لنصوص المقدمة والتعريف والعبر.	شخصية تاريخية مهمة ، عالم فقيه قاضي ، ماتت أسرته غرقا في البحر كاتب لنصوص المقدمة والتعريف والعبر
أم البنين	امرأة فاسية ، أرملة حمو الحيحي ، زوجة ابن خلدون وأم ابنته ، شابة ، جميلة ، محبة لابن خلدون.	ليس لها مقابل في التاريخ
حمو الحيحي	رجل قصير القامة ، مرح ، يشتغل بالكتابة ، كان كاتب ابن خلدون ، زوج أم البنين الأول .	ليس له مقابل تاريخي
شعبان	رجل كبير في السن ، خادم ابن خلدون ، وفي ، محب لسيده ، يبقى معه حتى وفاته.	=
السلطان برقوق	سلطان مصر ، جاحظ العينين ، أصله عبد قبل ان يصبح سيدا ، قرب إليه ابن خلدون ، متوسط الحكمة ، ضعيف التخطيط ، يستمع لنصائح ابن خلدون ويثق به .	سلطان مصر ، كان ابن خلدون واحدا من رجالات بلاطه ، قوي ، العلاقة الطيبة بينه وبين ابن خلدون ، لكنها علاقة شكلية .
الناصر فرج	ابن الظاهر برقوق ، طفل ، غر ، لا يفيق من السكر ،لا يهتم بشؤون الرعية ، غافل عما يحدث في قصره وبلاده .	ابن الظاهر برقوق ، تولى الحكم بعده ، لم يرد ذكر لصفاته ، إلا بشكل عام وإيجابي إلى حد ما .

سعد	أخ ام البنين ، شاب ، خنثى ،	ليس له مقابل تاريخي
يشبك	مربي الناصر فرج والمؤتمن عليه ، يحب ابن خلدون ، ينصحه بالسفر مع السلطان لملاقاة تيمور ، يستشيره ويستفتيه في أمور الخلافة ، ويساعده في شؤونه .	داودار السلطان، يذكر ابن خلدون انه طلب منه السفر مع الناصر فرج للقاء تيمور
برهان الدين	قاضي من دمشق ، متعصب ، يدافع عن دمشق ضد المغول ، صديق لابن خلدون .قوي البنية ، عارف باللغات .مثقف	قاض دمشقي ، كان ضمن الوفد الذي زار تيمور.
تيمور الأعرج	الحاكم التتري ، طاغية ، متوحش ، يجيد التخطيط للقتال ، ينتصر بفضل التفاف جنده حوله ، قوي ، محب للمعرفة،وفي لحب زوجته المتواجدة في سمرقند	أحد أفراد المد المغولي ، حفيد جنكيزخان ، هاجم دمشق والتقاه ابن خلدون .

قد تكون من بين علامات الإشكال البحثي والنقدي عموما، الخلط بين الشخصية داخل العمل الروائي" هذا الكائن الورقي" كما يسميه النقاد ، وبين الشخص في الواقع . وإذا كان هذا الإشكال يأخذ أبعادا عديدة ومختلفة، فإنه يأخذ منحى خاصا في النصوص التاريخية ، حيث ينصب البحث على العلاقة بين شخص التاريخ" ابن خلدون " وبين الشخصية الأساسية في العمل "ابن خلدون" أيضا.

إن التطابق على مستوى الاسم مبدئيا والصفات والمقاربات التي تتشارك بين الجانبين التاريخي والروائي تزيد التمييز صعوبة . حيث أننا أمام نص له مرجعية، وعليه تصبح الشخصيات في هذا النص أو على الأقل الشخصية

الرئيسية تنتمي إلى ما يسميه فيليب هـامون[1] Phlippe Hamon بالشخصـيات المرجعية Personnages referentiels التي تمتلك مرجعـا خـارج الـنص الروائي وتحيل علـى الواقـع و التـي مـن ضـمنها الشخصـيات التاريخيـة Historiques التي نتحدث عنها في نص العلامة و تحيل إلى شخصيات موجودة على مستوى التاريخ الذي يمثل مرجعية هذه الشخصية ، ولغيرها من الشخصيات التي وجدنا لها مقابلا تاريخيا [انظر الجدول].

غير أن هذه الأسماء التاريخية (ابن خلدون ، برقوق ، تيمور...) تتنصل حتى في ارتباطها بواقع تاريخي، لتنتظم داخل نسق جديد مـن العلاقـات التـي يفرضها العمل الروائي[2] .مشكّلة بذلك شخصية ذات منطلق تاريخي ، تتجـاوزه لتصنع كيانها الخاص الذي لا يوجد إلا داخل النص . وقد طغت هذه الشخصـيات ذات المرجعية التاريخية على باقي الشخصيات التي يمكن أن نسميها بالشخصيات اللامرجعية تفريقا لها عن الأولى.و بالرغم من أن دخول مثل هذه الشخصيات في نص مرجعي –تاريخي -" يخلق نوعا من البيـاض الـدلالي "[3] إلا أن دخولهـا للرواية كان له تأثير حتى على الشخصيات التاريخية التي تغيرت دلالتهـا داخـل النص مقارنة بما هو تاريخي .فهذه الشخصيات التي خلقتها الروايـة (أم البنـين، شعبان ، حمو الحيحي ...) كانت أكثر إيجابية وقربا من ابن خلدون وهـي التـي تمنحنا حياته الخاصة مما يحيل الى أنها حياة تابعة لما هو روائي تخييلي ولـيس إلى التاريخ .

تتغير الشخصيات المرجعية بدخولها في شبكة من العلاقـات المكتسـبة مـن النص اللاحق ذاته ، وعليه فإنها تصبح تابعة للنص رغـم وجودهـا التـاريخي. وبذلك تصير تابعة لسلم قيم هذا العالم أيضا ، وهـو مـا حصـل تقريبـا لكـل الشخصيات التي أدخل عليها النص قيما غير التي كانت لها فـي نصـوص ابـن

---

[1] - voir Philippe Hamon , statut semiologique du personnage .in poetique du recit ,Seuil 1977,p121.

[2] -انظر المرجع نفسI ، تر : سعيد بن كراد ، دار الكلام الرباط :1990، ص29.

[3] -المرجع نفسه ، ص 30.

خلدون. فتغير في حركة الفعل التاريخي، منح الشخصية الأساسية ابـن خلـدون دورا أكثر أهمية في نظام قيم النص الروائي، مما كان لها فـي الـنص السـابق وخاصة نص التعريف ، يتعلق الامر أساسا بإعطاء ابن خلـدون فرصـة أكبـر ليتحرك في الحياة بحرية أوسع من تلك التي منحها ابن خلدون لنفسه في الماضي: " أمام ما لتي لي ، نفسي اعترتها حالة أسميتها تدفيقا سكر الإفتتان .مفتـون أنـا بزوجتي الحلال وبما يحيط بها ، مفتون بغليان الدم في شراييني وانتعاش خلاياي، مفتون بآيات الجمال أينما تجلت: في ابتسام الأطفال، وتغريـد الطيـر، وهبـوب الأنسام على الروح الظمأى وكل الأجسام "[1]، إذ أننا نجد أنفسنا أمام عملية أنسـنة لهذه الشخصية التي كانت "جامدة" تاريخيا ابن خلدون : " قال الرجل ذلك وهـو يغالب انفعاله الذي يقويه نظره المتقطع إلى وجه المرأة الطافح بالحسن والرقة"[2]. وهو الجانب الذي غيبه النص السابق حتى وإن كان نص سيرة فهو اعتمد علـى ذكر الوقائع والأحداث السياسية على حساب الأحداث الخاصة التي يفتـرض أن تضطلع بها سيرة ذاتية أو على الاقل جزء منها.

وإذا منحت الرواية شخصية ابن خلدون حضورا أقوى من حضورها في الـنص التاريخي ، فإنها بالمقابل شوهت ما كان إيجابيا في النص الخلدوني مـن خـلال الحركة العكسية المتمثلة في إلغاء القيمة، وهو ما يعني منح هذه الشخصيات دورا أقل مما منح لها في النص السابق. يتمثل ذلك بشكل خاص في تنزيل مكانة هـذه الشخصيات، وطبعا فإن الشخصية ذات الأهمية تاريخيـا هـي صـورة الحـاكم "برقوق" الذي أخرجه النص الروائي من صـورته التاريخيـة كمـا وردت فـي نصوص ابن خلدون :" وفي مقابلتي وضعت السلطان الجركسـي طـي حجمـه المجرد من اصطناعات السلطنة وشارات الملك ، فبدا لي مملوكا يبيع واشتري قبل أن يأتيه العتق ويجلس بمشيئة المصادفات والأقدار على التخت .وتصورت هـذا الذي سمي برقوقا لجحوظ عينيه يسألني "[3].لقد غير النص صورة برقوق بشـكل

---

[1] - الرواية، ص 118.

[2] - الرواية، ص88.

[3] -الرواية، ص105

كبير ،وفي أكثر من مناسبة :"سبحان من يسلطن المعتوق ويؤتي الملك من يشـاء ولو كان عبدا ذا زبيبة""[1]وهو من أهم الشخصيات على الصعيد التـاريخي التـي كانت صورتها إيجابية إلى حد كبير.

وبحدة اكبر تعامل نص العلامة مع شخصية تاريخية أخرى هي شخصية الناصر فرج: " حدوس العلامة بانطواء جوانح السلطان الغر على الضعف والغدر كانـت صائبة ...التكالب ضده تصاعد بشكل مسعور ، مصحوبا بالقذف والتشهير، وفرج متغافل لا يحرك ساكنا "[2] ، لكننا لا نجد لهذه الشخصية الأهمية نفسـها مقارنـة ببرقوق ، ولذلك كان هجوم النص الروائي عليها أكثر اتساعا: " إنني أعلم أنـه لا يفارق قوارير الخمر في تنقلاته بين القلعة و...واعلم انـه يسـكر حتـى تتوقـد صفحات خدوده جمرا قبل أن ينظر في الوضع العسكري وإعطائه الأوامر .فـلا غرو أن يطالب الجند بدنان الحرام ، إذ الناس على دين ملوكهم"[3] ونجـد الـنص يركز في كل مرة على جانب الحكم في الشخصية :" قالها السلطان بفـم مخمـور يستهجن القصة كلها "[4]حيث لا يهاجمها كشخصية بل كحاكم وسلطان .

وقد قدمت الرواية الصورة ذاتها عن "تيمور": " وبعد ذلك اضطر إلى تمرير ذقنه على يد الكائن الممدودة إليه "[5] ،إلا ان الملاحظ هنا هو أن هذه الشخصية لم تنـل كبير ثناء في النص السابق، إلا أن النص الروائي يبالغ دائما في إعطـاء صـور سلبية عن"ست هذه الشخصيات .

إن ما قام به النص الروائي على مستوى الشخصيات لا يختلف عن بـاقي الممارسات الأخرى، حيث قام النص باستعادة الشخصية التاريخية وتغيير مسارها لتصبح قابلة لدخول العالم الروائي بكل أبعاده والتخلي عن التاريخ مؤقتا، ونقـول

---

[1] -الرواية ، ص102

[2] -الرواية ، ص 187

[3] -الرواية ، ص199.

[4] -الرواية ، ص 241

[5] -الرواية ، ص221

مؤقتا لأن قراءة هذه الشخصيات يسـتند بالأسـاس علـى وجودهـا التـاريخي ومرجعيتها الخارجية التي تضعها دائما على الحافة بين ما هو تاريخي ومـا هـو متخيل.

*   *   *

لقد حاولنا في هذا الفصل ، فك خيوط العلاقة بين نص العلامة باعتبـاره نصا روائيا، وبين نصوص ابن خلدون التي شكلت جانب التاريخ، وقد انبنت هذه العلاقة من اعتماد الرواية على مجموع هذه النصوص كسند مرجعـي ودعامـة يتأسس عليها عالم الرواية ومن ثمة شكلت ما أسماه جيرار جنيت النص السـابق الذي اشتق منه نص الرواية وجوده ليصبح وفقا لهذه المعادلة نصا لاحقا .

إن السؤال المركزي في هذا الفصل، يدور حول البحـث فـي أتـون هـذا الاشتقاق القائم بين النصين. وتطلبت الإجابة عنه تتبع مفاصـل هـذا الاشـتقاق، والبحث عن الروابط الممكنة الظاهرة والخفية بين النصين المتمازجين. لنصل في النهاية إلى القول إن نص العلامة اعتمد في بنائه على التاريخ بشكل كبيـر، إلا أن ذلك لم يلغ كونه رواية ، لطغيان الجانب التخييلي على المعطى التـاريخي .بالإضافة إلى التغييرات المختلفة التي طرأت على النص الأول والتي مكنت أكبر تمكين لعالم روائي .

وقد ظهر حضور النص التاريخي منذ أول صفحة وهي صفحة الغلاف التي حوت عنوان الرواية المتقاطع باعتباره صفة مـع الـنص الخلـدوني أو العـالم الخلدوني إلى الصفحات الأخيرة التي وإن اختتمت حلقة السرد بما هو خارج عن التاريخ الخلدوني إلا أنها بوصفها لموته لم تبتعد عن مجرى التاريخ المحيط بهـذه الشخصية

لقد أعاد النص الروائي كتابة ما هو تاريخي، إلا أن هذه الإعادة لـم تكـن استنساخا بل تقنينا آخر لهذا التاريخ هو قانون الرواية الذي أعطاها الحق والقدرة على ممارسة كل التغييرات الممكنة على نص التاريخ إن على مسـتوى طبيعـة

النص أوعلى مستوى زمنه أوعلى مستوى شخصياته. وهذا التغيير هو الذي شكل نصا جديدا أعطاه عنصر التخييل الذي فتح عالما خاصا، صفة رواية و أبعده عن أن يظل تاريخا. فنص العلامة لم يتنصل من سطوة التاريخ على كل مستوياته إلا أنه أعاد تشكيل هذا التاريخ ضمن إطار خاص كان إطار الرواية .

يبقى التاريخ في هذا العالم الروائي، لكن قولنا بروائيته يضع حدا ما بينهما. حدا لم يستطع إلغاء التقاطعات التي تتبعنا مواطنها في النصين معـاوالتي يبقـى تتبعها ناقصا إذا لم يتم البحث فيما وراء هذه التقاطعات، فالرواية قادرة على خلق عوالم عدة، إلا أنها تركت هذه الحرية التامة وتقيدت بمعطيات التاريخ. ما الـذي يمكن أن تقوم به رواية كرواية العلامة تنطلق من التاريخ، ولمـاذا تعـود إلـى نصوص ابن خلدون وتتجشم عناء البحث عن ارتباطات وتقاطعات معقدة تعطيهـا هذه التبعية للتاريخ وإن حاولت التنصل منها وتجعلها تقرأ دوما بمرجعية ما . هل يمكن أن تكون رواية كالعلامة قد فشلت في إيجاد عالمها الخاص، فعادت تبحـث في تراثها عن معين، أم أن لهذه العملية التي قام بها النص غاية ما خـارج لعبـة العلاقات التي ترسمها مع الماضي .

الفصل الثالث

حـــوارية التاريـــخي والروائـــي
فـي "العـلاّمة"

شكل تقاطع رواية العلاّمة مع نصوص ابن خلدون المختلفة نصا جديدا يجمع بين دفتيه ما هو تاريخي وما هو روائي . وقبل أن نبحث في البعد الذي ترسمه علاقة من هذا النوع واجتماع للمتخيل والتاريخ ، ينبغي التطرق إلى مشكلة مهمة حول إمكانات التحليل لهذه الظاهرة انطلاقا من تكوينة الرواية في حد ذاتها. حيث نطرح هذا التساؤل بإلحاح : هل نحن أمام نص متعدد الصوت؟

1. التعدد الصوتي في الروايـــة

تعتمد الرواية الأحادية الصوت على صوت واحد يهيمن على العمل الروائي، حيث لا يصغي القارئ إلا لهذا الصوت الذي يمسك بخيوط السيطرة المطلقة على العمل. أما الرواية المتعددة الصوت فتتباين فيها الأصوات مقدمة - بانسجام -نصا لا يطغى فيه أي صوت على حساب الصوت الآخر.

لا يصرح نص العلامة بسهولة عن انتمائه لأحد هذين النوعين، فهو من جهة نص يمكن أن يقال عنه-مبدئيا- أنه نص خاضع لتوجيهات الكاتب [قد يكون هذا حكما مسبقا لا يثبته إلا التحليل، غير أننا نورده هنا كفرضية أولى لا أكثر] مما يجعله أقرب إلى أحادية الصوت منه إلى التعدد. ومن جهة ثانية، اشتمل النص على أصوات أخرى تنفي عنه انتماءه الأول وتجعله أقرب إلى النوع الثاني في تصنيف باختين، أي إلى الرواية المتعددة الصوت .

في الرواية، سمح الكاتب لأكثر من صوت بالظهور. نعني بذلك صوت الأنا الذي تمثله الشخصية الأساسية أو شخصيات الرواية كاملة والتي امتلكت صوتا ومن ثمة وعيا خاصا بها داخل الرواية، وصوت الآخر الذي يمثله التاريخ. و ما رأيناه في التحليلات السابقة للتقاطعات النصية ، يشير إشارة واضحة إلى ما يحمله صوت ابن خلدون وكلماته في الرواية، من كلمات ابن خلدون التاريخية التي وردت في نصوصه، وتم الإلتحام بينهما بحيث أصبحت هذه الأخيرة جزءا من كلمة الشخصية ، وهو الأمر الذي يمنحنا الحد الأدنى لحصول تعدد صوتي ، ليكون حضور الصوتين معا في الرواية كاف لمنعها عن أحادية الصوت وإن لم يكن كافيا لصنع تعدد صوتي.

تحيل عملية التوجيه التي يمارسها الكاتب على مسار الحوارات و سيرورة العملية القصصية إلى نوع من التوجه الأحادي، إلا أن وجود الصوت الآخر ممثلا في ابن خلدون التاريخي كصوت بارز وواضح ومعلم أيضا [نص سابق] يمنع الرواية عن هذه الأحادية، ويدخلها ضمن نسق متعدد. ولا تمثل كلمة ابن خلدون التاريخية سواء تلك التي جاءت على لسان الشخصية الرئيسية أو على لسان باقي الشخصيات، كلمة غيرية فحسب، بل تمثل أحد أهم عناصر التعدد الصوتي في الرواية. إذ نلاحظ أن التداخل بين نص العلاّمة وبين نص ابن خلدون التاريخي ولد تعددا لسانيا من حيث أنه جمع بين صوتين على الأقل يتفاعلان مع بعضهما. وأنه لم يفرغ كلمة ابن خلدون من محمولاتها بل سار بها نحو وجهة أخرى مضيفا إليها صوتا جديدا جعل منها ذات توجيه مضاعف. إن الصوت الأول لابن خلدون هو ما

يمثل جنسا آخر أدرجته الرواية دون أن تفقده خصوصيته الخطابية الأولى ، كونـه تاريخا،غير أنها اكسبته خصوصية جديدة بانتمائه لنصها .

بهذا الحد الأدنى نحصل على نص متعـدد الصـوت مسـتثنين بـذلك بـاقي الأصوات الداخلة في النص والتي تمثل كلمات الآخرين ليس فقط تلك التي تمثل لغة الطبقات مثلما هو الحال مع لغة تيمورلنك وزوجة ابن خلدون و القاضـي برهـان الدين والخادم شعبان حيث لكل لغته الخاصة، بل لغة النصوص الأخـرى كـالنص القرآني أو مجموع النصوص التي أدخلت إلى النص الروائي عدى نصوص ابـن خلدون [انظر الجدول -2-] والتي تنتمي إلى ميادين أخرى وعلى رأسـها الـدين والشعر. وعليه، يكون نص العلاّمة قد استقطب العديد من الأصوات التي لا توحي بالتعدد لأول وهلة، وأهمها:

-نصوص التاريخ : ابن خلدون

-نصوص دينية : القرآن والحديث

-نصوص أخرى: لهجة، أبيات شعرية، مقتطفات من كتب...إلخ .

لكل هذه النصوص سياقاتها الخاصة، إلا أنها اكتسبت سـياقات جديـدة بـدخولها الرواية. وما يهمنا في هذا الإطار هو النص التاريخي، الذي يمثل الجـنس الأكثـر حضورا. والذي خلق إدراجه كجنس منته تنويعة جديـدة و دفـع بالروايـة إلـى الانحراف نحو خصوصية جعلت منها رواية تاريخية.

لقد أنشأ دخول الجنس التاريخي إلى الرواية واقعا جديدا غير الواقع التـاريخي ولكنه يحمل ثقل التاريخ، خاصة على مستوى اللغة، مما غير من لغـة الروايـة. فحين دخل النص الخادوني إلى الرواية سواء في حوار الشخصيات، وعلى رأسـها حوار حمو الحيحي مع ابن خلدون في الإملاءات، أو حتى في كلمة السـارد التـي كثيرا ما استعادت أحد النصوص السابقة، أدخل معه هذا العنصر التـاريخي لـيس كجنس خاص فحسب بل كلغة أيضا. وقد أدى حضوره المكثف إلى التغيير من لغة الرواية. و سواء أكان دخول اللغة نابعا من قصدية الكاتب أم متجردا منهـا[1]، فقـد كان له تأثير على اللغة الروائية نظرا لسلطة الكلمة التاريخية التي صعب تحويرها

---

[1] -باختين، الخطاب الروائي، ص79.

أو تفجيرها وإدخال صوت آخر إليها باعتبارها بنية منتهية وأحادية الدلالة ، وهـو ما يفسر دخول النص الخلدوني بكلمته بنسبة كبيرة ويبرر السرقات التي لـم تكـن تهدف إلى انتزاع تلك الكلمات، بل ولدتها مثل هذه الصعوبة التي تنظـر الكاتـب لإدخال العنصر التاريخي بحذافيره.

إننا حين نقرأ النص الخلدوني بكل السلطة التي يمنحها إياه التاريخ، يصـبح مـن الصعب تحريك هذا المعطى ضمن تعديلات جديدة يفرضها النص الروائي ، وقـد رأينا كيف أن ذلك يعيق حركية هذا الاخير ويقوم بتحويله، ولكنه لا يمنع ممارسـة بعض الإنتهاكات على هذه السلطة اللغوية وتحميلها بدلالات الرواية ، لأن الكاتـب "يعرف أن التاريخ لايوجد إلا نصا,دون أن يلغي ذلك-بالطبع-وجـود الماضـي، [ولذلك] نراه يوجه جل اهتمامه إلى حامل الماضي اللغة,مبرزا تشكلاتها السلطوية، ومنتهكا قداستها، ليبين أنها لاتخدم، في سياقها التـاريخي ذاك، سـوى مؤسسـات الماضي,فهي تتحول في زمن الرواية من نص لغوي سالف إلى ممارسـة راهنـة على أرض الواقع."[1] و هذا التحويل قد يكون من أهم الإختراقات التـي تمارسـها الرواية على سلطة لغة التاريخ المنتهية .

لقد شكلت هذه السلطة، تنويعة للرواية، يمكن اعتبارها نتيجة للتحويلات التي قام بها النص الروائي على التاريخ باعتباره جنسا ومن ثمة لغة. نستطيع القول أن قرابة ربع النص الروائي 23٪ تنتمي إلى التاريخ، وعليه سيكون من الطبيعي خلق تنويعة لا تكتفي بكلمة رواية بل تضيف إليها صفة جديدة نشأت في ظل المعطيات السابقة وجعلت منها رواية تاريخية.إلا ان تاريخية هذه الرواية تضع نقطة استفهام كبيرة أمام مفهوم الأنواع، فما هو معروف أنه عندما تقوم رواية باستنساخ شيء من نص تاريخي يطلق عليها اسم الرواية التاريخية[2] إلا أننا نتساءل بالنظر إلى الإختلافات بين الروايات التاريخية عن صدق تاريخية رواية العلامة، وكذا عن صدق التصنيفات المتاحة لجنس الرواية ككل . و لا يمكن أن نقاش هذا التقنين إلا من خلال مكونات الرواية ليس على مستوى الأجناس والأنواع فحسب بل على مستوى الأبعاد الكامنة فيها كذلك.

---

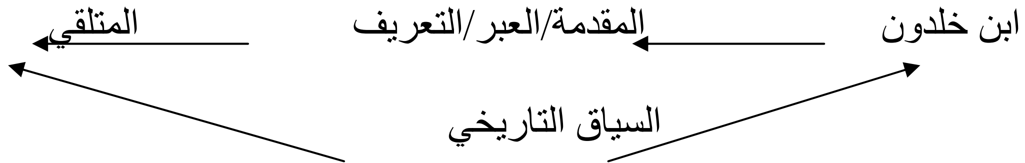
[1] عبد الرحمن ياغي، البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربية، ص133/132.

[2] -سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص262.

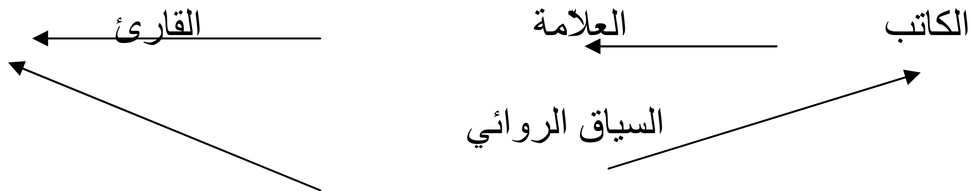
2. خطاب الروايــة وخطـاب التاريخ

مبدئيا ، يواجهنا نصان يتقاطعان لتشكيل نص واحد ، لكل منهما محور وجوده وكيانه الخاص أي" سياقه ":

- **النص التاريخي** : وهو نص وجه في لحظة زمنية معينة الى زمانه ومكانه أي أنه خطاب له سياقه ومحيطه الخاص الذي جعل منه خطابا تاريخيا نظرا للسيرورة الزمنية . وبعيدا عن مقولات الدارسين بحداثية فكر ابن خلدون فإن هذا الخطاب يمثل خطاب الآخر الذي يمثل السياق الأول المستقل :



- **النص الروائي** : الذي يتوجه كخطاب نحو زمانه ووجوده الأدبي بكل ما يميزه و يعطيه شكله الخاص وهو ما يمثل خطاب الأنا بمعنى الخطاب الحالي أي خطاب الرواية :



وإن كانت تقاطعات النصين معا قامت باشتغالات جديدة، وحولت النص التاريخي داخل نص الرواية، من حيث الكم والقيمة الممنوحة للشخصيات والتلاعب بمعطيات الزمن التاريخي ...إلخ فإن هذا الإشتغال لا يمكن ان يكون بلا أهداف أو أسباب لا تتأتى إلا من القيام بعملية التأويل الذي يمكن أن نمنحه لتقاطع هذه الخطابات.

ولأن الحوارية تركزعلى التفاعل الذي يمنح الكلمة قدرة على التعدد أي على امتلاك "أنا" خاصة تحمل في داخلها، أي وضعها وقصدها الإستعمالي الحالي، أنا

أخرى خارجة عن الوضع الحالي وهو ما يمثله هنا الرواية والتاريخ ككلمتين لكل منهما استقلاليته الخاصة، فإن وقوفنا في الفصل السابق لم يتعد التنقيب عن مفاصل هذه الكلمات وإدراك تقاطعاتها المختلفة، في حين أنه لا يمكن إدراك الجزء الآخر إلا بالبحث في سياق النصين لمعرفة منتهى هذه العلاقة.

ينتقل خطاب إبن خلدون إلى خطاب الكاتب، ويصبح جزءا من منظومة لغوية ومن ثم إديولوجية جديدة حيث منحه هذا الإنتقال إمكانات أدبية جوهرية، لا يمكن أن توجد إلا في عمق الرواية. تنقسم إلى مستويين مهمين، المستوى الأول: داخلي، يتناول الحوار الذي يقيمه نص ابن خلدون داخل الرواية أي استخدامات الرواية لهذا الخطاب التاريخي وما تحيل إليه. فماذا يمكن ان نسمع من صدى الحوار القائم بين الرواية وبين التاريخ داخل هذا المستوى أي من تداخل كلمة النص الروائي التي تمثلها كلمة الراوي أو الشخصيات وكلمة التاريخ التابعة لنصوص ابن خلدون.وعليه يصبح النص الروائي حاملا في طياته السياق الاول ولكنه يحمل سياقه الخاص الذي ينتمي إليه خطاب الرواية.

3. السياق الداخلي و نقد ابن خلدون

إننا نصر دائما على التعامل مع النص والإنطلاق منه إلى خارجه وفاء قدر الإمكان لكل المقولات النصية، و ينطلق السياق الداخلي أساسا من المبدأ ذاته، ونعني به الطريقة التي ورد بها النص التاريخي، في كلمة الأنا و موقعه من السياق الروائي، حيث يمنحنا تموقع هذا الخطاب قدرة على تأويله انطلاقا من مكونات هذا السياق:

إن أهم تأويل يمكن منحه لهذه الخطابات هو ذاك الخاص باستخدام كلمة ابن خلدون التاريخية بغية نقدها بالأساس. يظهر ذلك مرارا خاصة في الفصل الأول الذي اعتمد على المعطى التاريخي اعتمادا مكثفا، حيث قامت الإملاءات التي دارت بين حمو الحيحي وبين ابن خلدون بتدوين هذه الإنتقادات التي وجهها ابن خلدون الشخصية لابن خلدون التاريخ. وهي انتقادات مهمة على الصعيد الفكري الخاص بابن خلدون.

أ-علاقة ابن خلدون بالسلطة الحاكمة :

تعتبر فترة كتابة الرواية[الزمن الذي تغطيه الأحداث]، فترة انقطاع الخيط بين ابن خلدون وبين أرباب الحكم خاصة الذي كان له بالمغرب حيث أنه لم يعد أثناء إقامته في مصر إلى المناصب السياسية واكتفى بالتدريس والقضاء. ورغم ذلك تعود الرواية إلى فترات سابقة لهذه الإقامة المصرية مركزة على العلاقة التي ربطت ابن خلدون بالسلطة وهو ما يفسر العودة نحو زمن سابق لزمن السرد أي وجود الإستباقات. وقد جاءت الانتقادات على لسان ابن خلدون الشخصية التي تتماهى كلمتها مع كلمة ابن خلدون التاريخ مما يجعل الإحساس بالنقد الموجه للتاريخ صعبا وغير ممكن التحديد إلا بالعودة لهذا التاريخ نفسه ، الذي يمضي بيقينية ولا يصرح مطلقا بالأخطاء التي صرحت بها الرواية، إن أهم ما يجعلنا نكتشف مؤدى هذا الحضور التاريخي أو بتعبير باختين "كلمة الغير" ممثلة في تاريخ ابن خلدون مع كلمة الأنا التي تقولها في الكثير من الأحيان الشخصية الأساسية هو السياق الذي ترد فيه هذه الجمل المجتزأة من التاريخ حيث يصبح لزاما تتبع هذا السياق لا غير، لفهم أهداف التقاطع. نجد في الرواية هذا المقطع: "ليس هذا ما أهجو به نفسي، بل ميلها إلى استهواء السلطة الملذوذة ووالطمع في المناصب الرفيعة ، التي رأيت من هم دوني معرفة وكفاءة يبلغونها بالتسلط والزلفى وإحسان فنون الدسائس والسعايات .وهكذا استسهلت **وأنا في بلاط أبي عنان التفاهم مع ضيفه المعتقل أبي عبد الله أمير بجاية المخلوع على ان أيسر له فراره إلى إمارته وأقبل حجابته ما إن تتم له الأمور** "[1] تحضر كلمة ابن خلدون هنا أو نصه التاريخي* المنزوع من سياقه الأول

---

[1] -الرواية ،ص39.

كما ورد في التعريف ليجد نفسه معبأ في سياق آخر يغير من معناه الأول ، ليفيد في السياق الجديد إدانة هذا التصرف. فابن خلدون الرواية " الشخصية " يحرف النص التاريخي بإدخال كلمته الخاصة وفكرته الخاصة على فكرة التاريخ، والسياق هو المحدد لهذا الإنتقاد، من خلال كلمات [مؤشرات] بعينها تقوم بتحديد مقصدية النص الجديد، أهمها في هذا المقطع قوله: " ما أهجو به نفسي " حيث أن صيغة الحاضر تحيل على أن كلام الشخصية جديد مقارنة بالحدث التاريخي ، كما أن النص كان قد صرح منذ البداية أنه بصدد تقييم أعماله السابقة ، "في السياسة وشواغلها كثيرة كانت أيضا معاطبي وزلاتي ".

---

*الخط المغاير لإيضاح المقطع التاريخي

ب-أخطاؤه في الحكم والإفتاء:

كثيرة هي المقاطع التي قام النص الروائي باستدعائها بهدف توجيه انتقادات لابن خلدون لا من باب علاقته السلبية بالحكم فحسب، بل وكذلك في أمور أدق تخص بعض الأحكام والآراء التي كان يقول بها والتي نقرؤها في مختلف نصوصه إلا أننا سنقتصر التحليل على واحد من أهم هذه الإنتقادات:

" ففي باب المثالب ، الذي أخصص الإملاء فيه ، كم تركت العاطفة تتلف عقلي ، وتعمي بصيرتي أمام الواقع .هكذا مثلا ، **أطنبت في الدفاع عن خلفاء عباسيين ضد تهم تعاطي الخمر والتهتك والفسق** ، وكان من الأحرى بي أن أسكت أو أفوض الحكم إلى الله الأعلم ، ولا سيما أني في النظرية أعتبر تلك الزلات وليدة كل حضارة مترفة باذخة ، كما كان الحال بالذات مع اولئك الخلفاء .ثم إني من جهة أخرى تكلمت **في اختلافات الفرق المسيحية حول وضع المسيح عليه السلام** ، وحكمت فيها وكأني أنتمي إلى إسلام الفجر والفتوحات ، وليس إلى عصر تلاشي الأندلس بفعل المد المسيحي الكاسح .ففي مقطع من مقدمتي-أتمنى حذفه – أرمي تلك الفرق كلها بالكفر و أقول بالحرف **[لم يبق بيننا وبينهم في ذلك من جدال ولا استدلال ، إنما هو الإسلام أو الجزية أو القتل]** .كلام في غير وقته ولا سياقه يا حمو، كلام أشبه ما يكون بمنطق العاجز المتنطع ."[1]

أول ما يشدنا ، هو أن التركيز على الحاضر " أخصص الإملاء فيه " يصب دائما في الغرض نفسه الذي حدد سابقا وهو استحضار الماضي المتمثل في مقاطع مجتزأة من نصوصها وسياقاتها التاريخية وإدراجها ضمن نسق جديد ، يجعلها ذات توجه جديد ينفي انتماءها الاول أو لنقل يغير منه. في هذا المقطع نجد نص الرواية يورد الحكم كاملا وينقضه في الوقت ذاته وهو ما يحول مسار الحكم ويجعله لاغيا، ومن أهم المؤشرات التي تحيل على السياق الجديد قوله :" أتمنى حذفه " فلمثل هذه الكلمات التي تبدو غاية في البساطة دور مهم في تحديد معنى ومقصدية النص التاريخي في النص الروائي كما أن الشخصية لا تكتفي بدحض أقوالها التاريخية [على أساس أنها تمثل هذه الشخصية الأساسية]، بل وتسهب في تحليل الموقف وملابسات الحكم ومعطياته ونتائجه ، انطلاقا من رؤية جديدة تتبنى رؤية التاريخ وتتجاوزها في الوقت نفسه، مما يجعل الشخصية الروائية في موقف خلاف مع الشخصية التاريخية، من حيث أنها تحمل إيديولوجيا أخرى مغايرة تنطلق من نقدها لمعطيات التاريخ.

جـ - فتواه ضد الصوفية

[1] -الرواية ، ص 37.

يركز نص العلاّمة في إطار انتقاداته لابن خلدون على عنصر مهم ، يمكن التدليل عليه بالمقطع التالي :

" أما ذنبي البليغ ، فقد اقترفته في بعض كلامي عن صوفية أبرار .لذا يحق من يقول إن رسالتي شفاء السائل عمل فج هزيل ، محكوم باستجابة لدعوة سياسية إلى مناهضة فشو التصوف الشعبي والزوايا ، وإلى تقرير شروط كل مريديه داخل حدود التعليم والتربية السنية السائدة ..ومن أراد فهم سكوتي عن تلك الرسالة فلير سببه في كوني أستصغر نتاجا كان وليد قضية سيئة الإنطلاق .زاخرة بالمزايدات ، قضية دفعتني في آخر المطاف إلى تشريع العنف في حق كتب صوفية من الامهات ، فأتيت بما لايشرفني [...] ولا رجاء لي اليوم إلا ان يقدم كل قارئ لهذه الفتوى على تحريقها ، أو غسلها بالماء ، حتى يمحو أثرها ويريحني من إثمها "[1]

إن المقطع المحذوف هنا هو المقطع المنتمي إلى التاريخ أي المقطع الذي يفتي بحرق كتب الصوفية ونصه:" وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة,وما يوجد من نسخها بأيدي الناس، مثل "الفصوص"و"الفتوحات المكية"لابن العربي",و"البد"لابن سبعين، و"خلع النعلين لابن قسي،فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار،والغسل بالماء،حتى يمتحي أثر الكتابة، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين،بمحو العقائد المختلة،فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعا للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق"[2]. وقد تدخل هذا النص التاريخي، في كلمة الشخصية بحذافيرها ولكن دون السياق الذي يجعل منه نص افتاء قائم بل نصا مطعونا في السياق الجديد استنادا إلى موقعه في كلام ابن خلدون الشخصية:"فأفتيت بما لا يشرفني نصه "، إن صيغة الحاضر في الأفعال التي وردت في سياق النصوص التاريخية تدخل ضمن ما نسميه الإشارات السياقية التي تحدد طبيعة النص ومقاصده الجديدة ،و يكمن أهم مؤشر هنا في قوله " ولا رجاء لي **اليوم** ، إلا أن يقدم كل قارئ لهذه الفتوى على تحريقها ، أو غسلها بالماء، حتى يمحو أثرها ويريحني من إثمها" وكلمة اليوم هنا تنتمي إلى الرواية مما يجعل السياق يتحدد بفترة غير فترة النص التاريخي وهي فترة الإملاء أو بشكل أكثر تحديدا فترة الرواية لا فترة التاريخ .

د- **حديثه عن الكنازة: "**

الكنازة هم الباحثون عن الكنوز و كل ما تخفيه الطبيعة من معادن نفيسة ، بكل الطرق الممكنة حتى تلك التابعة لفنون الشعوذة والدجل . وقد ورد في نص التعريف إشارة إلى هذه الفرقة كما وردت الإشارة إليهم في مقدمة ابن خلدون . إلا أن طبيعة الإشارة تختلف بين النصين ، حيث توجه الرواية نظرتها الخاصة لهذه المسألة، في حوار انشأته بين الكنازة الذين مثلهم طالبان من طلبة ابن خلدون، وبين هذا الأخير،

---

[1] -الرواية ، ص38.

[2] -لقد عدنا بالنسبة لهذه الفقرة إلى نص ابن خلدون شفاء السائل في تهذيب المسائل إلا أننا لم نعثر عليها، لنعرف فيما بعد أن الكاتب اعتمد على طبعة أخرى للنص متوفرة لدينا.

ثم بينه وبين حمو الحيحي:" من الطلبة الكنازة إلى أستاذنا العلاّمة: تصفنا سامحك الله ، بأقدح النعوت ليس أمرها عجزنا عن المعاش الطبيعي[...] الحق أن هذه البطاقة جعلتني أرى أني لم أفكر بما فيه الكفاية في موضوع ممارسات الإخفائية والسحر ،ولو فكرت وقتذاك عن وظيفة تلك الممارسات من حيث الاجتماع والوجود، وعن أي ترقبات وهموم عند الانسان كانت تعبر و تجيب ، ... لو فكرت لرأيت أن ذلك كله يعطي مقياس الفقر الحقيقي القائم "[1].ومن الواضح أن هذه الرؤيا المتعمقة التي تبحث فيما وراء ولع الكنازة بهذه الممارسات الملتوية ، لم تكن نظرة ابن خلدون الذي اكتفى في المقدمة بوصف هذه الظاهرة وتبيان سلبياتها، بل هي ما يوجه كنقد لسطحية ابن خلدون في هذه المسألة وهو النقد الذي يراه الكاتب واجبا من واجبات الباحث :"إن اهتمام الباحث اليوم يكمن بالأحرى في إظهار الوظيفة الإجتماعية وحتى الوجودية لممارسات الإخفائية والسحر.فعن أي انتظارات وأي هموم عند الإنسان كانت تجيب تلك الممارسات؟إن العلاقة القائمة في هذا السؤال هي التي لم يكن لابن خلدون من البعد الزماني ما يكفي لإدراكها.كما أنه لم ير في ظاهرة البحث عن المعادن النفيسة مجهودا يائسا لإرغام الأرض على تسليم خيراتها لأولئك الذين يغذون، طوال حياتهم، استيهامات الاغتناء الفياض الخارق للعادة. وإن هذا ليعطي صورة عن الفقر الحقيقي القائم "[2]

<u>هـ - الفقه المالكي وسيطرته على بلاد المغرب</u> :

في فصل من فصول المقدمة، تحدث ابن خلدون عن الفقه ، و ذكر فيما ذكره في هذا الفصل فقه مالك وسيطرته على بلاد المغرب مشيرا إلى عوامل مهمة في هذه السيطرة ،وهي:

-الحج إلى مكة، المرفق بمزار إلى المدينة، مسقط رأس مالك ومهد المالكية، كان يتيح لأهل المغارب والأندلس الاحتكاك الحي المباشر بالفقه المالكي، ويعصمهم بالتالي من تأثير مذاهب العراق.

-التقارب الشكلي بين أنماط الحياة في كل من الحجاز والمغارب، هذا التقارب الذي يجعل الناس أكثر قبولا لمذهب مالك صاحب كتاب الموطأ.

-كما أن هناك عنصرا ثالثا يتمثل في المكانة التي يخصصها مالك لحيز "العمل" و"العرف" في نظريته الفقهية.وهذان المفهومان,اللذان يقتصر مضمونها على عمل أهل المدينة وعرف السلف، يصلحان كغطاء شرعي للعادات والأعراف الجاري العمل بها في هذه البلاد أو تلك,والتي يجوزها المذهب عند الحاجة باسم المصالح المرسلة.

- معارضة مالك للمزابنة في علاقات البيع والشراء,بحكم ما تنطوي عليه من "الغرر والضرر"[3]

---

[1] -الرواية ،ص74.

[2] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص85

[3] -انظر بنسالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ ، ص45.

تستعيد الرواية بعضا ما جاء في هذا الفصل، مركزة على هذه النقطة دون غيرها "...فسرت يا أستاذ نجاح المالكية ، في المغرب الإسلامي بعاملين : أن الحج إلى مكة ، المرفق بمزار إلى المدينة مسقط رأس مالك ومهد المالكية ، كان في نظرك يتيح لأهل المغرب والأندلس الإحتكاك الحي المباشر بالفقه المالكي يعصمهم بالتالي من تأثير مذاهب العراق، ثم أبرزت التقارب بين أشكال الحياة في كل من الحجاز والمغرب، والذي كان يجعل الناس أكثر قبولا لمذهب مالك السهل الميسر سؤالي هل هناك من عاملا آخر أعمق أصدق [...] أجبت[...] إنه المتمثل في المكانة التي يخصصها مالك لمفهومي العمل والعرف، وكذلك وبالاخص في معارضته الصريحة للمزابنة في علاقات الشراء والبيع ، نظرا لما تنطوي عليه من غرر وضرر [...]قال الأول مقاطعا : قد تكثر الدعاوي وتتعدد، وتنشط الأحاديث المنحولة، في تمجيد مالك وتمدد ، لكن الحقيقة، في انتشار المالكية ،في المغرب الإسلامي إنما تعود إلى تحكم السلطان لا غير "[1] يعطي هذا الحوار الذي دار بين ابن خلدون واثنين من طلبته ، فكرة واضحة عن النقد الذي يوجه لتفسير ابن خلدون لطغيان الفقه المالكي على المغرب، إلا أن النقد يأتي للمرة الأولى على لسان شخصية أخرى غيرالشخصية المرجعية الأولى في الرواية ، و هي شخصيات مختلقة، تحمل إيديولوجيا مغايرة لإيديولوجيا الشخصية المركزية وبالتالي جاء النقد من خارجها :"محمد سيد الخلق كان خاتم الانبياء وناسخ الاديان ، وأحمد ابن حنبل رضي الله عنه من ألقم حجرا كل الدعاة والمتقولين ، هو خاتم المذاهب وناسخها جميعها .هذا محصل قول المجاهد الاتقى و الداعية المذكر الإمام تقي الدين ابن تيمية قدس له روحه"[2]

و-مفهوم العصبية:

تنتقد الرواية على لسان ابن خلدون مفهوم العصبية والأهمية التي منحها إياها ابن خلدون في إقامة الملك، حيث خلص انطلاقا من قيام الملك دون عصبية إلى نتيجة تقلل من أثر العصبية على مسار الأحداث :" إذا كانت أرض الكنانة لا عصائب فيها وإنما هي راع ورعية ، وكان أهاليها ليسو أقل ضيقا وانقباضا من سواهم في بلاد المغرب ، فلا سبيل إذن إلى رد كل البلايا إلى العصبية ، ولا إلى تعميم هذا الرد وحمله على دغم او مسخ منطوق الوقائع "[3] .وبذلك تكون الرواية قد وصلت في نقدها للإرث الخلدوني إلى أهم النقاط الواردة فيه .

وبقدر ما في هذه الإنتقادات من إدانة لهذا الفكر بقدر ما حملت في مواقع مختلفة دفاعا عن هذه الشخصية التاريخية انطلاقا من أنه كان ابن عصره في زلاته وأخطائه:" لا كمال لمن انتمى إلى زمن أفسد من السوس " [4] وهو ما جعل موقفه

---

[1] -الرواية ، ص71.
[2] -الرواية،ص 71.
[3] -الرواية،ص51.
[4] -الرواية ،ص41.

متذبذبا يرتكز إلى شهادات تعبر عن عالم ينتقل من اقتناعه بمسائل مهمة على مستوى الثقافة والتعليم إلى تبني نقيض ذلك وهو ما يمثل وجها من وجوه تهاونات ابن خلدون وانخراطه في عقلية عصره، إذ يمكن القول إن ابن خلدون تأثر بالسياق المتأزم، وهو سياق تطغى عليه حالات الانتكاس الاقتصادي من جهة، والكوارث السياسية والطبيعية من جهة أخرى. ونعلم على الإجمال أنه حيثما هيمن ذلك السياق وتجذر، فإنه يحدث الآثار السلبية المفقرة نفسها على الثقافة ومشتقاتها."[1] ومن ثمة يكون المسوغ الذي يمنحه خطاب الرواية مسوغا منطقيا يأخذ بعين الإعتبار متطلبات الفكر و النسق الثقافي المنتظم وهو وإن كان تبريرا يزيل عن كاهل ابن خلدون بعضا من مزالقه، فهو يدين بشدة العصر الذي جاء فيه، و الذي كان بحق أفسد من السوس.

لقد ركزنا التحليل على أهم الإنتقادات التي وجهتها الرواية للتاريخ من خلال استعادته كنص له أهميته الكبرى في الفكر العربي، ليكون الروائي بذلك قد قام "بتصحيح ما جاء به المؤرخ وبذكر ما امتنع من قوله"[2] مُقدما رؤية خاصة يحاول من خلالها تقييم الإرث الخلدوني في قالب سردي روائي .

3. العلاقة بين الرواية و الواقع الحديث

يحمل كل متكلم في نص العلاّمة، إديولوجيته التي ينتجها داخل النص وكل يتطور حسب هذه الإديولوجية، إن حضور حموالحيحي داخل النص له تبريراته لكن المتكلم الأساسي ابن خلدون، الذي يحمل داخل صوته صوتا آخر ،يخضعه لمبتغاه يحمل أيضا إديولوجيته الخاصة التي تتطور من" سيرورة إختيار كلمات الأخرين و سيرورة تمثلها" وهي كلمات ابن خلدون التاريخي .وبذلك يكون ابن خلدون الشخصية حاملا لايديولوجيا، تتقاطع مع ايديولوجيا النص التاريخي ولكنها تخضع هذه الاخيرة لمبتغاها ونمط تفكيرهاالجديد. إن إيديولوجيا المتكلم داخل نص العلاّمة وليدة عصرها وسياقها الذي يعيد تركيب السياق الماضي ومن ثمة وجب معرفة هذا السياق.

---

[1] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص 30.
[22] فيصل دراج ، الرواية وتأويل التاريخ، ص6.

إن دخول جنس التاريخ إلى عمق الرواية يخضع لإعادة التأويل حسب انتماءات هذه الأخيرة الإيديولوجية والإجتماعية. إننا هنا بصدد الحديث عن العلاقات التي ينشئها كل من خطاب الرواية وخطاب التاريخ، والقول بلاخطاب يخرجنا عن النصية الداخلية إلى موضعة النص في سياقه العام .

إن أهم إشارة تحيل إلى هذا النقد تتواجد في الإملاءات على وجه الخصوص، أ ي في الفصل الأول من الرواية، والتي وردت في السياق النصي هي الإشارة الآتية:"أما الأقرب إلى التقييد هذه الليلة، فهو التوق عندي نحو اتساع الرؤيا كيما أنظر أكثر مما نظرته من قبل " وما نظره ابن خلدون هذه المرة هو الإنتقادات التي وجهها لما نظره سابقا والتي تعادل التاريخ أي نتاجه السابق ممثلا في "المقدمة" و"العبر" و"التعريف" وهي الكتب التي دار حولها النقاش والنقد بالإضافة إلى رسالة "شفاء السائل".

يقول فيصل دراج :"المتخيل الخالص، المبرأ من خارجه، لا وجود لـه، إلا إن كان هذيانا أو ثرثرة فارغة.يتكشف الأدب، مرة أخرى، ممارسة اجتماعية، وتستبين العلاقة الأدبية علاقة اجتماعية تعطف على علاقات أخرى.."[1] . والقـول بعلاقة تربط النص الأدبي بخارجه لا تخرج بالضرورة عن الإطار الأدبي وإنمـا تواصل السير به نحو روابط لا يمكن استبعادها . حتى أن المكان بالنسبة لباختين ضروري لمعرفة وفهم عملية التبادل الحواري التي نحن بصـدد فـك رموزهـا الكلمة.و"المكان" ليس شيئا آخر غير المحيط الذي يضم عملية التبادل، هذا المحيط الذي يمكن أن يكون داخليا، أوصلنا إلى فهم الحوار الداخلي للنصوص، كما يمكن أن نجعل منه خارجيا في علاقته بما هو خارجي ليضم بذلك حوار النص الروائي بكل ما يحمله من تاريخ مع الواقع، وهو الحوار الذي قد يسفر عن نتائج لا تقـل أهمية عن الحوار الداخلي .

لايرمي حديثنا عن السياق الخارجي إلى إحداث قطيعة نهائية مع السياقات الداخلية كما وردت سابقا، ذلك أن كل هذا التتبع رهين علاقة النص التاريخي بنص الرواية الخاص أوبالسياق الذي يبرز فيه النص التاريخي داخل عالم الرواية والذي من خلاله نحدد بعض العلاقات الخاصة التي يمكن أن تربط النص بما هو داخلي و ما هو خارجي أيضا.

إن أول ما يحيل على السياق الخارجي هو تمثل العمل السردي كخطاب له كل ما للخطاب من عناصر، وإذا وضعنا النص في مقابل الملفوظ يصبح الخطاب مجموع النص وسياقه الذي لا يمكن أن نفهم من دونه نهايات هذه العملية .

---

[1] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص22.

يتقدم هذا النص باعتباره نصا روائيا و هو ما يظهر منذ الصفحة الأولى من خلال المؤشر الجنسي، غير أنه لا يكتفي بذلك بل يمازج وجوده بما هو سابق الوجود وتاريخي، إن نص الرواية يحمل نصا آخر في داخله يجعله نصا مضاعفا أو ما أسميناه النص السابق ويمكن بالطريقة التي تم بها تحديد أبعاد الترابط بين نص التاريخ ونص الرواية داخليا إيجاد أبعاد خارجية لا تقل أهمية:

إن الحديث عما هو خارجي يتيح فرصة أكبر وأعمق لدراسة أبعاد الرواية في علاقتها بتاريخ ابن خلدون. وأول ربط مع هذا الواقع الخارجي الذي كثيرا ما رفض النقاد الإعتراف بسطوته، تلك العلاقة الغريبة والهامة بين نص العلاّمة باعتباره نصا روائيا ونصين آخرين لبنسالم حميش أحدهما تم تقديمه كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون تحت عنوان : partant d'ibn Khaldun; Penser la depression[1] والثاني تحت عنوان : "الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ " والذي يمكن اعتباره النسخة العربية [شبه ترجمة] للنص الأول .

إن التقاطعات الهامة على مستوى النصين تحيل إلى تساؤلات عدة أهمها التساؤل حول إمكانات الخروج من النص الروائي للبحث عن مسوغات الإجابة عن سؤال البحث الرئيسي. و بهذين الكتابين ندخل الكاتب على أنه طرف مهم في السياق باعتباره أحد المشاركين في العملية التلفظية .

لقد تم العثور على جل الإنتقادات التي وجهتها الرواية ومنحها سياق الملفوظ الداخلي الناتج عن تقاطع كلمة التاريخ مع كلمة الرواية، على مستوى هذه النصوص التي لا تنتمي إلى نص العلاّمة، ولا إلى مجال الأدب بل إلى مجال آخر نستطيع أن نسميه فلسفة التاريخ. ويمكننا عقد مقارنات بينة تظهر مدى العلاقة بين هذه النصوص وبين نص العلاّمة :

مثلا :

في حديثه عن حرق أمهات الكتب الصوفية الوارد في نص "شفاء السائل" الذي هو عبارة عن مساهمة في المناظرة التي جرت خلال 775/773هـ ، وأثارها تقييد أرسله أبو إسحاق الشاطبي من غرناطة إلى ابن عباد الرندي وأبي العباس القباب المقيمين في فاس، يستفتيهما فيه حول مسألة اتخاذ الشيخ في سلوك طريق التصوف هل هو لازم أم لا، أوبعبارة أخرى:هل يصح هذا السلوك بالمريدية المسترشدة بشيخ أو إمام مطاوع أم بالعصامية المعولة على المجاهدة الذاتية، والتحصيل من الكتاب الصوفي. رأينا على مستوى الرواية كيف حاول ابن خلدون الشخصية التنصل من خطاب ابن خلدون التاريخ باعتباره خطابا فاشلا بالأساس وقد قام سياق النص بتحديد هذا الإنتقاد لما ورد على لسان ابن خلدون تاريخيا في رسالته الآمرة بالحرق. إن ما يهمنا في هذا الأمر ، هو التقاء هذا النقد الموجه لابن خلدون حرفيا- وأقول حرفيا - مع ما ورد في قراءة بن سالم حميش لهذه المسألة على مستوى نصه الفلسفي.

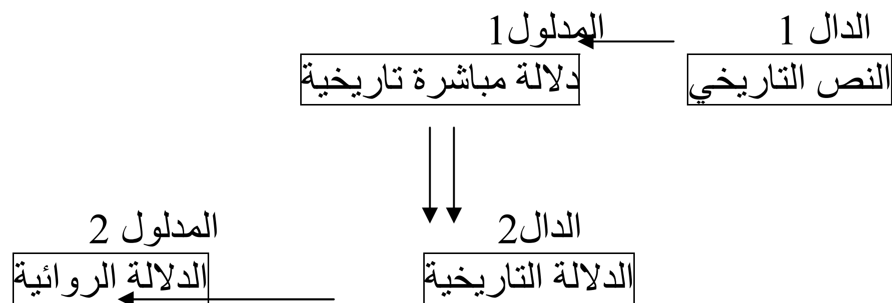
---

[1] -Ben salem Himmich,partant d'ibn khaldun Penser la depression ,ed enthropos.

يقول:"يمكن اعتبار "شفاء السائل لتهذيب المسائل" عمل فتي بسبب هيمنة العامل النفسي على كل العوامل الأخرى التي حدت بصاحبها إلى وضعه [...].وبما أنه بكل هذا يساهم في مناظرة لم يدع إليها,فقد صار يواسي مراراته بإطلاق فورات كبرياء من شأنها التقريب بين صورته الذاتية كعالم بالفعل وليس فقط بالقوة وبين صورته في أعين الآخرين,وهي صورة لا تعكس إلا مكانته المعروفة إذ ذاك كرجل سياسة ووظائف أميرية ليس غير.وقد تجلت تلك الفورات الإستعلائية [...]حتما,قد لا نخطئ الصواب إن اعتبرنا "شفاء السائل"عملا فتيا محكوما باستجابه لدعوة سياسية صريحة أو خفية مناهضة فشو التصوف الشعبي والزوايا,وتقرير شروط إمكان كل مريدية داخل أطر التعليم والتربية السنية السائدة.[...] إن سكوت مؤرخنا عن مؤلفه ذاك في فصل التصوف من"مقدمته",كما في سيرته "التعريف",أمر محير لا يجد تفسيره في مجرد سهو أو نسيان,بل على الأرجح في ميل المؤلف إلى استصغار نتاج لا يبعثه على الفخر,نتاج وليد قضية سيئة الانطلاق,زاخرة بالمزايدات,حتى إنه دفع بصاحبه إلى تشريع العنف في حق كتب صوفية من الأمهات,فأفتى بما لا يشرفه,وهذا نصه "[1] والنص هو ذاته الوارد في الرواية كمقطع من الرسالة.

يبدو جليا التقارب الكبير بين النصين مما يدعو إلى القول إن إيديولوجيا الكاتب موجودة داخل النص وتحديدا داخل ايديولوجيا الشخصية الأساسية .ولا يمثل هذا المقطع سوى مثال يهدف إلى المقارنة . ذلك أن كل الانتقادات التي وجهتها الرواية لابن خلدون التاريخي، لها ما يقابلها بشكل شبه حرفي مما يدل على أهمية استخدام السياق الخارجي للوصول إلى قراءة النص.

ولإنتاج قراءة لهذا النص تستثمر كل ما هو متاح ، يمكن تحويل الدلالات الأولى إلى دوال تنتج بدورها مدلولات جديدة:



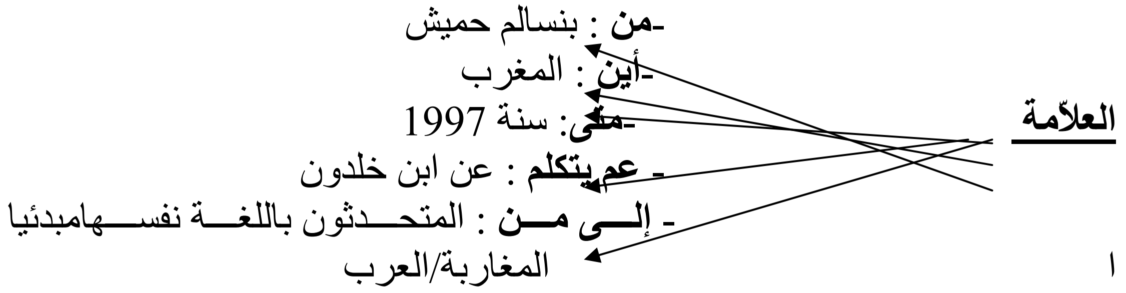
كما أن اعتبارنا للرواية كلها ملفوظا يمكن من تطبيق -ولو جزئي- لمخطط باختين للإتصال:

بنسالم حميش ← العلامة ← المتلقي العربي

[1] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص 29.

النصوص التاريخية

أوبطريقة أخرى يمكن تمثيل الوضع العام للرواية تمثيلا يمكن من خلاله تحديد مجمل عناصر السياق التي قد تساعد على فهم مقاصد الخطاب الروائي:



إن مطاطية هذا المخطط التي انتقدها فيصل دراج هي التي تمكن من تطبيقه على العناصر الروائية الداخلية وكذا الخارجية. ولا يهم الكاتب أوالمتكلم هنا إلا بمقدار ملأ الفراغ الذي يحدثه استبعاده عن سياق النص. يكفي أن نعرف عن بنسالم حميش أنه أستاذ فلسفة، قدم رسالة الدكتوراه حول فكر ابن خلدون، وكذا الكثير من الأعمال التي لها علاقة بالتاريخ إما بشكل أدبي وإما بشكل علمي، و قد تكفي في ذلك إطلالة على الصفحة الاخيرة للرواية أولأي من كتبه لمعرفة توجهه الفكري واهتمامه. إن سؤالنا يتعلق أساسا بما يمكن أن يقود كاتبا كهذا إلى كتابة رواية عن ابن خلدون يعيد فيها إلى حد كبير، ما قاله في نصوص أخرى علمية مثلما رأينا أعلاه .

إن الملفوظ هنا، عبارة عن رواية تحمل في داخلها أصوات مختلفة نلمس منها صوت ابن خلدون التاريخي أما المستمع فهو متلقي الملفوظ الذي يمكن تعميمه وفي الوقت نفسه حصره في القارئ العربي الروائي حيث أن الإشتراك في السياق ذاته مطلوب وأساسي لتحقيق عملية الفهم بين المرسل والمتلقي في عملية التواصل وينطبق الأمر على الرواية حيث أن الإشتراك في تاريخ واحد يضم ابن خلدون ولغة واحدة تحمل دلالاتها الخاصة ومحيط واحد يجعل عملية الفهم ممكنة بين النص وقارئه. وحتى إن اعتبرنا النص نصا فحسب فهذا لا يلغي " قراءه المحتملين والذين هم اعضاء نفس المجتمع مبدئيا ، إذا ما عددنا عنصر التشارك اللغوي والتاريخي"[1]

4. <u>خطاب الرواية ونقد الواقع :</u>

يتعاضد كل من السياق الداخلي والخارجي لربط العلاقة بين رواية العلاّمة وبين الواقع العربي بشكل عام، لتقديم صورة ناقدة لهذا الواقع في أبعاده السياسية والإجتماعية والثقافية.

---

[1] -تودوروف، المبدا الحواري، ص92.

احتل تاريخ الإنحطاط الذي يمثل فترة انتكاس مثلى بالنسبة للكاتب المكانة الأولى في المتن الروائي: "أن نفكر في القرن الثامن الهجري تحديدا (الرابع عشر الميلادي)كمرحلة منتكسة في النشأة القروسطية لبلدان المغرب الحديث، معناه أن نفكرفيه أيضا كوعاء لآثار مستديمة ودالة,أو كدليل "أركيولوجي"تحوي معالمهعمقا تاريخيا من حيث إنها تظهر وتعمل في زمن متواتر أو ذي ديمومة مديدة"[1] ، ومنه يمكن فهم الرابط النقدي في جانبه السياسي بسهولة حيث أن اختيار مثل هذه المراحل كان استجابة لرغبة في البحث عن العمق التاريخي الذي جاء منه العالم الحالي[2] إذ يبرر كل الدارسين لفكر ابن خلدون اختياره لكون" دراسة التأليف الخلدوني لا يعني التخلي عن عصرنا الراهن بل أن نستغل الأفكار الخلدونية للتقدم بتحليل الأسباب العميقة لما يواجهنا من مشاكل خطيرة "[3]. فالربط بالحاضر قائم، إذا، فيما هو تابع لسياق النص الروائي وتابع لخطاب الرواية الذي يحاول كشف الأصول المرضية لعصرنا. إن النقد الأساسي يتوجه إلى الواقع السياسي الذي يعيشه العالم العربي المتقلب بين المناحرات الداخلية والتقوقع والإنهزام أمام الإكتساح الغربي وقد لا يبدو الأمر جليا منذ الوهلة الأولى، ذلك أن الرواية لا تخرج عن الإطار التاريخي، بمعنى أنها لا تستدعيه إلى حاضر آني، بل تذهب نحوه وتقدم من خلاله صورة لهذا الواقع الذي لم يتغير منذ عصر الإنحطاط، ونلمس ذلك من خلال تركيز ابن خلدون في الرواية على الجملة التالية كلما تعلق الامر بالجانب السياسي " الماضي أشبه بالآتي من الماء بماء " الجملة نفسها تمنحنا نقدا داخل الرواية للواقع في تاريخيته، وتعطينا بالقياس إلى سياق الرواية العام نقدا للسياسي الحالي حيث أن تشريح أي حكم سياسي منهار في بلدان المغرب الوسيط,يظهرعموما منطق سببية متشابهة ومتكررة[4] .

ويظهر هذا النقد دائما من خلال السياسي:" هذا المنطق أيها الأفاضل هو ما عليكم أن تعوه وتفهموه حتى تتمثلوا السياسة بما هي كائنة، لا بما يلزم أن تكون، وأن تناظروا فيها لا من حيث صفاتها المثلى في رؤوسكم وأحلامكم، بل من حيث طبائع العمران والمادة التي للأشياء، أليس كذلك يا ابن خلدون ؟"[5].إن اشهاد ابن خلدون على مثل هذا التحليل السياسي يحيلنا على فكرة اشهاد بنسالم حميش نفسه لهذه الشخصية التاريخية باعتبارها عارفة بخفايا المجتمع ومن خلال واقعها الخاص أيضا على واقع آخر هو الواقع الحالي وخاصة فيما يتعلق بالوطن العربي في مواجهة المد الغربي الذي يمثله في الرواية تيمورلنك الذي يمثل تبعات الهجمة المغولية في العهد نفسه والتي عاشها المشرق الإسلامي وانتهت بسقوط العاصمة بغداد في 1258م وقد تلى

---

[1] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ ،ص 13.

[2] - Voir Himmich , Penser La depression , p9.

[3] -المنجي الصيادي ، قراءة في كتاب " ابن خلدون" لايف كوست ، ص264.

[4] - voir himmich , Penser la depression ,p 9

[5] -الرواية،ص230.

ذلك العهد مباشرة فترة صراع طاحنة بين الأتراك والمغول حول المنطقة العربية، كان من أهم مديري رحاها، بايزيد الاول وتيمورلنك الذي لخصت الرواية من خلاله كل هذه الاحداث التي وإن عنت شيئا على المستوى السياسي لا على المستوى التاريخي فهو " زوال المشروعية العربية"[1]

وعليه، فإن كل ما انتجته الرواية من انتقادات تصب في هذا الإطار" عن السياسة الزمنية، وهي الأغلب والأطغى، فمحركها هو ما جرت به عادات التعلب والهيمنة، والمصالح الدنيوية المرسلة "[2] .

وليس الجانب الإجتماعي ببعيد عن هذا الجانب أو ربما كان من نتائجه السلبية "كان عند المناسبة يتحدث عن سوء معاش الناس وبذخ السلطان "[3] ، " ...فطارت حاملة الزيتون إلى الأفواه الجائعة على امتداد قطري "[4] . والأمر نفسه بالنسبة للبعد الإقتصادي الذي يصب في شريان السياسة المعتمدة داخليا وخارجيا:"توقعاتي – سحقا لها – لا تبعثني على التفاؤل والإستبشار ، وأنا أعاين من الأخبار ما ينذر بالسوء ويوطنه أمدا بعيدا .أرى موانئنا عرضة للإحتكار البراني ، ومناطقنا الحيوية سهلة على التغلغل الإفرنجي ، وأرى التشرذم بيننا مستفحلا والعجز متفشيا، فينكسر قلبي وأطلب اللطف من الرحيم الجبار"[5] ذلك أن الكاتب يعتبر تاريخ الفقر بمثابة " الوجه الآخر و"السلبي" لتاريخ الدول و الملوك الذي تكتظ به المجاميع والمصنفات "[6] والمهم هنا ، يكمن في تركيز الكاتب على مراكز بعينها تدور حول السلطان والجيش وعلاقة العالم بالسلطان و " قد يسألني نائب الحضرة: من أين يؤتى بالمزيد من المال وروافده معلومة لا تتعدد ؟ وهنا إن أذن مولاي أسدي النصيحة الأم [كذا] قلت : حذار ثم حذار من حلب الرعية المستضعفة واستكثار المكوس على أهل الحرف والحرث .حذار من تيئيس النفوس وإرغام أيدي الإعتمار على الإنقباض والكف .مصادر توفير العدة والعتاد ليست إلا في خزائن الأثرياء المتفنقين في الأبهة والبذخ.. "[7]، حيث أصبح الظلم الإجتماعي والقهر السياسي علامات مميزة للدولة سواء في النص الخلدوني [8] الذي يشبّه الظلم بالمرض المتفشي في أوصال الدولة، أو أو بين الدول الحالية.

تبدو علاقة النص بالمغرب كبيرة إذا ما نظرنا إلى الوضع الروائي من حيث المكان. فالعلاّمة، رواية مغربية، لكاتب مغربي، وهو ما يمكن أن يحيل على الكاتب نفسه في علاقته بالحكم، خاصة إذا أخذنا بعين الإعتبار ملكية الحكم في المغرب، مما يدعونا إلى القول بأن النص يحكي الواقع المغربي الحالي وكل البلاد العربية وما

---

[1] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص11

[2] -الرواية ، ص230.

[3] -الرواية ، ص25.

[4] -الرواية ،ص29.

[5] -الرواية ،ص62.

[6] -سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص 9.

[7] -الرواية،ص178.

[8] - انظر عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984،ص65/64.

العودة إلى التاريخ إلا محاولة رسم صورة كاريكاتورية عن هذا الواقع تخفي بعض المعالم الخاصة لما يعانيه المفكر العربي، وذلك من خلال " امتداد التاريخي في الواقعي من خلال مماثلها على الصعيد الإجتماعي والسياسي"[1] أومن خلال تغلغل الحاضر في الماضي عن طريق وعي الكاتب باللحظة وبالتاريخ أيضا وبمدى تقابلهما على مستوى الممارسات المرفوضة وهو ما يفسر سبب اختيار فترة انهيار المماليك من ضغوط تنفي حرية الإنتقاد للمقدس، ليس الديني في هذه الحالة بل السياسي.

يحدد الكاتب العمق التاريخي الذي أتت منه مشاكل الحاضر في فترة الضعف أو القرن الرابع عشر ميلادي:" اليوم أستخبر عما حولي وأرى الشواهد والقرائن ، فلا استنتج إلا ازدياد النخر في جذور الأخلاق والآداب ، والحضر على وجه العموم هم كما وصفتهم من قبل [يذكر بعدها مقطعا من المقدمة] أستنتج النكوص والوهن متفشين في قوام الدول الحالية ، هذه الدول التي صارت لا باع لها إلا في تسخير الناس بغير حق ..."[2] إن كلمة"اليوم" تحيل إلى مجتمع الرواية ، الذي و إن ضم التاريخ، إلا أنه مجتمع حديث نشأ في ظروف خاصة، فهو بالتالي مجتمع يرتكز على الحاضر حتى في قراءته للماضي. ومما يدل على الزمن الحاضر تسلل كلمات هذا الحاضر إلى الماضي الموغل في ماضوتيه لقد كان زمن النص مغلقا في تاريخيته إلا أن أهم ما يدل على تسلل الحاضر إليه لغة،ومن ثمة رؤية كذلك، هو حضور عناصر حديثة لا علاقة لها بالعصر الذي يرصده النص ويمثله دخول بعض العبارات التابعة لهذا العصر : " هذا ما لا أتبناه أو أدرجه في جدول أعمالي "[3] أو :"كسر دائرة التاريخ ذي الوقع الإنتكاسي "[4] وهي عبارات تنتمي إلى لغة العصر الحالي وإلى لغة لغة الكاتب التي تسللت إلى خطاب الشخصيات التي يفترض أن يظل خطابها تاريخيا حتى في لغته. وهي طريقة لا تخص نص العلامة فقط بل كذلك باقي نصوص الكاتب التي لها علاقة بالتراث .

- **مغربية ابن خلدون:**

لقد عاش ابن خلدون فترات طويلة في المغرب إلا أن الكاتب، رغم مغربيته أيضا، يعيد حياة ابن خلدون في شقها الخاص بتواجده بمصر وهو ما قد يبدو غريبا لولا التبرير السابق، حيث تستخدم مصر غطاء. ذلك أن اهتمام الكاتب بالمغرب كان كبيرا سواء على مستوى النص الفلسفي أو الروائي بشكل غير مباشر وإلا كيف يمكن تفسير سبب حرصه غير ما مرة على العودة للحديث عن السلطان المريني الذي حكم المغرب الاقصى (1348-1358م) و الذي بدأ حكمه بعملية استيلاء على عرش سلفه، بل وبجريمة في حق الأب.

---

[1] -سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي،ص

[2] -الرواية ،ص53.

[3] -الرواية ،ص45.

[4] - الرواية ، ص52.

بالمقابل، استبعدت الرواية ذكر أي من تونس و الجزائر رغم ان ابن خلدون قضى، " 24سنة من حياته في تونس و 26منها في المغرب الاوسط والاقصى والاندلس و24 سنة في مصر والشام والحجاز "[1]، وأصرت على مغربية ابن خلدون الضيقة التي ينتمي إليها الكاتب.

وتظهر مغربية ابن خلدون منذ الصفحة الأولى للرواية ، التي تركز على البرنس المغربي كانتماء ثقافي سواء على مستوى التصدير أو على مستوى المتن الروائي، والذي يصر ابن خلدون على البقاء به مخالفة لزي قضاة مصر:"من حلقات هذا العصر جلوس عالمنا ببرنسه المغربي ..."[2]. ولا يقف التأكيد على وفاء ابن خلدون للمغرب عند حدود البرنس بل يتعداه إلى البيت الذي يمثل البيئة الخاصة للفرد : "كانت لقاءات عبد الرحمن بكاتبه تتم غالبا في غرفة مكتبه بمنزله المتواضع، مكتبه الذي أثثه على الطريقة المغربية ..."[3] وكذا تناوله للشاي "بعبات مصفرة على الطريقة المغربية"[4]
يمكن أن نضيف إلى ذلك دخول الشخصيات اللامرجعية التابعة للرواية والتي كانت في مجملها شخصيات من المغرب و من مدينة فاس تحديدا، و على رأسها شخصية" حمو الحيحي"، الذي يحيل إسمه على اسم معروف في المغرب :" أرغان الحيحيين وعسلهم وإباؤهم وذكاؤهم أمور مهمة ..."[5] ، وأم البنين زوجة ابن خلدون ...إلخ
كما سيطرت* على النص اللهجة المغربية التي جاءت خاصة على لسان أم البنين، باعتبار مستواها العلمي البسيط حيث حملت اللهجة وعي الشخصية وانتماءها مثل بقية الشخصيات، المرجعية منها واللامرجعية ،و التي تتحدث كل منها لغة، " مناسبة لوضعها الإجتماعي و لمزاجها ، مما يضمن للرواية، تعددا لغويا "[6]، مضيفة مضيفة بذلك تعددا آخرللرواية على مستوى الصوت .
و نظرا لأهمية اللهجة المغربية، نورد معظم ما ورد في الرواية في الجدول التالي:

المقطع	الصفحة	كيفية وروده
" ...فأضطر إلى الرجوع إلى بيتي حتى لا يقال الكلام القبيح عن المغربية بنت صالح التازي"	13	على لسان أم البنين أثناء لقائعا الاول بان خلدون قصد الإفتاء بينها وبين زوجها الحيحي

[1] -أبو خلدون ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ،طبعة موسعة،دار الكتاب البناني ،بيروت ط31967.،ص45.
[2] -الرواية ،ص7.
[3] -الرواية،ص25.
[4] -الرواية،ص52.
[5] -الرواية ،ص72.
* كلمة السيطرة هنا لا تخص الرواية كلها، فالمقصود طغيان اللهجة المغربية مقارنة بغيرها من اللهجات ، وإن كان حضور اللهجة في كليته ضعيفا في النص لاعتماد الرواية على اللغة الفصحى .
[6] -برنار فاليط ، النص الروائي، ص24.

فاعفيني بجاه مولاي إدريس	17	على لسان حمو الحيحي، في حوار الثلاثة ، ابن خلدون ،الحيحي وام البنين.
كيتوو يشويني فيه	18	دعوة ام البنين على احد القضاة ، في نفس الحوار
ويلي مولاي يعطيه اللقوة	18	دعوة ام البنين على احد القضاة ، في نفس الحوار
خلاص طاحت وجبرناها	18	على لسان ابن خلدون في نفس الحوار
نيّتي يا مومو حتى يطيب عشاء موُّ ويجي بّاه من الجنان ويجيب له خوخ ورمان	89/88	على لسان أم البنين عند طلبها من ابن خلدون أن يدعو لها بالإنجاب في حجه
شكون يكون	115	على لسان سعد أخ ام البنين

ويبدو من خلال الجدول، أن الكاتب استخدم اللهجة المغاربية فقط، بالرغم من أن أحداث الرواية تدور في مصر. إذ لم نعثر على استخدامات للهجة المصرية، كما أنه جعل ابن خلدون يتحدث تلك اللهجة مع المغاربة ويحاورهم بها. و إن عبرت هذه اللهجة عن مستوى أم البنين، فإنها ،بالنسبة لابن خلدون، لا تتعلق بالمستوى بل بالانتماء .

كما أن حضور المغربية يتعدى اللهجة إلى زواج ابن خلدون بامرأة فاسية وقراره الرحيل بصحبتها إلى فاس: " كنت كل يوم أقضيه في حمى حرمي ، أكد في إخلاء ذهني من شعور الإقتراب من نهاية محتومة ، وكانت هي لا تفتر تذكر ابنتنا وتشويقي إلى فاس ويسر العيش فيها ."[1] ولم يثنه عن ذلك سوى مرضه وموته المفاجئ بحيث كانت العودة إلى المغرب رغبته الأخيرة:" في مطلع ذي الحجة كان محمل متاعي من الكتب واللباس مهيأ للنقل، وفكرت في استئذان السلطان في الحج ونيتي أن أرجع منه إلى المغرب على وجه السرعة والتخفي.غير أن الرياح جرت بغير ما اشتهيت، إذ ألزمتني وعكة صحية الفراش من دون رأفة ولا سبق إنذار"[2].وبالتالي يركز الكاتب على مغربية ابن خلدون وإن كانت مصر هي الفضاء الذي يضم الرواية .

وبما أن ابن خلدون في الرواية يحمل وعي الكاتب فإنه يحمل أيضا انتماءه مما يؤدي أيضا إلى اعتبار مصر، و الحالة هذه، مجرد فضاء بديل عن الفضاء المغربي المراد الذي لا يمكن أن يتم التطرق إليه بمثل هذه السهولة مما يضاعف الإحالة على الواقع الحالي ومن ثمة خطورة المزلق السياسي. وما يضاعف هذه النتيجة انعدام المسافة بين الكاتب وتاريخه الذي يفترض أن تفصل بينهما مسافة هي من حق التاريخ، حيث ينعدم الفاصل زمنيا بالنظر إلى العصر المستعاد، ومكانيا، بالنظر إلى

[1] -الرواية،ص247.

[2] -الرواية،ص247.

مكان الأحداث الواقعة في المشرق الإسلامي بشكل عام والتي تجعل الكاتب المغربي يكتب تاريخ الآخر نسبيا رغم انه يكتب تاريخه الخاص، وهو ما يحدث لكتابة تعاني القمع، الذي قد يشترك في التعرض إليه الروائي والمؤرخ على حد سواء[1].

إن التغطية التاريخية على واقع لم يتغير كثيرا، قد لا تكون سببا كافيا ليوضع ابن خلدون موضع الجدار الفاصل بين الزمنين. إلا أن الكاتب لم يقحم هذا المؤرخ بل استدعاه لضرورة موضوعية تفرضها مكانته ذاتها، لقد حاول الكاتب بحكم اهتماماته بالفلسفة والتاريخ أن يحلل الوضع العربي وبالطريقة نفسها اهتم ابن خلدون حصرا بالأسباب الناجمة عن طبيعة الامور رغبة منه في التحليل لا في الوصف والتوصيف،" لقد أسمى كتابه الأساسي[...] العبر وهل أراد أن يعلم رجالات السياسة، من خلال عبر الماضي كي يتجنبون العقبات ويصححون الأغلاط التي غالبا ما تحكم بالفشل على كثير من المشاريع المحلية "[2] وعليه يمكن النظر إلى الكاتب من الموقع نفسه واعتبار تاريخ ابن خلدون العام و الخاص عبرا ماضية لتصحيح الواقع الحالي الذي يحتكم للظروف والأزمات نفسها : "يظهر أننا لا نخرج من دائرة متأزمة إلا لنلج أخرى.إن ما يعاكس إذن,حسب ما يبدو جليا,كل صحوة أوانتفاضة حيوية أو كل محاولة إصلاح حازمة هو دائما البلاء العضال نفسه, وإن اختلفت أشكاله وأحجامه,والمتمثل في التمزقات السياسية القائمة بسبب غياب جيوش وطنية قارة,كما فيتراكم المآزق الاقتصادية والمالية المزمنة.وكلها عوائقأمام كل تقويم عقلاني ممكن,كذاكالذيحاول محمد الثالث إجراءهبتيسير تعدد المراكز الإدارية و التسييرية(أي ما يسمى اليوم باللامركزية),وأيضا بربط سير الجباية الحسن لا بقوة الجيش,بل بحقوق المكس على التجارة الخارجية, الموانئية والبحرية.وقدلعبت هذه السياسة دورا تلقينيا في مراودة بعض وجوه الحداثة خلال تاريخ مغرب النصف الثاني من القرن الثامن عشر,ولو أن الضغوطات الخارجية والصعاب الداخلية عاكست استمراريتها.وهكذا أتى الاستعمار الأوروبي لتعقيد المآزق المغربية وإستغلالها لفائدة اشعاعه وقوته,و ذلك من خلال مسار معلم بثلاثة تواريخ كبرى:مؤتمر مدريدفي 1880,اتفاقية الجزيرة الخضراءفي 1906,وأخيرا توقيع مولاي حفيظ على معاهدة الحماية الفرنسيةفي 30مارس 1912."[3] ولا أدل على مثل هذه التعليقات بلسان الكاتب على العلاقة الوطيدة بين السياسي الآني وبين السياسي التاريخي سواء في تاريخيته المطلقة، التي يمثلها تاريخ ابن خلدون، أوفي تاريخية الرواية التي رأينا أنها لا تختلف كثيرا عنها :"إن تجاوز الخلدونية,بعيدا عن لغو الكلاميات الجديدة,رهين بتجاوز زمنيتها,أي زمنية الانتكاس و الانهيار التي اجتهد ابن خلدون في رصد وتحليل عقدها وعلاماتها الدالة البارزة.ولن يحصل ذلك التجاوز إلا بالعمل والفعل على صعيد الرواسب والبقايا القروسطية الثاوية سلبا في

---

[1] -انظر واسيني الأعرج ، الرواية التاريخية ، ص10.

[2] -عبد الله العروي : ابن خلدون وماكيافيلي ، دجار الساقي تر: خليل احمد خليل ، ط1990،1،ص30.

[3] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص161/160.

وجودنا الحاض.وبالتالي, فإن على كل من ادعى ذلك التجاوز أن يبرهن,بالحجة الملموسة,على أن هذا الوجود صار اليوم اجتماعيا وسياسيا في حل أولا من تواتر الاستبداد واستمراره بأشكال أكثر تفننا وإتقانا وخفاء, وثانيا من حكم القبيلة والعصبية وتجلياته في التركيبات الحزبية كما في نظام الزبونية والمحسوبية واستغلال المواقع والنفوذ,وعلى ذلك المدعي أيضا في حقل الثقافة أن يقتنع ويقنع أن فكرنا المغربي والعربي إجمالا قد صفى حسابيه مع ما يجوز لنا تسميته بثقافة البداوة أو الندرة والكفاف,وانتقل حقا إلى ثقافة التحضر والثراء المعرفي والإبداع."[1] وقد يتشارك هذه الرغبة والتطلع إلى رسم صورة واضحة عن الحاضر من خلال الماضي العديد من كتاب الرواية ، إذ نجد جيمس رستن James Reston يقول فيما يخص علاقته بالكتاية التاريخية :" لست أهتم بالتاريخ لاجل التاريخ، ولكن بالتاريخ الذي يعلمنا شيئا عن العالم الذي نعيشه اليوم" [2].

وبذلك تكون الرواية قد قامت بعملية استنطاق للواقع المعيش وتنديدا بما يكبله في مقابل التاريخ الذي يحاصره التشيع والرقابة سواء تاريخ الماضي، أو الحاضر.

5. الجنس الروائي والروابط الفنية لكتابة التاريخ

لم يحدث تاريخ ابن خلدون الذي عرضه نص العلامة قطيعة مع الجانب الفني للنص، رغم انتاجه أبعادا هامة على المستوى الإيديولوجي و النقدي. حيث ظل النص بالنسبة لمتلقيه كما يحدده المؤشر الجنسي رواية. ويمكن أن تدخل كل التلاعبات التي مارسها النص الروائي على النص السابق ، في إطار قدرة الرواية على الإمتصاص والتحويل. أي على أن تنتج لغتها الخاصة من لغة تمتلئ بكلمات الآخرين وهي ميزة الناثر عموما والناثر الروائي بشكل خاص.حيث يتأكد كما يقول سعيد يقطين " ان النص الروائي وهو يستوعب بنيات نصية عديدة ومختلفة، زمنيا وخطابيا ونوعيا كيف أنه ينتجها من جديد ، من خلال منحه إياها دلالة وأبعادا مختلفة عن التي تكتسبها في سياقها. وهو بذلك يقدمها كعناصر بنيوية تساهم في عملية بنائه وتكوينه "[3]

يرجع ميلان كونديرا السبب الوحيد لوجود رواية، هو أن تقول شيئا لا يمكن أن يقوله سواها [4] ولذلك فواقع الرواية يبقى واقعا خاصا لا تنتجه إلا هي، حتى وإن اعتمد هذا الواقع على عالم خارجي حقيقي، فهو يتشكل داخل الرواية تشكلا خاصا يمنحه خصوصية ونوعا من الإنفصال عن الواقع الذي يمثله. ولا يمس هذا المنطق

---

[1] المرجع نفسه ،ص164

[2] -جيمس رستن ، الرواية والتاريخ ، ندوة الرواية والتاريخ ، ص50.

[3] - سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ،ص128.

[4] - ميلان كونديرا ، فن الرواية ، ص39.

الذي يتحكم بالعالم الروائي الجانب التاريخي فحسب بل نراه يتدخل في أقصى حالات الإرتباط بما هو واقعي، ونعني بذلك السيرة الذاتية .[1]

لقد خلخلت الرواية يقينية التاريخ واستطاعت اخضاعه لقانون آخر نسبي وواسع شكل وجوده نهاية عاد من خلالها إلى الماضي ليسطر مساراته وتعرجاته إلا أن الرواية جاءت لتنطلق من اللحظة النهائية التي تحولت إلى ماض بدورها وتكمل عملية التخطيط والإعتبار من السيرورة الزمنية والبشرية قائلة ما لم يقله التاريخ لأن الفكرة الأساس في الرواية التي يريدها الكاتب هي إعادة كتابة التاريخ بشكل مغاير للتاريخ الرسمي العقيم [2]

اعتمد النص على شخصيات التاريخ في بناء الرواية، وكان ابن خلدون شخصيتها المرجعية الأولى. و لا نكاد نميز بين ابن خلدون كشخصية وابن خلدون التاريخي لما بينهما من تداخل من حيث استخدامات الكاتب للتاريخي إلا أن ذلك لا يعني أنه يعيد استنساخ هذا التاريخ إنما يطوره إبداعيا ضمن شروط جديدة. وقد أعطت هذه الشخصية وجهة نظر معينة عن العالمين التاريخي و الحاضر من خلال إعادة التشكيل هذه التي يخضع لها النص التاريخي، ومن ثمة الشخصية التاريخية، حيث يكمن دور هذه الشخصية أساسا في " إرساء نقطة المرجعية المحيلة على النص الثقافي والإيديولوجي "[3] وتشارك في ذلك باقي الشخصيات التي كان لها مرجع في النص التاريخي. أما ما عداها، أي الشخصيات التي تنتمي إلى النص الروائي لا غير، فهي شخصيات تضطلع بدور آخر يكمن في "ربط أجزاء العمل السردي بعضها ببعض "[4] ، ومنه إقامة الروابط التي لا يستطيع التاريخ إنشاءها .

بإمكاننا القول إننا إزاء رواية تتخذ مما هو تاريخي دعامة لها و أساسا ترتكز عليه، لكنها مع ذلك تعالجه بفكرة حديثة.ينطلق هذا التحديث من داخل الرواية ومن داخل التاريخ أيضا حين يضع الكاتب الشخصية الرئيسية جل الحدث التاريخي ولكن بصورة مغايرة للتاريخ من خلال الرؤية المباركة حينا والمناقضة أحيانا كثيرة، وهو ما يجعل هذه الرؤية رؤية يتحكم فيها فاصل مهم هو الفاصل الزمني والفكري الذي مارس حضوره بقوة وجعل منظور الشخصية الروائية مغايرا لمنظور الشخصية التاريخية وإن كانت بالنسبة إليه المبدأ والمنطلق. و لا يتحكم هذا الفاصل في الرواية التاريخية فحسب، بل نجده حتى في الرواية السير ذاتية التي يفصل فيها بين الشخصية وبين الشخص أو بين أنا الساردة وبين أنا المسرودة بتعبير جنيت عامل السن والتجربة [5] .

---

[1] - Voir; Todorov , Principe dialogique, p83.

[2] - Voir himmich, Penser la depression , p9.

[3] -فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيا ت الروائية ، من مقدمة المترجم سعيد بنكراد، ص09.

[4] -فيليب هامون ، ص9.

[5] -جيرا جنيت ، خطاب الحكاية ، ص262.

إن العلاقة بين العلاّمة كنص روائي وبين التاريخ علاقة معقدة تخفي أكثر مما تعلن ولكنها تنطلق من بحثها في عمق الماضي من تحليل قريب ينتمي إلى الحاضر، و قد يكون الدليل على ذلك [حتى لا يبقى الكلام مجرد انطباعات دون أدلة] تحول النص العلمي إلى رواية، ذلك بغية تحقيق قراءة أوسع بالنظر إلى محدودية قراء النص العلمي. في الوقت الذي تستقطب فيه الرواية عددا أكبر ومستويات مختلفة من القراء،خاصة وأنها تملك إمكانات الإيهام ، والتحويل لما هو موجود ومعطى سلفا وأهم من ذلك أنها قادرة على الوقوف عند الحواف التي يصعب على التاريخ الوقوف عندها.

تعود جل كتابات بنسالم حميش إلى التاريخ لتنتقي مادتها الأدبية حيث يمثل التاريخ بالنسبة إليه "ذاكرة ومرجعا وتعريفا لظهوره في العالم "[1] ، مما يدفعه للمضي إلى وثائق التاريخ دون أن تشكل هذه الأخيرة عبئا على العمل السردي، بحيث لا تمثل التاريخ كما كتبه المؤرخون بل التاريخ كما قرأه كاتبه الجديد وكما أعاد تشكيله في حلة اجتماعية ومحيط حي ، وقد يكون هذا من أهم الفروق بين الرواية والتاريخ ، حيث تعيد الرواية أنسنة الحدث الذي يموت بدخوله غمار التاريخ .فالمؤرخ لا يهتم بأولائك الذين يمنحهم اماكن في كتبه إلا من حيث كونهم فاعلين في الحدث، ومع الفواصل الزمنية والتقادم تصبح هذه الأحداث ومديروها مجرد عالم قد يبدو لنا غير قادر على أن يوجد خارج التاريخ. تأتي الرواية إذا لتعيد بعث هذه العوالم الميتة من خلال إيجاد مقابلات حية لها على مستوى المتخيل قد لا تكون نفسها ولكنها توازيها. وقد رأينا كيف أن شخصية مثل ابن خلدون الذي لم نعرف عنه إلا نتاجه الفكري و الذي لم تسعفنا سيرته في معرفة الكثير عن حياته الخاصة واهتمت[كمعظم السير في العالم العربي إلى اليوم] بسيرته السياسية إن صح القول، منحته الرواية حياة أخرى تسير وفق استراتيجية جديدة ولكنها أنسنت النص، تقول فريال غزول إحدى أعضاء لجنة التحكيم لجائزة نجيب محفوظ التي فاز بها نص العلاّمة العام 2002 :" [تحوي الرواية] جوانب مهمة من حياته [ابن خلدون] تشمل أحزانه وأفراحه وتنطوي على مواقفه من المراة والعلاقة بين الجنسين أو أن ابن خلدون ذلك الرجل المهيب والنائي قد أنسنته رواية العلاّمة وتمثلته شخصا من لحم ودم"[2] .كما أن البعد الزمني تغير من حيث التماهي الزمني داخل الرواية، بعكس الزمن التاريخي "وكأن الكاتب الروائي(سالم حميش)أراد أن يري المؤرخين كيف ينبغي لهم أن يكتبوا التاريخ، برؤية ممتدة,وبتشكيل روائي عميق الأثر,ويترابط بين الأبعاد ليس فيه تفكك أو بعثرة."[3]

---

[1] -عبد الرحمن العلام ، سؤال الحداثة في الرواية المغاربية ، إفريقيا الشرق1999المغرب، ص68.

[2] -- القول مأخوذ من الموقع .www.arabrenwal.com

[3] عبد الرحمن ياغي البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربية ص224

ولأن كل شيئ يتحول بالنسبة للكاتب إلى تراث [1] فرواياته تعبق بهذا الإرث التراثي ليس بحضورها داخل النصوص فقط بل بقائمة تمثل مصادر اعتماده التاريخية وهو ما نلحظه بشكل خاص في روايته الأولى"مجنون الحكم" التي أحال قارئه فيها على مجموعة من الكتب التي أرخت لدولة الفاطميين وللحاكم بأمر الله وظل الهاجس الأول فيها هو التاريخ كموضوع وكمفهوم : " هل التاريخ في عرفك إلا أعراس وولائم تقام ، وأشرطة رمزية تقطع ، وسجلات ومراسيم تكتب وتختم "[2]، غير أنه غير من هذه العادة في نصوصه الأخرى، بداية بمحن الفتى زين شامة" التي قبعت مصادرها في الظل دون ان تخسر مكانتها في المتن وإن لم تكن مصادر تاريخية فقط بل انفتحت على موروث فكري وقصصي ثري. الأمر نفسه يحدث في نص العلامة الذي لم يأت فيه ذكر أي قائمة لمصادر التاريخ التي اعتمدها النص ولكن النص في حد ذاته كان قادرا أكثر من أي نص آخر على التصريح عن مصادره باعتبارها تشكل نصه السابق الذي حضر بشكل صريح ومعلن ،إذ أن النص لم يبخل بذكر مصادره وذلك داخل المتن الروائي ذاته، حيث أنه لم يقم باعتماد التاريخ فحسب بل قام بمحاورته لتكون العملية النقدية نتيجة ذاك الحوار.

لقد اعتبر الغرب نتاج ابن خلدون الفكري وعلى رأسه المقدمة من قبيل فلسفة التاريخ التي :" تبحث في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية ، فتسعى لإكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير الوقائع التاريخية ، وتعمل على استنباط القوانين العامة التي تتطور بموجبها الأمم والدول [...] ونستطيع أن نقول : إن البذور الأولى لفلسفة التاريخ قد ظهرت في الكتب الباحثة عن السياسة المدنية "[3]
ولأن جل نتاج حميش يبحث خلف التاريخ عن الأسباب والنتائج، يمكن القول إنه يصب في عمق فلسفة التاريخ "إن فلسفات التاريخ التي يظهر أنها تحظى اليوم بقبول المنظرين وكذلك المؤرخين المحترفين هي تلك التي يتمكن أصحابها من خلق وإدارة جدلية خصبة وعلاقات معاضدة ومراقبة متبادلة بين عناصر هذا الثالوث:الحدث/الحديث/الفكرة."[4]
يركز حميش على الجانب العالم في ابن خلدون وينتقد جانبه السياسي حتى أنه اختار عنوان العلامة، كصفة مميزة لابن خلدون دونا عن كل التسميات التي عرف بها، كما أنه يستخدم في كتاباته هذا التراث العالم الذي يمكن أن نقول عنه إنه التاريخ بعكس بعض الكتاب الذين يعودون إلى التراث الشعبي. مما يجعل الفرق واضحا من حيث تداعيات المعطى اللغوي على الرواية وخلق تنويعة جديدة قد يكون من صفاتها هذا الجانب العالم أيضا. قد يكون إنشاء رواية ذات خطاب يبحث في عمق التاريخ عن إجابات لمشاكل الحاضر بالنسبة للكاتب، أحد الغايات التي تكتب من أجلها الرواية وأحد أوجه التماثل بين الواقع والمتخيل :"إن تماثل الواقع والمتخيل هو ما

[1] -انظر عبد الرحمن علام ، سؤال الحداثة في الرواية المغاربية ، ص69.
[2] - سالم حميش ، مجنون الحكم ، دار الريس،ط1990:1.ص217.
[3] -أبوخلدون ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ،ص171.
[4] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص14

دفع مايكل نيرلش، في كتابه"ايديولوجيا المغامرة"إلى قراءة مسار كروزو بفلسفة جون لوك(1632-1704),وأن يرى في الرواية كتابة أخرى لخطاب فلسفي برجوازي بامتياز."[1] ويمكن قول الشيئ نفسه عن الرواية التي قامت بقراءة الوضع العربي على وجه التعميم بفلسفة ابن خلدون التاريخية .

وانطلاقا من هذه المعطيات، هل بإمكاننا القول إننا أمام رواية يصعب فيها الوقوف أمام تسمية رواية تاريخية. لأن ثمة فرقا قويا بينها وبين نتاج الرواية التاريخية العربية التي تعودناها، لقد أنتج حميش نصه حول الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ أو مشروع قراءته الفلسفية لتاريخ ابن خلدون كنص روائي يتقاسم فيه الفكر مع جمهور روائي، كما ان الشخصية لا تكتفي بدحض أقوالها التاريخية [على أساس أنها تمثل هذه الشخصية الأساسية]، بل وتسهب في تحليل الموقف وملابسات الحكم ومعطياته ونتائجه ، يقول حميش " المطلوب اليوم هو أيضا توسيع دائرة الاهتمامات التاريخية إلى عصورنا الوسطى بكل فتراتها ومددها,مع إسناد هذا التوسيع إلى عقلية تاريخية جديدة فاعلة"[2]"
لقد خلقت هذه الفلسفة تنويعة داخل الرواية تجاوزت الرواية التاريخية كما كتبها جورجي زيدان، وصارت في طريق الكتابات المسائلة التي تنقب عن الحقيقة وتطعن في قداسة الماضي والحاضر.

* * *

وعلى سبيل التلخيص، يمكن القول إن نص العلامة الروائي قام بإعادة كتابة نص ابن خلدون التاريخي كتابة تضمنت شروطا أخرى غير شروط التاريخ أدخلت بنيتها ضمن الكتابة الأدبية والروائية تحديدا، وقد شكل حضور التاريخ بشكل قوي ومعلن نوعا روائيا يحرف الرواية نحو صفته ويجعل منها رواية تاريخية ، إلا أن ما يميز هذه الرواية أنها لم تبق وفية لهذا التاريخ وإن لم تغادره مطلقا، وإنما حاورته وساءلت بنياته، وألغت بعض قوانينه وشرعت قوانين أخرى. ذلك أنها -كرواية - كانت تتوق في عودتها لكتابة ابن خلدون إلى نقد هذا التاريخ من داخله، وهو النقد الذي قدمته على لسان الشخصية الأساسية مما زاد من تعقيدها على مستوى ارتباطها بنص ابن خلدون التاريخي.
كما قدمت الرواية من خلال الواقع الروائي في تاريخيته فكرة عن الواقع الآني الذي لا نجد إحالة مباشرة عليه إلا إحالة الرواية في حد ذاتها من خلال الوضع العام الذي تتموقع فيه كخطاب، حيث يرى الكاتب أنه " أمام عتو "الإديولوجية " أو تفشي "الكلاميات المرسلة، قد يكون الإعتراف بعلم التاريخ كمصدر، بحث و احتكام، هو المنفذ الأفضل لتقوية الفكر على فهم و استيعاب الواقع، و من ثمة على مواكبته و محاولة التأثير فيه "[3]

[1] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص20
[2] سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ص10.
[3] -سالم حميش، الخلدونية في ضوء فلسة التاريخ، ص 7.

ومن ثمة فإن اعتماد ابن خلدون لإقامة نص الرواية لم يقم من فراغ بل استند إلى ركيزة أساسية تهدف إلى إعادة النظر في المسار العربي ومنتهاه الحالي والمستقبلي، وذلك وفق آلية لغوية واسلوبية خاصة تمثل في حد ذاتها غاية أدبية جديدة، هي الرواية .

خـــاتمة

لقد حاول هذا البحث أن يتتبع مسار العلاقة التي ربطت نص العلاّمة باعتباره نصا روائيا بنص ابن خلدون الذي يمثل التاريخ، ليسفر هذا التتبع عن النتائج التالية :

- تعد رواية العلاّمة رواية متعددة الصوت، وما يدخلها هذا الإطار هو الجنس التاريخي الذي دخل بنيتها، وأضفى صوتا آخرعليها غير الصوت الروائي، هو صوت التاريخ .

- شكل هذا التخلل التاريخي للرواية، دعامة أساسية استند عليها النص، وجعله يمثل نصا سابقا يحضر بشكل صريح ومعلن، قام النص الروائي بتحويله، لينتهي بدوره إلى نص لاحق له.

- تبدى النص التاريخي بدءا بأول صفحة وهي صفحة الغلاف التي حوت عنوان الرواية المتقاطع مع النص الخلدوني أو العالم الخلدوني بشكل عام. كما أحال على التاريخ من باب طريقته في العنونة التي ميزت النص التاريخي الخاص بابن خلدون، والأمر نفسه لمسناه على مستوى العناوين الداخلية والتصديرات.

- في تعامل الرواية مع الشخصية، وجدنا أن النص قام باستعادة الشخصية التاريخية وتغيير مسارها لتصبح قابلة لدخول العالم الروائي بكل أبعاده والتخلي عن التاريخ رغم بقاء هذا الأخير مرجعيتها الخارجية .

- إن استعادة الرواية لما هو تاريخي وبناءها لعالمها الخاص انطلاقا منه، لم يكتف بالعودة كهدف وغاية بل كوسيلة أيضا، مكنته من التسلل إلى هذا التاريخ بغية نقده من الداخل.

- كما أن انتماء الرواية إلى الحاضر يقدم من خلال الواقع الروائي في تاريخيته فكرة عن الواقع الآني الذي لم يتغير كثيرا منذ ابن خلدون الذي يمثل عصره عصر الهزات التي لا نزال نعاني ارتداداتها إلى يومنا هذا .

- وقد شكل حضور التاريخ بشكل قوي نوعا روائيا يحرف الرواية نحو صفته ويجعل منها رواية تاريخية، غير أن هذا النوع لم يبق حبيس كتاب التاريخ آخذا إياه كمسلمات، بل قام بمساءلته وتحريك يقينياته التي استجابت لهذه الممارسات، مما أدى بنا إلى القول بأن حضور التاريخ في هذه الرواية لم ينشئ نوعا تاريخيا فحسب بل نوعا من فلسفة التاريخ كتنويعة جديدة . ولن

نجرؤ على القول بتأسيس هذه الرواية لهذا التنويع لأن التأسيس يتطلب دراية أوسع من حدود قراءتنا البحثية الحالية ولكننا نكتفي بالقول إن الرواية تنتمي إلى تحريف جديد للرواية التاريخية قطعت سبيل جورجي زيدان وتجاوزت تقنينه لا على مستوى البناء الروائي فحسب، بل على مستوى العلاقة بالتاريخ.

يمكننا القول بشكل عام أن النص الروائي أعاد كتابة ما هو تاريخي لكن هذه الإعادة لم تكن استنساخا بل تقنينا آخر لهذا التاريخ هو قانون الرواية الذي أعطاها الحق والقدرة على ممارسة كل التغييرات الممكنة عليه.وهو التغيير الذي شكل نصا جديدا أعطاه عنصر التخييل الذي فتح عالما خاصا، صفة رواية وأبعده عن أن يظل تاريخا. فنص العلامة لم يتنصل من سطوة التاريخ على كل مستوياته إلا أنه أعاد تشكيل هذا التاريخ ضمن شرط خاص هو شرط الرواية .

يبدو أن هذا البحث قد طرح أسئلة أكثر مما أجاب على إشكاله الأساسي وهي الأسئلة التي ولدتها عملية البحث خلف الأجوبة المتوصل إليهاعن جوانب تبقى عصية على الإفصاح في النص الروائي، حيث لا يزال السؤال الجوهري حول انتاج الرواية لتاريخ مواز للتاريخ الرسمي قائما لقصور دراسة تتناول رواية واحدة عن تقرير حكم كهذا، وهو ما يفتح المجال لبحوث أخرى تسير نحو أفق أكثر سعة وقابلية للإجابة، بعد أن تحولت هذه الأفكار من سؤال نتج عن قراءة رواية إلى هاجس بحثي لا يكتفي بحدود هذا العمل .

* * *

ثبت المصطلحات

(فرنسي-عربي)

A

Action	فعل
Addition	إضافة
Allographe	غيري
Allusion	إيحاء
Amplification	توسيع
Analepses	لواحق
Anachronies	مفارقات زمنية
Architexte	جامع النص
Architextualité	النص الجامع
Aditeur	مستمع
Augmentation	إضافة
Autohypertextualié	تعالق ذاتي
Avant texte	ما قبل النص

B

bricolage	الترقيع

C

Cadre spatio-temporel	إطار زمكاني
Censure	رقابة
Citation	إستشهاد
Concision	إيجاز
Condensation	تكثيف
Contexte	سياق

D

Devalorisation	إلغاء القيمة
Dialogisme	حوارية
Dialogisme interactionnel	حوارية تفاعلية
Dialogisme intertextuel	حوارية تناصية
Discours	خطاب
Distance	مسافة
Dramatique	درامي
Dramatisation	تشكيل درامي
Durée	مدة

E

Elogage	تشذيب
Emondage	تشذيب
Enoncé	ملفوظ
Enontiation	تلفظ
Epigraphe	تصدير
Epitexte	محيط نصي خارجي
Expantion	إسهاب
Expurgation	بتر تهذيبي
Extension	تمطيط

F

Formel	شكلي
Frequence	تواتر

G

Genre	جنس
Genre(intercalé / incorporé)	جنس مدرج

H

Hypertextualité	التعالق النصي
Hypertexte	نص لاحق
Hypotexte	نص سابق

I

Imitation	محاكاة
Indices contextuels	إشارات سياقية
Intermodal	مابين الصيغ
Intramodal	داخل الصيغة
Intertexte	تناص

L

Lecture relationnelle	قراءة علائقية
Locuteur	متكلم

M

Metalinguistique	ميتالسانية
Metatextualité	ميتانص
Metaphorique	استعاري
Microdialogue	حوار مصغر
Mode	صيغة
Motivation simple	تحفيز بسيط
Mot d’autrui	كلمة الغير
Mot plein	كلمة مليئة

N

Narratif	سردي
Narrativisation	تشكيل سردي

O

Objet	موضوع
Objectivisme abstrait	نزعة موضوعية مجردة
Ordre temporel	تنظيم زمني

P

Paratexte	محيط نصي
Paratextualité	نص محيط
Paratexte auctorial	محيط نصي خاص بالمؤلف
Paratexte editorial	محيط نصي خاص بالناشر
Parole	كلام
Péritexte	محيط نصي داخلي
Participants	مشاركون
Personnages historiques	شخصيات تاريخية
Personnages referentiels	شخصيلت مرجعية
Plagiat	سرقة أدبية
Prolepses	سوابق
Prosateur	ناثر
Prosification	تشكيل نثري

R

Reduction	اختصار
Representation	تمثيلات
Roman homophonique	رواية احادية الصوت
Roman polyphonique	رواية متعددة الصوت

S

Semiologie	سيميولوجيا
Seuils	عتبات
Situation	وضع
Subjectivisme individualité	نزعة فردانية ذاتية
Substitution	استبدال
Substitution des motifs	استبدال حوافز
Suppression	حذف

T

texte	نص
Titrologie	عنونة
Titres rhematiques	عناوين تجنيسية
Titres themtiques	عناوين موضوعاتية

Transcendance textuelle	عبر-نصية
Tansformation	تحويل
Transformation semantique	تحويل دلالي
Transformation serieuse	تحويل جاد
Transgenerique	عبر-جنسية
Translation	ترجمة
Tran-linguistique	عبر-لسانية
Transmodalisation	تحويل صيغي
Transtextualité	عبر – نصية
Transvalorisation	تحويل قيمي

V

Valeur	قيمة
Valorisation d'un personnage	تقييم شخصية
Variante	تنويعة
Versification	تشكيل شعري
Voix	صوت

ثبت المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم
- بنسالم حميش

1. العلامة، دار الآداب، ط1: 1997.
2. مجنون الحكم، دار الريس، ط01: 1990
3. الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ ، دار الطليعة،بيروت،1998.

- عبد الرحمن ابن خلدون :

4. التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، 1979.
5. شفاء السائل في تهذيب المسائل ، نشر وتعليق الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية بيروت نيسان1959.
6. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بعناية وفهرسة أسعد داغر، دار الكتاب اللبناني، 1983.
7. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الأجزاء4/3/2/1، ط:1 ،1957

المراجع باللغة العربية

1. ابن منظور، لسان العرب، طبعة مصححة: أمين محمد عبد الوهاب /محمد الصادق العبيدي،ج9، ط3:دت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2. أبو خلدون ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3: 1967.
3. أحمد السماوي ،التطريس في القصص:إبراهيم درغوثي نموذجا،مطبعة التسفير الفني،سفاقص، تونس2002 .
4. أنور المرتجي سيميائية النص الأدبي، إفريقا الشرق1987.
5. برنار فاليط ، النص الروائي، تر: رشيد بن حدو،المشروع القومي للترجمة، باريس1992.
6. بشير القمري ،شعرية النص الروائي ،قراءة في كتاب التجليات ، ،شركة البيادر الرباط. ط1.
7. تودوروف، المبد ا الحواري، تر: صلاح فخري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1992

- جيرار جنيت :

8. عودة إلى خطاب الحكاية ، تر: محمد معتصم ، المركز الثقافي العربي ، ط1 : 2000، ص15
9. خطاب الحكاية ، تر : م معتصم /ع الجليل الأزدي / عمر حلي ، ط: 3 ، 2003، ص76.

10. حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء،المركز الثقلفي العربي، الدار البيضاء/بيروتط1: 1990
11. حميد لحميداني النص الروائي والإيديولوجيا ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت ،ط2،أوت1990.

- سعيد يقطين:
12. تحليل الخطاب الروائي ،المركز الثقافي العربي، 1997.
13. الرواية والتراث السردي:من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي ،ط1:أوت5،1992.
14. انفتاح النص الروائي ،المركز الثقافي العربي، ط:2، .2001
15. عبد الله إبراهيم السردية العربية الحديثة المركز الثقافي العربي،بيروت/الدار البيضاء، ط1-.2003
16. عبد الرحمن العلام ، سؤال الحداثة في الرواية المغاربية ، إفريقيا الشرق المغرب1999.
17. عبد الرحمن ياغي البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربية، دار الفرابي، بيروت، ط:.1999
18. عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

- عبد الله العروي:
19. ابن خلدون وماكيافيلي ، دار الساقي تر: خليل احمد خليل ، ط.1990،1
20. ثقافتنا في ضوء التاريخ ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /بيروت ، ط1988:2.
21. مفهوم التاريخ المركز الثقافي العربي ، بيرت الدار البيضاء ط2 :1992.
22. غاستون باشلار ، جدلية الزمن ، تر: خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت ط3 1992.
- فيصل دراج:
23.نظرية الرواية والرواية العربية ، المركز الثقافي العربي، ط1999،1
24. الرواية وتأويل التاريخ،المركز الثقافي العربي، ط:1، 2004
25. فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الأبية ، تر : سعيد بن كراد ، دار الكلام الرباط :1990.
26. محمد عزام، وعي العالم الروائي منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1990.

27. المنجي الصيادي ، قراءة في كتاب " ابن خبدون" لايف كوست.
28. مندولا، الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر، بيروت، 1997
29. ميخائيل باختين،الخطاب الروائي ، تر:محمد برادة ،دار الأمان، المغرب.
30. ميلان كونديرا ، فن الرواية ،تر:بدلرالدين عرودكي ،إفريقيا الشرق2001.

- المراجع باللغة الأجنبية :

1	Ben salem Himmich, Partant d'ibn khaldun; Penser la depression,ed enthropos.
	Dominique Maingueneau
2	Les Termes clés de l'analyse de discours, Memo, Fevrier 1996
3.	Pragmatique pour le discours litteraire , Dunod; Paris,1997
	Gerard Genette
4.	f igures 3 , Seuil ,Paris, 1972
5.	Palimpsestes : la littérature au second degré. Seuil , 1982
6.	Seuils,ed :Seuil ,Paris,1987.
7.	Julia kristeva ,Le texte du roman,Mouton,1970.
	Mikhail Bakhtine
8.	la poétique de Dostoievski . préface de julia kristeva «une poétique ruinée". Traduit par Isabelle Collitcheff, Seuil 1970
9.	Esthétique et théorie du roman,traduit par :Daria Olivier,ed : Gallimard,1978.
10	Tzvetan Todorov , Mikhail Bakhtine : Le principe dialogique, Seuil, Ed 2,1996.
11	Nathalie Piégay Gros Introduction à l'Intertextualité, Dunod 1996/2002
12	Piere Zima: Manuel de sociocritique ,L'Harmattan2000.
13	Philippe Hamon, statut semiologique du personnage in poetique du recit ,Seuil 1977

الرسائل الجامعية و المذكرات

1. نصيرة عاشي،البنية النصيةفي روايات واسيني الأعرج ،رسالة ماجستير،جامعة تيزي وزو 1997.
2. زاوي لعموري ، بنية النص السردي في دنا فتدلى لجمال الغيطاني ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2002/2001.
3. عبد المجيد سالمي ، العناصر الإفراديةفي كتب القراءة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ديسمبر1988.

المجـــلات

1. مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ،ع15 / أفريل 2001.
2. أعمال ملتقى بنغازي ،اللجنة الثقافية ،جربة تونس ،دت
3. ندوة الرواية والتاريخ24/23مارس2005، دار الكتب القطرية 2005.

مواقع على شبكة الأنترنت

-www.arabrenewal.com
-www.encarat.com
-http//uemnet.free.fr
-Image.refer.org

فهـرس العنـــاوين